الدوحة

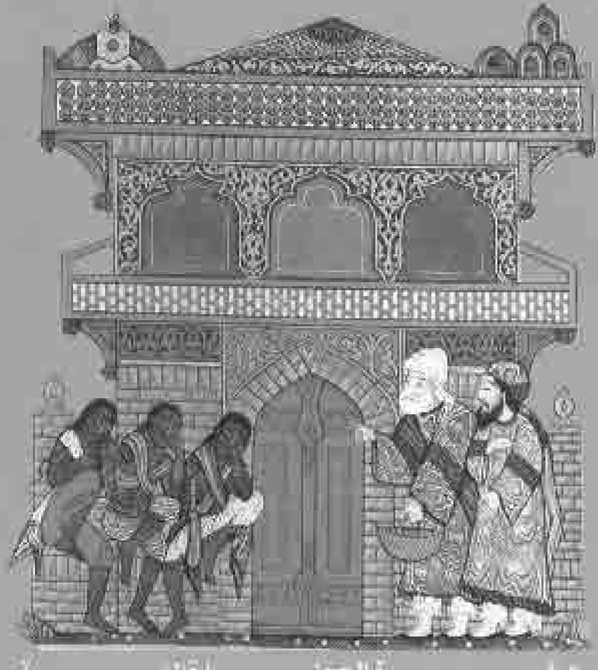
هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارجين على الإسلام؟

محمد الغزالي

ملاحظات صريحة حول أدب الخليج

د. حسن نعمة

زكي مبارك و ٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم



ملاحظات صريحة حول:

الأدب في الخليج



بقلم: الدكتور حسن نعمة

اخذ مصطلح « الادب الخليجى » يتردد فى هذه الأيام، خاصة والمنطقة مقبلة على مناهج توحيدية وتعاون فى التنمية الاقتصادية وفى مجالات الدفاع والسياسة والامن وما الى ذلك من مناحى العيش المتعددة .

واول مايتبادر الى الذهن حين يطرقه هذا المصطلح هو مفهوم التجزئة وتقسيم الأدب العربى الى مناطق اقليمية لا تؤدى الى اى عمق او شمولية فى مفهوم الأدب ، ومن اساسيات الأدب ، اى أدب فى العالم ، ان يكون ذا عمق وشمولية .

وموضوع هذه الملاحظات هو الأدب فى الخليج لا « الأدب الخليجى » ، فهناك أدب فى مصر ، وادب فى الشام ، وادب فى العراق ، مثلما هناك ادب فى الخليج . وليس هناك أدب خليجى .

وما يعنينا هنا هو : هل افرز نتاج الأدب فى الخليج مردودا جيدا ؟

لقد استشرى الأدب الردىء فى العالم العربى كله ، وشاركت فى ذلك الجهات القائمة على نشر الانتاج الأدبى ، وبسبب ظروف عديدة ، واختلاط معايير الفكر ، واختلال الموازين فى تقييم الأثر الأدبى ، ظهر كثير من الأدباء المصنوعين .. وطفت على السطح الفكرى طائفة متطفلة على الأدب ، استطاعت ان تنتزع لنفسها مكانة بسبب الفراغ القائم وخلو الساحة من الأدباء الحقيقيين وتلك هى المأساة !

وفى الخليج كان لنا فى الماضى ادب يعبر عن بيئتنا وكان احسن ما فيه مكتوبا بالعامية . والتى اشعر بالالم عند ذكرها لانى لا استطيع ان اقبل الأدب عاميا . ولكن الحقيقة هى ان افضل ثمرات الفكر التى توفرت للمنطقة فى ماضيها كانت بالعامية ، فعبر الانسان عن وجدانه ومشاعره بالادوات المتوفرة .

وكان ذلك الأدب العامى على درجة من الرقي والادراك ، وله مراسم وانماط لا يمكن الاستهانة بها ، ويجب الا ننظر إليه نظرة دونية لاننا صرنا مزودين باسلحة الفصحى .

وهناك فرق كبير بين ذاك الأدب العامى والأدب المصنوع والمنتشر بالدارجة فى منطقة الخليج اليوم . فقد عرفت الجزيرة العربية شعراء عظاما اضطروا لقول الشعر بالعامية ، كالشاعر محمد بن عبد الله العونى ، الذى اضطر الى قول شعره الحماسى بالدارجة لانه لم يمنح الحق الانسانى فى تعلم الابجدية .

هى فصحى مهملة

ولو تفحصت شعره وقارنته بالفصحى

● كل شيء يمكن ان يكون خليجيا .. الا الأدب ! ● ●ما اشد الفرق بين الأدب العامى فى الماضى وأدب اليوم المكتوب بالعامية ! ● ● ● يجب أن يحظر استغلال الظروف للتسلق عن طريق الأدب ● ● ● ● الى متى يظل الأدب مطية سهلة لتسلق الضعفاء وعديمى الموهبة ● الفترة الخليجية فى حياة الأدباء العرب الوافدين .. فترة تعطيل أو ارجاء أو عدم انتاج ● ● كان الحصول على عدد من الرسالة أو الثقافة بعد اربع سنوات يمثل لنا عرساً جميلا ● ● ● ● النقد عملية حضارية .. ويستلزم وجود بيئة لا تضيق به ● جد علينا الأدب ، فاخذه البعض كوجاهة اجتماعية .

لوجدت العونى يبز كبار شعراء الحماسة فى الفصحى ، ولم اقرأ فى الادب العربى نماذج فى الحماسة بعظمة تلك التى عند العوني . وله معجم في الحماســـــة لا نستطيع اليوم ادراكـــــه . وهنــــاك اشتراك كبير بين مفرداته ومفردات الفصحى . وقد نخال مفرداته عامية ، لكنها فى واقع الامر فصحى مهملة اهملتها البيئات العربية الاخرى لعدم الحاجة اليها بسبب التطور الحضارى .

وهناك ايضا شعراء مثل محمــــد الفيحانى ، الذى اضطر بسبب حرمانه من الابجدية لقول الشعر بالدارجة وهــــو شاعر غزل جيد .

شعراء الفصحى

اما نماذج الادب المكتوب بالفصحى فى الخليج فى الماضى ، فمنها ما هو جيـــد وتقليدى مثل اشعار بن عثيمين ، وهو شاعر جزل سار على نظام القصـــــيدة العربية التقليدية ، سواء فى اغراض او شكل القصيدة . والناظر المنصف لشعره يجد فيه شاعراً يعد من الشعراء الممتازين فى إجـــــادة نظم القصـــيدة العربيـــة التقليدية .

وقد كتب بالفصحى لانه قد اتيحت له فرصة تعلم اللغة الفصحى . وهو يمثل إتصالا لانتاج الشعراء الكلاسيكيين العرب .

لقد ضربت مثلا بالعونى والفيحانى ممن قالوا الشعر بالعامية واجادوا ، وبابن عثيمين الذى كتب بالفصحى واجاد ـ مثلما اجاد فهد العسكر وعبد الله الزائد ـ كل ذلك لكى اصل الى حيثية هامة لسؤال مطروح حول ادب الخليج .. وهى وجود ادب جيد كتب بالعامية او بالفصحى فى الخليج ، مثلما هناك ادب جيد فى الشام ومصر والمغرب العربى . وليس هناك ادب خليجى . وعلينا ان نربط مفهوم الأدب بصفة عامة فى كل بيئة من بيئات الامـــة العربية بمسالة الجودة ، وان نطبق هذا المفهوم على كل ادب . فالأدب لا يمكن أن يسمى أدبا الا اذا كان جيدا .

ولكن ..

ادباء مصنوعون

لقد جدت ظروف فى العالم العربى نتيجة اختلال كبير فى الموازين فى الحياة السياسية وفى الحياة العربية بشكل عام ، ولم يعد من الممكن ادارة دفة الامور دون خلق مناخ مصطنع للفكر والأدب . وفرخ ذلك بعض الموظفين لكى يكونوا ادباء . وهذا هو الذى ادى إلى الهزيمة العربية الكبرى والى الانحطاط .

لقد فرخت الظروف العربية نوعيات متطفلة على الادب والفكر ، واسلمتها زمام القيادة والتوجيه . فادى ذلك الى الهزيمة فى فلسطين ، واحتلال الاراضى العربية ، وطغيان الصهيونية .. لان الساحة قد خلت من رجال الفكر ورجال الادب الذين يمكن ان ينطبق عليهم مبدا الجودة .

لقد كوفح معظم الادباء الممتازين فى الرزق ، واضطهدوا ، ومات كثير منهم فى المعتقلات والسجون ، ومازال منهم من هو فى طريقه الى الاحتضار والموت .. كل ذلك لان المؤسسات الثقافية والفكرية فى العالم العربى لا تريد ادباء ممتازين لهم استقلال فكرى فى هذه الاجواء ، لانهم سينيرون الدرب للانسان العربى ليجد له طريقا آخر غير هذا الطريق الذى ادى الى الهزائم ، وهذا هو الواقع المؤسف والسائد في عالمنا العربي اليوم .

والخليج بيئة جديدة ، طرات عليهــا تطورات اقتصادية وثروة بترولية ، وهى وان خلقت إعمارا فى البناء ، إلا انها احدثت خــللا فى الانسان . وباستقراء التاريخ نجد ان النماذج الادبية التى كتبت فى الماضى تعبر عن الانسان فى الخليج تعبيرا جيدا ، لان شخصيته لم تكن مشتتة مبعثرة . كان انسانا متكاملا ، لا تناقض فى شخصيته مع البيئة المعاشة والظروف المتاحة ، وذلك مما ساعد هذا الانسان على انتاج ادب جيد بالعامية او بالفصحى .

طفرة اخلت بالموازين

فلما جاءت ثروة البترول ، خلقت طفرة كبيرة فى حياة الناس ، واخلت بالموازين . فلم تعد قيم العمل والانتاج فى المجتمع ، بصفة عامة ، مؤسسة على قاعدة المكافاة المعنوية او المادية ، او على حسب الانتاج المثمر للانسان فى العمل . تلك موازين قد اختلت . فقد ينتج الانسان عملا مثمرا ، فلا يكافا ، وقد لا يعمل ، ومع ذلك يحصل على القوت . فاصبح الانسان مشلول الارادة فى العمل من جهة ، ومبلد التفكير من جهة اخرى .

والادب هو نتاج العلاقات الانتاجية فى المجتمع . وعلاقات العمل الانتاجية هى التى تحدد مسار الادب فى اى مجتمع . وقد اضطربت هذه العلاقات الانتاجية فى العمل للانسان فى الخليج ، واهتزت ، واصبح الناس ضحايا هذا الاختلال والاهتزاز ، فلا غرابة اذن ان نجد ادبا رديئا منتشرا انتشارا كبيرا .

ومايجب أن نؤكد عليه هو انه اذا كانت البيئات العربية الاخرى قد اصابتها عدوى رداءة الادب فان ذلك قد انعكس علينا فى الخليج بصفة اقوى . لقد صارت

ملاحظات صريحة حول:

الأدب في الخليج

لنا دول عصرية ذات مؤسسات ، ولابد لها من ادب ومؤسسات ثقافية.، إذ لا يمكن ان تكون لبلد او كيان فى عالم اليوم سمعة دون ان تكون له مؤسسات ثقافية وجامعات وادب . وقد قامت هذه المؤسسات فى وقت اصبح فيه الانسان مضطربا ومختلا . فليس بمستغرب اذن ان يكون هناك اضطراب واختلال فى الفكر وفى النتاج الادبى بصفة عامة .

ان كل شيء يمكن ان يكون خليجيا .. الا الادب . ولم يعد هناك اي عذر للانسان اليوم لان يكتب بالعامية ، إذ ان تعلم الابجدية قد اصبح ميسورا متاحا فى المدارس والجامعات لكل انسان . وانا لا اهاجم الادب العامى بصفة عامة ، فهو موجود حتى بين المتعلمين الذين يجيدون الابجدية فى مصر والشام وغيرهما من البلاد العربية . ولكننى اعتقد انه يجب الا تكون الدعوة إلى الأدب الشعبى وما الى ذلك فرصة للضعفاء والمتروكين فى حياة الفكر ليسلكوا مسلك العامية لانها مطية سهلة .

لنوقف التسلق

وما اريد ان أؤكد عليه هو انه يجب ان يحظر على اى انسان ان يستغل الفرص الاجتماعيــــة والاقتصادية والوظائف الادارية المتوفرة فى المنطقة او ان يستغل هذه البيئة لكى يتسلق عن طريق الادب .

والتسلق موجود ، والخطا فى الادارة ومجال الاقتصاد وفى مجالات التوظيف ووضع الرجل فى غير مكانه فى الامور الادارية متوفر ، ولكن يجب الا نجعل من الادب ايضا مطية سهلة لتسلق الضعفاء والمتروكين ليكونوا ادباء ، مثلما يتسلق الموظفون لتسلم وظائف ليسوا اهلا لها .

ليس عداء للناشئة

وليس هذا عداء للناشئة من الادباء ، إذ بالعكس ، يجب ان نبرزهم بصورة لائقة ونشجعهم ، والا نقسو عليهم بتطبيق نفس المعايير التى تطبق على الادباء فى العالم العربى ، لانهم فى بيئة جديدة . ولكنه من الضرر للادب والاديب بمقدار ان نصور لأديب ناشيء انه اديب عظيم ، لانه بذلك لن يرقى اصلا ، اذ ان اي اديب يشعر بالعظمة والاكتمال ، سينتهى . ومن باب الغش ان نشعر شخصا فى ميعة الصبا والشباب انه اديب . فالأدب يحتاج لعملية اختمار ووقت طويل .. ومعاناة .

ونحن نعانى من مشكلة المعاناة فى منطقة الخليج ، إذ لا وجود لمعانــــاة نفسية واقتصادية كتلك التى فى مصر او الشام .. اى شمال العالم العربى كله . والمعاناة عنصر اساسى فى الانتاج الادبى ولا نريد بالطبع للادباء ان يكونوا معذبين فى الارض ، ولكن معاناة العيش وشظفه من اهم العوامل المساعدة على دفع وتيرة الانتاج الادبى الى مرتبة الجودة .

وقد توفرت لنا بحمد الله احــــــوال ميسورة ساعدت الادباء على الوصول الى وسائل الادب ، إذ بمقدور الانسان هنا ان يتادب ان اراد .

فالوسائل المساعدة على تطوير الثقافة الادبية او المحصول الثقافى للاديب متوفرة فى الخليج بسبب توفر المادة .. ولا عذر هنا للتقصير فى اكتساب المعرفة الثقافية والمعرفة العامة الضرورية لكى يكون الانسان اديبا .

كل تلك امور لها جانبها الحسن ، ولها ايضا جانب سلبى .. إذ انعدمت المعاناة .

لقد نشات فى حياتنا ظروف جديدة معقدة ، لان تحسن الاوضاع المعيشية قد اخل بعملية الموازنة فى العلاقات الاجتماعية والتى بدورها خلقت تعقيــدات كثيرة فى الحياة ، وخلقت نفاقا اجتماعيا ، وسباقا على مظاهر العيش ، واصبح مجتمعنا مجتمعا استهلاكيا .. للثقافة والاكل والادوات المستحدثة فى العيش . ونتيجة لتوفر المادة ومشاركة اخواننا العرب من بيئات عربية اخرى ، نشرنا عدواننا عليهم . وانعكس ذلك بصورة واضحة فى قلة الانتاج الادبى والفكرى للادباء والمفكرين العرب الوافدين الى الخليج .

محنة الأدباء الوافدين

كانت الوفادة بشكل عام مفيدة للادباء فى ماضى ايامنا العربية ، إذ لم يكن هناك اختلاف فى الموازين . وبالرغم من وجود التنوع والتباين فى البيئات العربية قديما ، فقد كانت الحياة الاجتماعيـــة والاقتصادية والفكرية تتطور بشكل طبيعى ومتصل . ولكن بيئات العالم العربى كلها تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية .. وحتى تلك التى لم يتفجر فيها البترول تاثرت بطريقة او اخرى .. بل اننا افسدنا البيئات العربية الاخرى عن غير ارادة منا ، فنحن انفسنا ضحايا الثروة .

اما بالنسبة للوافدين من المفكرين والادباء العرب والذين يجب ان نذكرهم بالعرفان والجميل لانهم اثروا حياتنا براقد حضارى جديد ، فان الفترة الخليجية فى حياتهم هى فترة انتاج ادبى وفكرى قليل او معطل .. ذلك ان الواحد منهم يفد الى بيئة عربية اقل توترا ، ووتيرة توتر الفكر وتعقيده فيها اقل وهو يدرك انه قادم الى بيئة اكثر من بيئته تطورا فى المادة والاقتصاد ، ولكنها اقل منه تطورا فى الحضارة والفكر . ولذا لا تكون لديه رهبة ، وهو غير مستفز ، وليس هناك تحد بينه وبين ثقافة البيئة التى وفد اليها . فهو يعطى ما هو متوفر لديه ، ولا يجد عليه جديد ، لان البيئة الجديدة لا تجابهه بما يستفز فكره ، اما اذا كان مهاجرا الى امريكا او اوروبا فهو مستفز ثقافيا وحضاريا يوميا وطـــوال ساعات اليوم .. وهذا ما يفسر كون شعراء وادباء ومفكرى المهجر اكثر نشاطا وانتاجا .

نحن لا ننكر وجود محبطات ومعوقات فى البيئة التى يفد اليها المفكر او الاديب العربى ، ولكنها موجودة ايضا فى كل العالم العربى ، وهى السبب الاساسى الذى استدعى تلك الوفادة . والسبب المعيشى ، وان كان احد الاسباب ، إلا انه ليس بتلك الحدة . وهناك الشكوى من عدم احساس الوافد بالاستقرار فى البيئــــة الجديدة ، والاحساس بالحنين الى بيئته المحلية ، وان حوافز الكتابة عنده تنعدم ، وبذا يرجيء ، كشاعر مثلا ، وتيرة التقدم الشعرى فى نفسه . ولكن هذا الارجاء والتاجيل يضر به كشاعر ، لان عملية الشعر متصلة ، ولا ارجاء ولا تاجيل فى الفكر بصفة عامة بسبب استمرار تطور الحياة وتجدد معطيات الفكر .

والمفترض فى الأديب الا يتوقف عن العطاء وكان ينبغى ان تتيح له بيئتنا فرصة اكبر للعطاء من حيث انها وفرت له فرصا مادية لمتابعة الثقافة العربيــــة والعالمية ، والاستزادة منها .. ولانهــــا بيئة ثقافية جديدة ومتفتحة ، وذات طعم جديد فعوامل الاحباط ليست فقط بسبب وجود المفكر والاديب العربيين كوافدين فى الخليج ، بل يبدو ان المشكلة مرتبطة ايضا بالاديب نفسه وصلابته وامانته وضميره الادبى . كما ان المناخ العربى العام والشعور بالالم الداخلى والنفسى مما يدور فى العالم العربى ككل يضفى على الاديب نوعا من الهروب ، ويورثه الاحباط .

كسب اقليمي وخسارة قومية

لقد كسبنا نحن في الخليج كسبا اقليميا كبيرا بوفادة الادباء والمفكرين والعلماء العرب الى بلادنا . فقد اتيحت لنا فرصة للقاء اعلام عرب كنا في الماضي محرومين منهم . كنا محرومين حتى من الجرائد . واذكر ان جدي كان يحضر لنا اعدادا تعود الى اربع او خمس سنوات ماضية من مجلة الرسالة او الثقافة .. وكان ذلك بالنسبة لنا عرسا . فما بالك وقد اصبحنا ننعم بوجود اعلام في الفكر العربي بيننا وهذا افادنا واتاح لنا فرصة كبيرة وجديدة للاغتراف من مناهل العلم والفكر ، واثرى نهضتنا بصفة عامة .

ولكننا خسرنا على المستوى القومي ، لان هذه الوفادة افرغت المجتمعات الاخرى من اهم رجالاتها وبذا نكون قد احدثنا ضررا بالفكر العربي .

استئثار المراة بالقصة ؟

ومن جملة ملاحظات لاحد النقاد العرب الكبار ان اهتمام المراة الكاتبة في الخليج ينصب على القصة ، في الوقت الذي يهتم الرجل الكاتب بالشعر .

وعلينا ان نتذكر ان الادب في الخليج يعود الى فترة وجيزة لا تزيد عن عقد من الزمان . وقد جاءت محاولات كتابة القصة متاخرة كثيرا عن الشعر .

ومباشرة كتابة القصة تتطلب بجانب الموهبة حصيلة كبيرة من المعارف والثقافة . ويجب علينا نحن في الخليج ان ننتبه كثيرا لهذه النقطة .. وهي انــــه لا يمكن للمرء ان يكتب القصة او المسرحية بالصورة ذاتها التي يكتب بها الشـــعر ، فالشاعر قد يكتب شعرا عظيما وفلسفة في بيت واحد ، ومع ذلك يظل شاعرا متوسطا ، لان المسحة الغنائية ووحدة البيت غير وحدة القصيدة . اما القاص فلابد له من ان يكون ملما بصناعة القصة وصناعة الرواية الماما تاما ، لانها اعلى ما وصلت اليه البشرية من تقدم في الصناعة والفكر ولذا ليس من السهل ان يكون المرء قاصا جيدا دون ان يكون مدركا ومكتسبا للصناعة الفنية في القصة عند الامم الاخرى ، ولا يمكن كتابة قصة رائعة ان لم يكن المرء مثقفا ثقافة عميقـــــة بتراث الانسانية في هذا الفن .

وربما لهذا السبب صارت المراة عندنا كاتبة للقصة ، فهي متفرغة اكثر ، والقصة تتطلب التفرغ ، وهي قارئة جيدة ، وبالاضافة الى حاجتها الى الرمز لتجسيد المشاكل التي تعاني منها ، ويعاني منها المجتمع وذلك في شكل شخصيات مستعارة الاسماء ، او باسماء مرموزة .

ويتضح هذا في كثير من الحالات وخاصة في قصص « ام اكثم » التي اقراها في « الدوحة » وهي عندي عبارة عن شعر رمزي ، كتب باسلوب قصصي .. وانا لا اعتبر ذلك قصصا .

مسئولية النقد

ترتبط مشكلة النقد في المجتمـــع الخليجي بمشكلة النقد في المجتمع العربي ، حيث ادت الظروف الى اختلال في الموازين ، فبرزت فئات طفيلية في مجال الادب وغيره .

ونحن في الخليج نعاني من هـــذه المشكلة اكثر مما تعانيه مصر مثلا ، حيث معظم النقاد الممتازين خارج الساحة .

وبالاضافة الى هذه المشكلة ، نعاني نحن في الخليج من مشكلة اخرى اشد تعقيدا .. بحكم اننا مجتمع صغير جدا ، الكل فيه صديق للآخر او قريب له ، ومن ثم مجامل له .

والنقد بحاجة الى بيئة ، ومنـــاخ حضاري ، متفق عليهما ، حيث لا يغضب الناس من النقد ، ويتحملونه بـــروح موضوعية ، وذلك غير متوفر في كل المجالات .. فكيف يتيسر في المجـــال الادبي ؟

هناك اعتبارات كثيرة تدخل في حساب النقد في مجتمع صغير مثل مجتمعنا .. لان الادب صار مظهرا ووجاهة . فاذا تصدى ناقد لنقد من ياخذ حرفة الادب كوجاهة معينة ، فكانما هو يحاول زعزعة رجل اعمال له سمعة معينة ، بدافع الرغبة في انتزاع توكيلات او شركات منه .

والمؤسف ان يتعامل الناس مع النقد بنفس هذا المنظور .. الا اذا كانوا ادباء حقا .. لا اناسا ياخذون الادب كتحصيل حاصل .

ان اساس مشكلة النقد عندنا هو اننا مازلنا اناسا طيبين ، تقوم علاقاتنا على اسس شخصية في مجتمع صغير . وقد جد علينا الادب ، فاصبح البعض متادبين لان للانسان المتادب سمعة ووجاهـــة ، فاخذوا الادب كوجاهة من الوجاهات .. وهذا واقع ايضا في مجال الصحافة وغيره .

لكننا يجب ان نتخطى تلك الاعتبارات لانهـــا قـــاتلة للادب ، وان نبقى على الموضوعية فقط .. ثم نفرز الآخذين الادب كوجاهة من الذين يتعاطونه باعتباره ادبا ونحكم عليهم بنفس موازين النقد المتعارف عليها في البيئات العربية الاخرى .

ولم اقرا حتى الآن لناقد خليجي إلا ووجدته يطري عمل من يتناوله بالنقد . ان معظم النقد هنا هو اطراء وتشجيع ومن ثمة لا يمكن اعتباره نقدا . وهو نابع عن حسن نية ، لاننا حديثو عهد بهذا المجال ، ولا نريد ان نصدم الاخوة ، بل نريد ان نرفع معنويات كتابنا ، حتى نستطيع ان نقول ان لنا كتابا ، وان لم يصبحوا في مصاف الادباء الكبار في البيئات العربية الاخرى . وهذا السلوك ، وان كانت له بعض فائدة ، له اضراره ، لانه لن يخلق ادباء .

وثمة مشكلة اخرى مرتبطة بالنقد .. هي عدم وجود القارىء المثقف القادر على تحديد الجيد من الرديء . ويبدو انها ليست مشكلتنا نحن وحدنا في هذا العالم الذي طغت فيه الوسائل الاعلامية والثقافية القاتلة للقراءة ، فهي تناقش الآن في اليونسكو وفي جميع مجتمعات العالم على اساس ان التطور التكنولوجي والعلمي قد استحدث وسائل في الاتصال والتوصيل جعلت الناس يكسلون عن القراءة .

والاثر الادبي يتطلب القراءة ، ولا تغني رؤيته مبرمجا في التليفزيون عن قراءته . فالسامع غير القارىء ، إذ ان القارىء يكتشف لنفسه في الاثر الادبي اشياء جديدة ، ويفترض في العمل الادبي الناجح ان يخلق في نفس قارئه تصورات تختلف عن تلك التي يحدثها في الاخرين . وذاك هو سر ديمومة الاثر الادبي الناجح . فالآثار الادبية باقية على عظمتها حتى اليوم لان نظرات الناس اليها تختلف ، ولان قراءتها تولد عند كل قارىء تصورات مختلفة ، وبالتالي استنتاجات مختلفة .. اما السامع ، فانه ياتيها على عجل .

وهذه المشكلة عامة .. ولكننا نتاثر بها اكثر بفضل مالنا من رخاء مادي ، ووقت كبير ما اكثر ما نقضيه فيما لا طائل تحته . فالذنب اذن ليس كله على الادباء والكتاب بل على عدم وجود جمهور ناقد قارىء للعمل المسرحي مثلا بشكل صحيح .

ولكن ذلك يحتاج الى وقت طويـــل للاختمار .. اذ ان كل هذه الامور جديدة علينا ، ولا تعود الى اكثر من عقد او نصف عقد من الزمان .. وتلك في دنيا الفكر ليست بالفترة التي تكفي لاصدار احكام نهائية .

د . حسن نعمة

● الدكتور حسن نعمة اديب عربي وباحث كبير وشاعر لامع ، وهو يشغل الآن منصب سفير دولة قطر في الهند .

هــل المطلـوب رأس الأفغـــاني وحـــده؟

بقـلم :الدكتورمحمدجابرالأنصاري

قد لا يكون جمال الدين الأفغانى مفكراً كبيراً .. وقد لا يوجد فى إرثه السياسي والفكرى ما يعيننا كثيراً على مواجهة ازماتنا الطاحنة من حيث المحتوى الحضارى الصلب،وقد لا يكون الأفغانى .. افغانيا .. !

وقد يوجد فى انتمائه الوقتى للماسونية ، وفى دعوته الغامضة لتوحيد الديانات الثلاث ، وفى كثرة تنقلاته ، ومداخلاته مع رجال السياسة الاسلاميين والغربيين ، ما يثير التساؤلات والاحتمالات ..

وقد يكون فى حقيقة القطيعة بينه وبين تلميذه وصاحبه الشيخ محمد عبده فى أواخر حياته ، وامتناع الشيخ عن كتابة كلمة رثاء فيه او ذكره بعد موته باى كلمة كانت ، ما يدل على ان وراء الأكمة ما وراءها ..

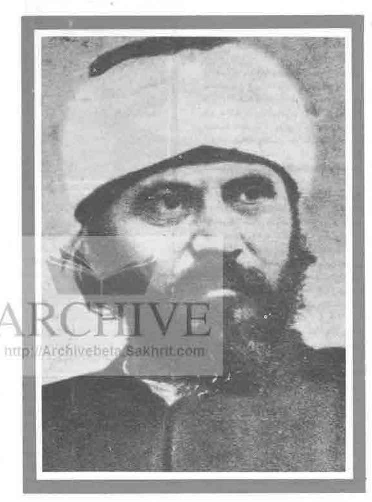
نقول قد يكون كل هذا وارداً او غير وارد وهو فى الحالتين رهن بالبحث التاريخى الفكرى المنصف والموضوعى والهادف الذى يتصدى لحمل امانته والاضطلاع برسالته باحثون احرار من الرجال المنتمين الى تراثنا العربى ، بلا شبهة من تبعية للاستشراق أو التغريب أو الاقليمية الضيقة أو التعصب أيا كان نوعه ..

ونحن فى هذا الزمن الصعب المحير نحتاج فعلا الى غربلة تراثنا الفكرى والسياسي القريب والبعيد بما يؤدى الى تجاوز نقاط الضعف والخطأ والسطحية وامتلاك نقاط القوة والبدايات السليمة القادرة على الاستمرار دون تراجعات باهظة ..

هذا كله وارد ومطروح ولا غبار عليه .

ولكن هذا كله شيء ..

والحملة التى شنها لويس عوض على الأفغانى شيء آخر مختلف تماماً ، بل ومناقض لما يحتاج إليه الفكر النقدى العربى من تحليل هادىء هادف ونظرات ملتزمة بالانقاذ وتصحيح المسيرة والعودة الى مسار البدايات السليمة ..



جمال الدين الافغانى

ان الوجود العربى كله ، وفى مختلف اقطاره ، يتعرض هذه الأيام لخطط التفجير والنسف ، وما لا يمكن تفجيره بالديناميت يحاولون تفجيره بالحـــرب النفسية وبالغزو الفكرى ..

وسلسلة المقالات التى كتبها لويس عوض ونشرها فى لندن تحت عنـــوان « الايرانى الغامض فى مصر » تبدو فى نظرى واحدة من الشحنات المشبوهـــة الناسفة التى يتم وضعها فى مختلف جوانب الوجود العربى - المادى او المعنوى - لتدمير قواعده واسسه من الجذور حتى لا تقوم له قائمة ..

الرؤوس الكبيرة

وهذا هو السر فى اعتراض الأوساط العربية المستنيرة بارض الكنانة على نشر مقالات لويس عوض فى مصر العربية حيث الصحوة العربية الاسلامية المباركة فيها لا تقبل مثل هذه الكتابات الصفراء ..

ولويس عوض - ومن هم على شاكلته - لا يريدون بهذه المقالات راس الأفغاني .. بل يريدون الرؤس الكبيرة فى نهضتنـــا العربية كلها من الامام محمد عبده الى عبد الرحمن الكواكبى الى رشيد رضا الى مصطفى عبدالرازق الى ساطع الحصرى .. بل يريدون راس الفكرة العربيـــة الاسلامية كلها ..

ان لويس عوض يريد ان يقول باختصار شديد من وراء هذه المقالات الطويلة المسهبة :

يا اهل الاتجاه العربى الاسلامي .. هذا هو الأفغاني ، الرائد الأول لاتجاهكم هذا .. رجل غامض مشبوه الهوية والانتماء ، مزعزع العقيدة ، مشتت الفكر ومزدوج السلوك .. ومابدا بخطا ينتهى بخطـــا .. فاتجاهكم هذا مبنى على الخطا من اساسه وليس لكم إلا العودة عنه ، والبحث عن بدايات وجذور اخرى .. فالشيخ محمد عبده من حيث تاثره بالأفغاني مؤسس على خطا .. وكذلك الكواكبى ورشيد رضا وكل من دعا الى عروبة واسلام فى هذا العصر !!

وما هو البديل ومن هو البديل ؟

البديل جاهز لدى لويس عوض منذ زمن .. انه « المعلم » يعقـــوب الـــذى تعاون مع الغزو الفرنسى لمصر ايام حملة نابليون وسهل للفرنسيين تنفيذ خططهم فى مصر والشرق !

هذا الرجل طرحه لويس فى كتاباته السابقة مؤسسا للاتجاه العصرى العلمانى الذى يدعو إليه .. وعندما يسقط الافغانى يبقى المعلم يعقوب منارا وهاديا ورائدا .. !!

عبوة لويس الناسفة

هكذا فان عبوة لويس عوض الناسفة ليست عبوة صغيرة لنسف بناء فرعي ، وانما هى من تلك المتفجرات الضخمة التى

هل المطلوب رأس الأفغاني وحده؟

توضع فى قلب البناء لنسفه كله ، بكل طوابقه ، وعلى من فيه ومن حوله ..

ولكن لويس عوض على «ضخامة» محاولته ليس سوى مساهم واحد فى عملية كبرى شاسعة الابعاد ، سواء كانت « مساهمته » بالصدفة او بالهوى او بالتبعية او بغير ذلك ..

فنسف الوجود العربى الاسلامى الواحد المشترك هو العنوان الرئيسي لكل ما يجرى فى المنطقة منذ هجمة حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، وهى هجمة مازالت متصاعدة ، ولم تكتمل فصولا بعد ..

وليسمح لنا لويس عوض ان نقول له بصراحة ـ وبدون المجاملات المعتادة حول مكانته كباحث وناقد ـ ان حملته على الافغانى تصب بشكل مباشر فى هذا المجرى .. ونعتقد ان هذا « الاتهام » شرف يدعيه ويعتز به لويس عوض من واقع كتاباته كلها ومنذ بدا الكتابة .

فطموح لويس عوض فى الواقع اكبر من مجرد نسف الاتجاه العربى الاسلامى الحديث الذى كان الافغانى اول رواده . لويس عوض ينظر الى ابعد من ذلك بكثير .. ايضا .

انه يامل نسف الاتجاه الحضارى العربى فى مصر منذ بداية الفتح الاسلامى ، وكما اوضح الاستاذ رجاء النقاش فى كتابه القيم (الانعزاليون فى مصر) :

فان : « الدكتور لويس عوض ـ وهذه فكرة اساسية عنده ـ يسوى تسوية كاملة بين الفتح العربى لمصر والذى تم سنة ٦٤٠ وبين ما سماه بالفتح الانجليزى لمصر والذى تم سنة ١٨٨٢ .. » !!

فهل يحتاج الامر الى مزيد من البحث فى حقيقة الاتجاه الذى يتحرك فى ظله لويس عوض ؟

عندما يصبح اعتناق مصر للاسلام وانتماؤها للعروبة مماثلا ومطابقا ـ فى عرف لويس عوض ـ للاستعمار البريطاني لمصر الذى نبذه الشعب المصرى وقاومه بكل قواه .. بينما ظل لقرون يدافع عن عروبته واسلامه ..

نقول عندما يصبح الاستعمار الانجليزى فتحا .. والفتح العربى الاسلامى استعمارا ..



فهل المطلوب ـ والحالة هذه ـ رأس الافغانى ورفاقه فحسب .. أم رأس عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وكل من له صلة بتاريخ مصر العربية الاسلامية منذ بداية تاريخها .. ؟

إذن .. فهجوم لويس عوض على الافغانى ما هو إلا تحصيل حاصل ، او انه حلقة اخيرة فى سلسلة حلقات متصلة تهدف فى نهاية الامر الى طمس شخصية مصر كقلعة للعروبة والاسلام وكطليعة وقيادة للعروبة والاسلام والحاقها بالمصير الذى انتهت إليه تركيا الكمالية عندما انفصلت عن كيانها الشرقى الاسلامى وتحولت ، كما قال احد ساستها ، من اول دولة فى الشرق الى اخر دولة فى الغرب .. (ومازالت تركيا منذ خمسين سنة تعيش وتكابد هذا الخطا القاتل ، وكلما تحرك شعبها باتجاه العودة نحو الشرق والاسلام ، رد حلف الاطلسى الذى يشرف على المصير التركى بتدبير حركة تبديل فى شكل النظام بطريقة او باخرى لفرض الامر الواقع ..) .

مصر ليست تركيا

ومن الموكد ان مصر العربية ليست تركيا وهى باذن الله عائدة باقرب مما يتصورون لممارسة دورها التاريخى والمستقبلى الكامل كقلعة صامدة للعروبة والاسلام ، وكطليعة وقيادة رائدة للعروبة والاسلام .. ولكنهم يحاولون ومازالوا يستميتون فى المحاولة بشتى الطرق .. حاولوا بالبحث عن اتاتورك مصرى يدير ظهره للعرب وللاسلام ، ويقبل بالتبعية الكاملة للغرب .. ولكن محاولتهم هذه انتهت نهاية بائسة مروعة باسرع مما تصوروا .. وثبت ان التربة المصرية المفعمة بالحب للعروبة وبالانتماء العميق للاسلام غير التربة التركية ..

حاولوا .. وما زالوا يحاولون بترويج وهم الفرعونية والفكرة الاقليمية الضيقة الانعزالية التى تتناقض مع كل ذرة فى روح مصر الحقيقية المنفتحة . حاولوا .. ومازالوا يحاولون باحياء الدعوة الى العامية .. والى الحرف اللاتيني (على الطريقة التركية) .. والى الحياد الخيالي (على الطريقة السويسرية) .. ويقف لويس عوض بدعوته وكتاباته منذ البداية فى قلب هذا الاتجاه ..

ومنذ ان كان طالبا فى كمبردج ببلاد الانجليز يحدثنا انه : « قد عاهد الثلوج الغزيرة فى خلوة مشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكمبردج الا يخط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية (تصوروا كيف تحولت اللهَجة الى لغة فى مصطلح الباحث والناقد الكبير لويس عوض ؟!) ، وقد بر بعهده فى العام الاول بعد عودته ، فكتب شيئا بالمصرية اسمه : «مذكرات طالب بعثة » لكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد ، فلتغفر له الثلوج التى لم تدنسها حتى اقدام البشر » ـ راجع كتاب الاستاذ رجاء النقاش : الانعزاليون فى مصر .

صحيح ان « عهد » لويس عوض قد ذاب وتبخر كما ذابت الثلوج تحت وهج الشمس ، وكما سيذوب ويتبخر الوهم الانعزالى تحت وهج الحقيقة ، وصحيح ايضا ان لويس عوض اكتسب شهرته ومكانته الادبية عن طريق اللغة ، الغريبة على سيادته ، التى سماها لهجة قريش . فنحن لم نقرا له إلا بهذه اللهجة القرشية .. وان لم نكن نعلم انه فى كل كتاباته بالعربية الفصحى القرشية كان يخون نفسه ويخون عهده وضميره ويمارس مع ذاته نوعا من الخيانة العاطفية المشينة ، حيث حبه للهجة العامية ، اما علاقته

العلنية فمع لغة قريش فى كل مـا كتب ويكتب .. من اجل الشهرة فى مصر والعالم العربى طبعا (كما يفعل سعيد عقل تماما) .

فاى تدليس واى كذب على النفس واى غموض باطني فى التعامل مع الحقيقة .. اين منه غموض « الايراني الغامض » ؟!

الا ترون ان لويس عوض قد اسقط غموضه الباطنى على الافغانى من منطلق المثل العربى القديم : « رمتنى بدائها وانسلت » !!

مع اعتذارنا للباحث الكبير لويس عوض عن ايراد امثلة قديمة من لهجة قريش التى ينوى سيادته الغاءها بعد أن استخدمها فى كتاباته كما يحلو له ..

مع ناصر وضده

وهذه الخصلة على كل حال من شيم الدكتور فى امور كثيرة .. وفى اكثر من مجال فكرى ..

فقد قرانا له ، وصدقناه فى مقدمة كتابه « العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح » ان التطور الاجتماعى فى مصر الحديثة قد وصل الى صيغته المثلى وتجاوز الصراع العنيف بين الطبقات والاتجاهات ، على يد « الجراح العظيم جمال عبد الناصر » ـ والتعبير لسيادة الدكتور فى مقدمة كتابه المذكور والصادر عام ١٩٦٥ . (عندما كان مستشاراً لهيكل فى الاهرام !) .

ولكنا فوجئنا بالدكتور بعد سنوات قليلة من ذلك التاريخ يقول فى الناصرية ما لم يقله مالك فى الخمر .

وادركنا ، عندئذ ، ان المسالة كلها من نوع ذلك القسم الذى اخذه على نفسه امام الثلوج فى كمبردج .. والثلوج دائما تذوب عندما تسخن الشمس قليلا .. ثم تعود الى التراكم عندما يشتد البرد .. وهكذا ..

وهكذا وعود الدكتور لويس وعهوده على نفسه ، وكل ما نرجوه الا يصاب سيادته بنزلة برد قاضية ، من جراء تعرضه المستمر لصقيع الثلوج فى هيكل ضميره ، ثم انسياحها عليه تحت حرارة الشمس بين موسم .. وآخر .. من مواسم السياسة وتقلبات العهود .

ورحم الله جمال الدين الافغانى المتهم ـ وحده ـ بالغموض والتنـــاقض ، والمطعون فى عقيدته ومواقفه وافكاره .. ومن جانب من ؟

من جانب المصلين فى هيكل الثلج الذائب !

وهذه طبيعة المرحلة التى نمر بها . فزعماء الاصلاح ورجال النضال الاحرار يوضعون فى اقفاص الاتهام .. وتصدر ضدهم اقسى الاحكام ، بينما الضالعون حقيقة فى الاتجاهات الغامضة والغريبة هم الذين يتلبسون اردية القضـــاة .. ويضعون اقنعة البحث التاريخى المهيب .

واذا كان اريل شارون فى هذا الزمن يطالب براس ياسر عرفات . فهل من المستغرب ان يطلب لويس عوض براس جمال الدين الافغانى ؟!

هى ظاهرة واحدة .. وان تعددت وتفرعت التفاصيل .

وقبل ان يطعن لويس عوض فى جمال الدين ، كان فى مقدمة المتطوعين بالدعوة الحارة لنبذ العروبة « العنصريـــة » والتخلص من اثار الفتح الاسلامى لمصر ، واحياء كل الدعوات الاقليمية ليس فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله ، والانخراط الكلي والنهائى فى الركب الغربى الاوربى .

فاذا كانت هذه هى مقدماته .. فهل نستغرب من طبيعة نتائجه ؟

من هو الرجل الغامض ؟

وعندما يتم الانطلاق من شعار نبذ العروبة والتخلص من آثــار الفتـح الاســـلامى لمصر ، فهل يبقى من مجال للبحث فى موضوعية او عدم موضوعية سلسلة مقالات عنوانها « الايرانى الغامض فى مصر » ؟!

كل الطرافة فى الموضوع ان « الاكثر غموضا » قد تناول بالشرح والايضاح الرجل « الغامض » .. فهل ازددنـــا ايضاحا ؟

هذه الضبابية من خصائص الوضع الثقافى المطلوب تثبيته مع مجمل الاوضاع العربية الراهنة . وهى ضبابية تتخذ اكثر من وجه وشكل .

فالدكتور لويس عوض لم ينطلق بكل خلفيته الغامضة ليتهم الافغـــــانى بالغموض ، فحسب ، وإنمـــا التقى موضوعيا بغـلاة المتعصبين فى العالم الاســـلامى الذين يهاجمـون الافغانى لدعوته الاصلاحية المعتدلة . وهكذا التقى الدكتور العلمانى المتحرر جدآ باشد المحافظين الذين يهاجمهم دائما ..

ولا تسالوا عن الجامع المشترك بين النقيضين .. فالغاية واحدة .. وواضحة جدا .. وهى هدم الفكرة العربية الاسلامية المنفتحة والجامعة بين التراث والتجديد .. ليتسع نطاق الحرب الاهلية فى المنطقة بين كافة النقائض والاطراف والعناصر .

ثم يبقى اخيرا ان نقول للويس عوض انه عندما ينجلي الغبار الكثيف عن واقع امتنا ، وتعود النقاط الى الحروف العربية وياخذ كل شىء مكانه الصحيح الذى يستحقه تحت ضوء الشمس بعد ذوبان الثلج ببرودته الصفراء ، فلسوف يبقى الافغانى رائدآ من رواد التحرر والاصلاح والنهوض .. رائدآ منتميا الى عصر النور والحرية ، رغم كل ما قيل ويقال عنه ، اما أنت يا دكتور فسيبقى اسمك فى النهاية علمـــاً من اعـلام التعصب الاقليمي والتغريب ومحاربـــة العروبـــة .

وشتان !

حتى لو كتبت نهراً من الكتب فى هدم الافغانى وكل مدرسته ، وكل اعلامها منذ فجر الفتح .

فهذا النهر سيصب فى النهاية فى مجرى الثلوج التى صليت امامها ببلاد الانجليز ، وانتهت ، بكل وعودها وعهودها ، الى الذوبان فى وحل الرمال العربية .

د . محمد جابر الانصارى

متى تهدأ هذه الزوابع ؟

هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارجَينِ على الإسلام ؟

بقلم : محمد الغزالي

● **إن اثقالا رهيبة من التقاليد العربية فى شتى الميادين تحكمنا باسم الاسلام ، والاسلام لا يعرفها ، على حين تسود اقطار الغرب فى الميادين السياسية خاصة تقاليد اقرب الى ديننا وان كان القوم لا ينسبونها الى هذا الدين . من يدرى لعلهم يستريحون الى الاسلام والى نبيه العظيم لو عرفوا هذه القرابة المعنوية !**

● **إننى ارفض بل ازدرى صياحا ابله ضد مبادىء هى من صميم الفطرة ومن غايات الاسلام الاجتماعية لا لشىء الا لأنها غير ما نالف فى عاداتنا وتاريخنا ، أى عادات أمتنا إبان هزائمها الثقافية والسياسية ، وما حواه تاريخها الأخير من تخلف وضياع .**

اتردد على تفسير المنار بين الحين والحين لأتعلم منه ما لم اكن أعلم ، وهو فى نظرى موسوعة ثقافية موارة بالابحاث التى تشمل الدين كله .

والشيخ رشيد ، واستاذه محمد عبده ، وزعيمه جمال الدين من اعمدة اليقظة الاسلامية فى العصر الحديث . ولكنهم ومن فوقهم ومن دونهم من المفكرين الاسلاميين ما رزقوا العصمة ولا زعمت لهم يوما .

ومَنْ مِنْ ائمتنا القدامى والمحدثين اصاب فلم يخطىء ، ومضى فلم يعثر ؟

وهل وظيفتنا ان نمضغ الاخطاء ، ونتتبع العثرات ، ونتعامى عن الحسنات ونشتم القمر لانه كثيرا ما يقع فى المحاق ؟

قال لى صديق يعمل مفتشا للوعظ والارشاد بالقاهرة : انه ذهب لالقاء محاضرة عن احمد بن حنبل بناد لجماعة تنتسب الى السنة ، وبعد ان اتم كلامه قام متحدث اخر ليلقى محاضرة موضوعها : « ابو حامد الغزالى الكافر (!) » .

وفزعت لشناعة التهمة الموجهة الى امام ضخم من قادة الفكر الاسلامى . لقد كان ابو حامد عالما اديبا ، وفقيها اصوليا ، ومربيا فيلسوفا . وهو اذكى من ارسطو وافلاطون وسقراط الذين تشمخ بهم اليونان وتعتز بهم اوربا .

لماذا يقوم امرؤ ما بتكفيره ؟ واذا كانت للرجل اخطاء فى صحة بعض الاحاديث النبوية فقد استدركت عليه من اصحاب هذا الفن ، ليتيسر بعد ذلك الانتفاع بعلمه الغزير .

يوم طغت الفلسفة اليونانية على العقل الاسلامى اجتاحها ابو حامد بكتابه « تهافت الفلاسفة » ليعيد الى الأصول الاسلامية مكانتها ..





محمد عبده



محمد رشيد رضا



حسن البنا

ويوم استهلك الترف امتنا ، حكومات وشعوباً ، واذهلها عن رسالتها الكبرى ، عمل على « احياء علوم الدين » . هذه العلوم كانت تحتضر ، وكان المسلمون قد فقدوا جدارتهم بالحياة . فعندما هجم الصليبيون على الشام ، واستباحوا بيت المقدس ، لم يكن فى مواجهتهم احد !

ان هؤلاء الصليبيين الزاحفين لو قاومهم جيش من الكلاب لهزمهم . فقد كانوا يجرون اقدامهم جراً من الاعياء والمجاعة ، ولكنهم لم يجدوا امامهم احدا !

اين كنـــا ؟

وجُهْدُ الغزالى فى الاحياء مشوبٌ ، وقد وقع فى اخطاء شتى ، بيد ان الكتاب من اخصب المؤلفات فى شرح افات النفوس ، وتقويم الطباع البشرية ، واقتياد البشر الى ربهم تبارك اسمه .

فهل جزاء الرجل بعد ذلك ان يتهم بالكفر ؟

ان المسارعة فى التكفير داب الرعاع والحمقى ! وهناك علماء مبرزون فى ميدان ومقصرون فى ميدان اخر ، يعطون انفسهم حق اصدار احكام علمية وتاريخية فى كلا الميدانين ، وهم يعينون الجهلة على تكوين افكار منحرفة ضد رجال ابرياء .

ولو اتجهنا الى البناء بدل الهدم ، والى الانصاف بدل الحيف لكنا اهدى سبيلا .

لكم أنت مخطىء ايها الدكتور

اذكر انه جمعتنى ايام طيبة بالمغفور له الدكتور محمد محمد حسين ، وهو رجـل خبير بالتيارات الادبية الحديثة ، وله غيرة مشكورة على الاسلام ، واكن له فى نفسى احتراما كثيرا ، سمعت منه كلاما لم اتجاوب معه !

قال : إن شعار الحرية والاخـــاء والمساواة اختراع يهودى ! وان اليهود هم صانعو الثورة الفرنسية عن طريق محافلهم الماسونية ! وان النظـــام الجمهورى نفسه يكاد يكون من صنع اليهود ! وهؤلاء اليهود المكرة من وراء الثورة الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ !

قلت فى نفسى : ولعلهم كذلك صانعو هيئة الامم المتحدة ! ما احقهم بالحياة اذا كانوا ـ مع قلتهم ـ بهذا الحجم الضخم ، وبذلك الاثر العميق .. !

واستطرد الحديث ليتناول مبدا « الامة مصدر السلطة » وكيف انه مبدا غير اسلامى . وتحدث الرجل عن جمال الدين ومحمد عبده حديثا مليئا بالسخط والزراية ، وقال : إنهما ماسونيان !

قلت : احب ان ارجىء الحديث عن الاشخاص واكترث بالحديث عن المبادىء ليكن فلان شيطانا رجيما او ملاكا كريما فذاك يعنيه عند ربه ، وما تنفعه شهادتى له اذا كنت مخدوعا فيه !

اذا كان شعار الحرية والاخـــاء والمساواة من صنع عباد الشيطان ، فماذا صنع عباد الرحمن ؟

والى اين تتجه الطبقات التى تشعر بالعبودية والنبذ والظلم ؟

يا صديقى ان الشعار عظيم ، قل : ان اليهود يتاجرون به ! اما ان تعلن عليه حربا باسم الاسلام فلا ، ولا .. لا تظلم الاسلام !

وقضية ان « الامة مصدر السلطات » لا تعنى اكثر من وضع حد للحق الالهى فى الحكم الذى زعمه ملوك اوروبا لانفسهم ، اى انه لا حق لابى بكر فى الخلافة لو لم تختره الامـــة اختيارا عبر عن رغبتها الحرة ، وسلطانها فى التقريب والابعاد !

قال : المبدا اوسع من ذلك . فهو يعطى الامة حق التشريع ، والتشريع لله وحده !

قلت : صيحة لاحكم الا لله معروفة فى تاريخنا ! ونحن المسلمين نوقن بان نصوص الكتاب والسنة واجبة التطبيق ، ومعترضها ينسلخ عن الدين ! ودائرة النص محدودة الابعاد ، ومن ثم قام القياس والاستصلاح والاستحسان ، وقام النظر الحر فى شئون الدنيا ، واستطاع المسلمون بالارشاد الالهى ان يشرعوا لانفسهم علىٰ امتداد الزمان والمكان ..

ولا مجال للعب بالالفاظ كما فعل الخوارج ، ولا مساغ لدعم الاستبداد السياسى وتقويض بنيان الامة بتلبيس المعانى وتحريف الكلم عن مواضعه ..

هواى مع الاسلام وحده

وما اقوله هو ما كان يدعو اليه جمال الدين ومحمد عبده وهو علة ما لاقيا من عنت .

وفهم بعض السامعين من هذا انى اوثر نمط الحياة الغربية ، وهو ما اهتم به الرجلان ! فرايت ان اشرح الموضوع بقليل من التفصيل .

ان هواي مع الاسلام وحده ، والميل الى

هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارجين على الإسلام ؟

الشرق كالميل الى الغرب انحراف عن الصراط المستقيم ، وتقاليد العرب في امر ما ليست صورة الوحي الأعلى !

وقد تجلس الى مائدة عربية ، فيها جفنة الارز يجللهاخروف غليظ اللية مديد القامة ! وقد تجلس الى مائدة غربية عليها عدة اطباق فيها قطع من اللحم وبعض الحبوب والبقول ! لك ان تعجب بهذا النظام او ذاك ، فما ينتقض هذا ايمانا ولا يزيده ذلك ان تبتدع فى نظام المائدة ما تراه ادنى إلى طبعك ! المهم « سم الله » ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

ان المائدة السياسية ، او الاجتماعية التي نجلس اليها ، لا يحكمها شكل ، وانما يحكمها مبدأ ، ومن حقي ان ارفض تقاليد كثيرة لا نسب لها ما دمت متقيدا بالاسلام وهديــه .

واصارح بما عندي ! إن اثقالا رهيبة من التقاليد العربية في شتى الميادين تحكمنا باسم الاسلام والاسلام لا يعرفها ! على حين تسود اقطار الغرب في الميدان السياسي خاصة تقاليد اقرب الى ديننا وان كان القوم لا ينسبونها الى هذا الدين ! من يدري ؟ لعلهم يستريحون الى الاسلام والى نبيه العظيم لو عرفوا هذه القرابة المعنوية !

إنني ارفض ، بل ازدري ، صياحا ابله ضد مبادىء هي من صميم الفطرة ، ومن غايات الاسلام الاجتماعية ، لا لشيء الا لانها غير ما نالف في عاداتنا وتاريخنا ، اعني عادات امتنا إبان هزائمها الثقافية والسياسية ، وما حواه تاريخها الاخير من تخلف وضياع !

في شأن الاسلام الاصيل

وقد كان الامامان العظيمان جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده يسعيان لتجلية حقائق الاسلام ، ونفض ما علاها من غبار ، ويتنكران للتقاليد الدخيلة عليه او التي تستمد حق البقاء من التصاقها به .

ولما كان لهذه التقاليد سدنة يفيدون منها ويبنون وجاهتهم على حياطتها ، فقد انطلقوا يصيحون في كل فج مهددين بالويل والثبور وعظائم الامور ، ويعلم الله ان هؤلاء الصائحين إما صديق جاهل بالاسلام ، واما عدو مضل مبين ...

وهنا سال سائل : امن خدمة الاسلام الانتساب الى الماسونية ؟

قلت : إنني اكره هذا العمل ، وهو خطا بولغ فى تضخيمه . والماسونية نحلة ما كان احد يدري خباياها ، كانت تخادع بشعار الحرية والاخاء والمساواة . فلما دخلها جمال الدين واحس ان اعضاءها مزورون ، شن عليهم الحرب وفض محفلهم واسس محفلا آخر يقول فيه ما يريد .

ولو اني دخلت حانة للخمر وجلست على احدى موائدها لاعكر صفو الشاربين وأذمّ اليهم السموم التي يتناولونها ، واصف لهم مساخرهم في غيبوبتهم ، ما كنت ملوما ! !

والدول الاسلامية الآن تنتمي الى هيئة الأمم المتحدة ، وتحرص على البقاء فيها ـ وهي ماسونية كبيرة ! ان صح التعبير ـ وليس ذلك عيبا ، انما العيب انها نسيت حقوق الاسلام عليها ولم يكن حديثها في هذه الهيئة ترجمانا لاهدافه الانسانية الرفيعة ، ودفاعا باسمه عن المظلومين وما اكثرهم في ظلال هذه الحضارة !

ما اشق تبعات عالمية الاسلام

ان عالمية الاسلام تفرض علينا ان تنساح بين الناس ونغشى مجامعهم الشعبية والرسمية ، ولكن « عالمية الاسلام » كلمة يلوكها المسلمون ولا يحسون تبعاتها .

ومن الذي يقدر على حمل هذه التبعات اعشى لا يبصر من حقـــائق دينـــه شيئا طائلا ؟ كان ربعي بن عامر البدوي ابصر بغايات الاسلام من شيوخ كبار في عصرنا عندما قال للفرس : جئنا نخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .

لقد ابصر علل القوم وصاح ملوحا لهم بالدواء ..

الاوروبي المستنير المتحضر في اوربا متبرم بما ورث من عقائد ، ويريد ان يعب من ينبوع التوحيد الخالص الذي يتفجر في ديننا ، هو يسال عن تعاليم هذا الدين ، فماذا يسمع ؟

لا يسمع الا ما يصده ويرده !

هذا يقول له : الشورى لا تقيد الحكم الفردي ! ولمن شاء ان يستبد بالامة وعليها الصبر !

وهذا يقول له : يتكوم المال عند من صادفه الحظ دون حرج فان الله يريد ان يجعله دُولة بين الاغنياء منكم !

وهذا يقول له : العقل اعمى وانما التعويل على الشرع ! والدنيا ضرة الآخرة لا يمكن الجمع بينهما ! او الحديث الضعيف مقدم على القياس !

وهذا يقول له : المراة لا تخرج من البيت الا الى الزوج او القبر ، ولا يصح ان تلي منصبا ما !

فلو كان في انجلترا لقال للانكليز : اعزلوا ملكتكم واطردوا رئيسة وزرائكم لكي يمكن قبولكم في الاسلام !

وعنده ان سليمان عليه السلام كان مخطئا عندما اقر وضع ملكة سبا ، وطلب منها ان تعتنق الاسلام !

ثلاثة هم قادة الفكر الواعي

ان الرجال الثلاثة ، جمال الدين ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ، هم قادة الفكر الواعي الذكي في القرن الاخير .

والنقيق العالي الذي يثور ضدهم هو من اشخاص علمهم بالاسلام سطحي ، ودفاعهم عنه دفاع الدبة التي قتلت صاحبها ..

ان صاحب المنار استوعب مذاهب المفسرين ، من تفسير بالاثر الى تفسير فقهي ، الى تفسير بلاغي ، الى تفسير كلامي ، ومن المختصرات الى المبسوطات ، ثم ضم الى ذلك علما باراء المذاهب الفقهية الكثيرة ، الى تعقيبات الاصوليين الذين نبغوا فى شتى العصور ، الى ما جَدّ فى العالم الاسلامي بعد احتكاكه بالمجتمعات الحديثة ..

وقد روى ان استاذه الشيخ محمد عبده طالع خمسة وعشرين تفسيرا ليستريح الى معنى اية من ايات الاحكام ، اضطربت فيها الاقوال .

وكان الرجل صاحب فكر متميز ومقولة مدعومة في هذه المعامع العلمية ، فما غره بريق ، ولا هالته كثرة ! وكان بصيرا بعلل الضعف التي انتابتنا ، ومداخل الشيطان في حياتنا . وكان عميق الشوق الى احياء العقل الاسلامي والعودة به الى نقاء السلف الاول ..

والذي اراه ان مدرسة المنار هي المهاد الاوحد للصحوة الاسلامية الحاضرة ، وعلى الذين يرفعون القواعد من هذا المهاد ان يتجنبوا بعض الهنات التي فات فيها الصواب إمامنا الكبير ، فما نزعم عصمة له او لغيره ..

لا يعرف الرجال الا الرجال

قال لي الاستاذ حسن البنا عليه الرضوان : إنه تناقش مع الشيخ رشيد في احدى القضايا الفقهية ، واتسعت مسافة الخلف بينهما ، ولم يصلا الى وفاق ..

ثم رايت الاستاذ البنا يصدر صحيفة الشهاب ، ويبدا فيها باب التفسير ، فاذا هو يستفتح بسورة الرعد . قلت له : لِمَ هذا البدء ؟ قال : من حيث انتهى الشيخ الكبير محمد رشيد رضا . قلت في نفسي : لا يعرف الرجال إلا الرجال .

ثم جاء في هذه الايام غلمان في ميدان المعرفة يريدون الاستطالة في اعراض الائمة !

ويستحيل ان يُهدي الى الحق من يحرم اخلاق الايمان ! اعني من همته البحث عن العيوب ورجم الناس بها .

ان رب العالمين تبارك وتعالى جعل في حسابه كفتين ، واحدة للحسنات واخرى للسيئات . وهؤلاء لا يعرفون الا كفة واحدة تجسم فيها الشرور ، صحيحة او منحولة .

وهل قُتل الخلفاء الا بهذا المنطق الكفور ؟ وهل جار الابرياء من قديم بالشكاة الا من اناس:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحـــا
عني . وما سمعوا من صالح دفنوا !
جهلا علينا وجبنا عن عدوهمو
لبئست الخلتـــان الجهل والجبن !

والمتدينون المصابون بهذه الآفات لا تنجح لهم حركة ، ولا تنزل عليهم رحمـــة ، لانه لا كرامة الا لمن اتى الله بقلب سليم .

وسمعت من هؤلاء ان الشيخ محمد عبده اتصل بالانكليز وتعاون معهم ! فقلت ان كانت علاقته بالقوم عن محبة لهم وولاء فقـد ارتد عن دينه وحبط عمله ! فهل كان ماضي الرجل ومستقبله يرشحه لهذه التهمة ؟

ان الشيخ محمد عبده سهر في الرد على وزير الخارجية الفرنسية « مسيو هانوتو » عندما هاجم الاسلام ، فاتم كتابه « الاسلام والعلم » في ليلة واحدة ، حرمه الحماس الرقاد . فلم يسترح الا بعدما جلا الحق !

اين كان الشيوخ الحاقدون على الشيخ يومئذ ؟ كانوا بين عاجز وجبان !

وعاد الرجل الى القاهرة بعد فشل الثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر . وكان الخديوي قد اصدر احكاما باعدام وتشريد قادة الثورة ، بيد ان الانجليز خففوا هذه الاحكام ، واستبدلوا بها النفي لمدد متفاوتة .

فلما رجع محمد عبده وجـد واقعا مرا : القصر الخائن والمحتل الكافر . ومن ايسر الامور على رجل مهزوم ان يفر الى بيته وينسحب من الحياة العامة ! لكن البطولة ليست في هذا الفرار السهل ! لقد اثر الطريق الطويل .. طريق التربية ورفع المعنويات النفسية والفكرية .

ويفرض عليه ذلك السعي لاصلاح الازهر ، وترقية اللغة والادب ، والتدريس المتصل لعرض حقائق الدين واثارة الطريق امام القانهين !

لقد فشلت الثورة العسكرية ، فليتخذ اسلوبا اخر ، وهو امام خيارين احلاهما مر كيف يتقي الانكليز ؟ وكيف يتقي القصر ؟

وكان محمد عبده شديد الاحتقار للعائلة المالكية ، ويرى انها اسرة وضيعة باعت دينها وعرضها في سبيل الجاه الزائل وقد وصف كبيرها محمد علي باشا فقال من حديث طويل : اخذ يقرب الاسافل كانما يحن الى عرق فيه !

ولما اتجه الى اصلاح الازهر وجد مقاومة هائلة من شيوخه الذين يرون ادخال العلوم الحديثة كفراً ! ويرون استبقاء الحصر القديمة ، لان اقدام الشيوخ المباركين وقفت عليها !

وقد ذكرت في حديث سابق ان عدة جماعات كانت تقام للصلاة الواحدة باعداد المذاهب الفقهية ! كان الفكر الاسلامي في غيبوبة لا تشبهها الا غيبوبة الادب العربي ..

لقد استمات الشيخ المصلح في عمل شيء للاسلام فتحايل على سطوة الانكليز وعلى جمـــود الشيوخ ، وعلى خصومـة القصر ، وعندما مرض مرضه الاخير ترجم عن الامه النفسية بقوله :

ولست ابـــالي ان يقـــال محمد
ابَلّ ، ام التفّتْ عليـــه المـــاتم
ولكن دينا قد اردت صلاحـــــه
احاذر ان تقضي عليـــه العمائم

ولم يكن غريبا ان يتهم محمد عبده بالكفر وانكار كرامات الاولياء ! والخروج على آراء الفقهاء ، بل لقد اتهم بترك الصلاة ، واحسبه كان سيتهم بامور اخرى لو كان في ريعان الشباب !

ومع ذلك فقد مضى الرجل في طريقه بقوة ، ونشا عن حركته ازدهار علمي وادبي وسياسي نقل الامة الاسلامية الى طور اخر من اطوار الحياة والكفاح لم تشهده من الف عام .

ارث الافغاني ومحمد عبده

وما احسب ان مدرسة المنار ، ثم مدرسة محمد فريد وجدي والعقاد والخضري وابي زهرة ومحمود شلتوت والمدني ، وغيرهم من الاسلاميين ، والمد الادبي العظيم في الشعر والنثر الذي تدافع سيله في الايام الماضية وارتقت به اللغة العربية ارتقاء باهرا ، ما احسب ان ذلك كان سيتم لولا حركة محمـد عبده واستاذه جمـــال الدين !

اكان الاستعمار الصليبي او الشيوعي يترك هذا السيل الى مداه ؟ ان شتم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا لا يعنينا لو كان تجريحا شخصيا ، إنه محاولة للقضاء على نهضة امة ورسالة دين !

ماذا قلت ؟ لماذا لا يعنيني تجريح رجالنا والنيل من مكانتهم ؟ هذا خطا كبير!

ان الجهود المجنونة التي تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والادب والسياسة لها غاية يجب فضحها ، والتحذير من مغبتها ، انها تريد القضاء على تاريخ امة ! وعندما تكون امتنا بلا تاريخ ، فلن تكون امة . ما قيمة امة ليس لها رجال ؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالا على تراخي العصور ؟

انه لابد من استنقاذ تراثنا من ايدي المسعورين والهدامين ؟ والواقفين على مبعدة ينبحون القوافل المارة .

محمد الغزالي

ماهب ودب وغنى

الأدباء الذين كانوا فى بيروت الغربية إبان محنتها أيام الحصار الاسرائيلي ، بداوا يكتبون عن ذكرياتهم فى تلك الفترة .

واحد منهم كتب ممجدا دور الفن فى المعركة ضد العدو الصهيونى ، فقال إن المطرب فلان الفلاني كان يطوف على المتاريس ، ويقف بين المقاتلين ، هم يحاربون ببسالة ، وهو يعزف على عوده ويغني لهم مشجعا محمسا ، فهل ما قاله صحيح صادق أم انه كذب بريء ذو غاية نبيلة ؟

للوصول الى الحقيقة ، لا مفر من ان نتخيل ما قاله فى مشهد حي كاننا نشاهد باعيننا ما حدث فعلا : ها هوذا المطرب فلان الفلانى قد وصل الى متراس لمقاتلين يصدون هجوما اسرائيليا ، فوقف بينهم ، وعزف على عوده وغنى لهم .

هذا المشهد المتخيل يحتم طرح بعض التساؤلات الساذجة ..

هل يمكن للمرء ان يعزف على العود وهو واقف على قدميه أم أن العزف على العود يتطلب القعود على الأرض او على كرسي خاصة وإن العود ليس بوقا او دربكة أو طبلا ؟ لنفترض ان المطرب قدير وقادر على فعل مالا يفعل ، ولكن كيف سيصل صوته الى آذان المقاتلين وسط دوي القذائف ؟

لنفترض ان صوت المطرب قدير وقادر على تحقيق ما هو مستحيل ، ولكن ما هو موقف المقاتلين من مطرب يغني لهم بينما هم يواجهون عدوا مصمما على إبادتهم لا هزيمتهم فقط ؟ وهل هم بحاجة فى تلك اللحظات الى مطرب يغني لهم الاغانى الوطنية الحماسية ؟ من المؤكد انهم يحتاجون الى من يقاتل معهم ويمدهم بالذخيرة ويضمد جراحهم ويدفن الشهداء منهم ، ولذا فلابد من ان المطرب فلان الفلاني لن يخرج سالما من المتراس بل سيخرج براس ثقبته رصاصة آتية لا من الاسرائيليين بل من بندقية مقاتل نزق ، وما دام المطرب فلان الفلاني مازال حيا ياكل وينام وينادم ويناقش ويدلي بتصريحات ، فهذا برهان على انه شاهد صورا فوتوغرافية لمتاريس المقاتلين وغنى لها بشجاعة منقطعة النظير يليق بها التكريم والتنويه .

أما ما كتبه عنه ذلك الاديب فهو دليل على ان الصديق وقت الضيق .





بقلم : زكريا تامر

حكاية قديمة جديدة

● كان فى قديم الزمان رجل ظفر بلقب دكتور فى الادب ، فداخ زهوا ، وكان فى بداية حياته مشهورا بالتقوى والصلاح وحسن السيرة ، ولكنه فيما بعد اصيب بعشق الكتابة وخاصة كتابة الشعر الموزون المقفى ، وصار ينظم شعرا عجيبا متاثرا بشاعر آخر كان يرتجل الشعر إبان تجواله فى الشوارع حافى القدمين .

وكان يحلو لحامل لقب دكتور نظم نوع فريد من الشعر الغزلي ، ساعد على ان يكون عدد العشاق فى عصره ضئيلا للغاية وقد ورد فى كتب نقاد ذلك الزمان القديم ان شعر الدكتور يتمتع بصفة فذة هى التلزمق – ونحن نجهل معنى تلك الكلمة وان كنا نرجح انها مصطلح يجمع معاني كلمات عديدة كالتزلف والتملق والالزام .

واصبح الدكتور فيما بعد معلما له تلاميذ وانصار ومؤيدون – راجعوا ما كتبه الجاحظ عن معلمي المدارس – وقد المه الا يهتم به اهل زمانه ، والا تظهر صوره فى الجرائد ، والا تكتب عنه المجلات الابحاث المطولة ، والا يسمع صوته فى المذياع ، والا يحتل شاشات التليفزيونات ، فصمم على اقتحام الميدان الادبي وفرض نفسه فارسا مغوارا ، ولكنه لم يكن يملك جوادا ، فآثر التواضع ، واكتفى بامتطاء صهوة حمار محب للنهيق والرفس ، وانحدر الى ساحة الحياة الادبية ، يده اليمنى تقرع طبلا ، ويده اليسرى مشهرة سيفا من خشب ، وصاح مزمجرا : « هل من مبارز ؟ »

وكان الدكتور ايضا من اصحاب النظريات فى الأدب ، ونظريته الأولى تطالب بان يكون الأديب غير ميت كي يكون ادبه حيا ، وان ينتسب الاديب الى ناد رياضي حتى يتدرب على رفع الأثقال والمصارعة والملاكمة والسباحة والركض كي يكون ادبه قويا . وينبغي للاديب ايضا ان يغسل ادبه يوميا بالصابون والماء الساخن كي يكون نظيفا .

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور المذكور نال فى ختام حياته الاجلال والتقدير ، فمنح لقب (شاعر الاولاد فى كل البلاد) .

وحين انتقل الى عالم المقابر ، حمل الموتى اكفانهم ، ولاذوا بالفرار ولم يتهموا بالجبن .

أبو العلاء المعري أعمى وأصم

يقال ان ابا العلاء المعري لم يمت بل مازال حيا ، واتيح لواحد من المثقفين الاجتماع معه والتحدث اليه ، فساله : « ما هى الاسباب الموضوعية التى ادت الى ان تفقد البصر ؟ » .

ويقال ان ابا العلاء المعري قد اجاب قائلا : « لم اصبح اعمى بسبب اصابتى بمرض معين بل انا الذى فقا عينيه باصابعه حتى يصير لا يبصر ، ولكنني الآن اتمنى ايضا ان اصبح اصم لا يسمع » .

ولابد ان ذلك المثقف قد تعجب وبهت ، وسال المعرى بخجل عن السبب ، ولكن المعري ظل ساكنا مفعما بالازدراء والاشمئزاز .

ولقد حاول فضوليون عريقون معرفة سبب ذلك الازدراء والاشمئزاز ، ففكروا وفكروا ثم قالوا بثقة ان السبب يرجع الى عدد من الأشخاص المثقفين الذين يعيشون فى البلاد العربية ، ولا يعتبرون عربا الا لكونهم ولدوا فوق ارض عربية ، فهم مرضى بعشق كل ما هو اجنبي مستورد ، واحتقار كل ما هو محلي .

انهم حين يبصرون مبنى سفارة اجنبية ترتجف قلوبهم حبورا اكثر مما كان يرتجف قلب قيس لحظة يلمح ليلاه .

وهذا المرض الذى يجعلهم فاقدي الثقة بالانسان العربى وقدراته ، يخفونه بمهارة وراء كلمات حماسية متطرفة متشنجة متعالية ، ويتصرفون تصرف من يمتلك مستشفى تولد فيه وحده الوطنية والتقدمية والانسانية والوعي والنضال فى سبيل غد افضل ، ولذا فهم يصنفون المثقفين وطنيا ، ويوزعون عليهم النعوت ، فهذا شريف ، وهذا خائن ، وهذا رجعي مضلل ، وهذا وطني ، وهذا محدود الوعي ، وهذا متنكر لطبقته ، وهذا بورجوازي صغير ، وهذا مشبوه مدان .

وهم يطالبون بتغيير واقع مسيء الى الناس ، ولكن مساهمتهم فى عملية التغيير تنحصر في الكلام في المقاهي والمطاعم والاقامة المجانية فى دول اجنبية ، واذا رغبوا فى الانتقال من الكلام الى العمل فان عملهم يبدا باطلاق النار على الذى يبتي يصمت فى بلده ، معتبرين ان ثرثرتهم فى اماكن اجنبية فى بلد تقدمي الشعارات هى الكفاح الحقيقي فى سبيل الجماهير الكادحة ، ومعتبرين ايضا ان التطور هو ان ترتدي امراة ما قل من الثياب ثم تتخلى عنها بالسرعة ذاتها التى يقرا فيها القراء بعض الجرائد والمجلات ، فهل اخطا ابو العلاء المعري حين اختار ان يصبح اعمى وتاق الى ان يصير من الصم ؟

الصغار بلا حماية

دخل مواطن عربى فضولى لا اطفال له الى محل لبيع دمى الأطفال ، فما الذى شاهده ؟

لقد شاهد دمى صغيرة لرعاة بقر امريكيين يمتطون الجياد ويشهرون المسدسات بحركات تقطر بطولة وجراة وشجاعة ، كما شاهد فى الوقت نفسه دمى اخرى لهنود حمر متوحشين ، تلوح أيديهم بالبلطات والنار المدمرة ، فماذا فعل هذا المواطن الفضولي ؟

لقد شهق متعجبا مستنكرا . إذن حتى دمى الاطفال العرب لم تنج من محاولة التضليل والترويج للنزعات العنصرية ولاسيما ان تلك المحاولة تكتسب مدلولا خطرا اذا ما ربطت بالمرحلة الراهنة التى تواجه فيها الأمة العربية عدوا احتل جزءا من ارضها طامعا فى احتلال المزيد منها ، متذرعا بحجج شتى .

وتلك الدمى تقدم للعدو التبرير لجرائمه فالمالك الحقيقي للأرض والذى يدافع عن ارضه يصور متوحشا سفاحا ، اما اللصوص الذين يريدون ان يسطوا على ارضه فهم الأبطال الذين يستحقون الاعجاب والحب والاجلال .

واذا كانت الأجهزة الثقافية المسؤولة فى البلاد العربية تستيقظ احيانا من نومها وتتدخل لحماية الكبار من اخطار التضليل الفكرى ، فمن واجبها ان تتدخل لحماية الصغار والحؤول دون ان تكون دماهم والعابهم أسلحة للاعداء .

الوحش أم الإنسان ؟

يصور فيلم سينمائي اجنبي رجلا يضطر الى العيش فى منطقة بدائية لا تقيم فيها الا الوحوش المفترسة .

وينجح ذلك الرجل فى العيش هناك حتى ان نمورا تصبح صديقة له ، تحميه ويحميها ، ويتعاونان معا على تامين القوت اليومي الضرورى .

ثم تجرى محاولة من قبل صديق له لاعادته الى عالم البشر ، فيرفض رفضا صارما ، ويفضل عالم الوحوش المفترسة ، ويجده مكانا صالحا للعيش اكثر من عالم البشر ولاسيما انه يلاحظ ان الوحوش لا تقتل الا عندما تكون جائعة او تشعر بخطر يهدد حياتها بينما الناس الذين يعرفهم مستعدون لان يفترس بعضهم بعضا من غير مبرر .

فهل هذا الرجل شاذ الطباع ، سوداوي المزاج ام ان هناك اناسا باتوا حقا مفترسين واذا ما قورنوا باكثر الوحوش ضراوة فان المقارنة ستخلص الى ان تلك الوحوش ليست اكثر من قطط منزلية تموء ولا تعض ولا تخمش ؟

مهما يكن الجواب ، فمن المهم التذكير ان مناطق الوحوش المفترسة فى العالم قليلة نادرة ، ولا فائدة فى التفكير فى الرحيل اليها .

الانتحار

قال المتنبى لكلماته : « ماذا تفعلن » .
قالت الكلمات : « ننظم قصيدة تمتدح الوزير كافور . »
قال المتنبي لكلماته : « ماذا تفعلن ؟ » .
قالت الكلمات : « ننظم قصيدة تهجو الوزير كافور . »
قال المتنبي ليديه : « ماذا تفعلان ؟ »
قالت اليدان : « نحفر قبرا الكلمات تهجو وتمدح طلبا لمغنم شخصي . »
فقال المتنبي : « فلتكن الحفرة اكبر كي تتسع لدفن صاحب الكلمات . »

فتحقق فيما بعد ما رغب فيه المتنبي ، ولكن كلماته لم تدفن ، وظلت ليلا واحدا وشموسا كثيرة .

مفكرة يابانية "1"



بين المعابد والمصانع

بقلم: جمال محمد أحمد

الكاتب العربي الكبير جمال محمد احمد زار اليابان اخيرا ، وهو هنا ، وفي المقالات التالية ، يروي تجربته مع « المعجزة اليابانية » ويجيب على مختلف الأسئلة حول حقيقة هذه المعجزة ، ومدى قدرة العرب على الاستفادة منها .

ما كان فى بالى وانا اهيىء نفسى البى دعوة مؤسسة اليابان اني ساكتب . لا يكتب عن اليابان غير جسور . انىّ تلفت يلقاك حديثه . أوربا أصابها الهوس منذ مائة عام وتزيد والولايات المتحدة كذاك . واهلها يكتبون منذ عرفوا الكلمة فى زمان بعيد بعيد . حتى اشباهى الذين ما قراوا عن اليابان ما يستحق الحديث ، ولا اتخذوا من أهله صديقا يرون عبره بلاده ، يسمعون عن « معجزة اليابان » الاقتصادية وفى اذهانهم صورة عن اليابانى يحارون معها كيف يحكمون . انهم فى الذى يترامى لنا من انبائهم مزيج من صفات لا تلتقى . تتصادم . لا يجمع بينها جامع ..

يعشقون الفنون عشقا ، واكثر الاحيان لا يرحمون ذواتهم ولا غيرهم من الناس ، يهيمون بالجمال واكثر الاحيان جفـاة غلاظ هم اكثر الناس صقلا وتهذيبا ، ويخدعون الناس وبعضهم بعضا وهم فى الوقت عينه لا يصبرون على طعام واحد ، يتارجحون ، يعملون من فجر يومهم لاخر المســـاء ، يروحون بيوتهم والليل يقبل ، وايمانهم بالأسرة موضع الحديث والغبطة عند غيرهم من الشعوب مع ذاك . اطيب الخلال يمازجها بعض الاحيان نقيض تلك الخلال .

● ●

كل هذا وغيره كنت اسمعه وانا الذى ما عنيت بذاك البلد تلكم العناية . لا حب .. لا مقت ، هيبة ! عاطفة نمتها أكبر الظن قراءة قليلة جداً وافلام عنها ذات مذاق وحده شهدتها فى الخمسينات ، وذات مذاق اخر شهدتها فى الستينات . هوليود مرهفة الحس . لا يعيش المخرجون فيهـــا والمديرون والكاتبون بمعزل عن المناخ السياسى حولهم . يستجيبون اكثر الاحيان لحره وبرده استجابة التاجر لا الفنان . يعطون جمهرة الناس صورة من الذى فى ذهنهم عن الحوادث والاحداث . وكانت مغيظة الولايات المتحدة عقب الحـــرب الثانية ، فصورت المحارب اليابانى صورة معينة بعد الحرب ، وثارت بينها وبين الاتحاد السوفيتى حربهما الباردة ، فمالت الميل كله لليابان تريدها حليفا قادراً على العون ، فصورت اليابان صورة تتفق وهذه الحاجة اليها ، صورة بينها وبين الصورة الأولى كالذى بين السماء والأرض ، كالذى بين الخمسينات والستينات ، بعبـــارة اخرى .

● ●

كان قاسيا ضاريا المحارب ، يتهور يقدم على الذى لا يقدم عليه جندى حصيف . وكان ذكيا فى فنون التلصص والتجسس فى احلك الغابات ظلمة فى مواقع القتال جنوب شرقى اسيا ، ولا ينتهى ذكاؤه ذاك لشىء يحمده . تغتاله اخر المطاف العبقرية الامريكية ! ! يجد نفسه فى الشراك فيقتل او على مقربة من الشراك ، يقتل هو نفسه ، تلك شرعتهم منذ القدم .

هذه صورة اليابانى فى الخمسينات وعقب الحرب كما صورهـــــا الامريكان وصورتها هوليود . ما كانت لهم بها حاجة ، وكانت بيرل هاربر تجسيداً للغدر .

واقبلت الحرب الباردة . شرعت هوليود تسمع نقيض الذى كانت تسمع او ترى جانبا اخفته عنها مرارة حرب الباسفيك ، دخان معاركها فى بيرل هـــــاربر وفى هيروشيما يعشى العيون . عاد المسافرون اليها يقولون انهم راوا السحر الحلال فى جنان اليابان وخضرة تلالها وزرقة بحارها وضروب الفنون فيها ، واتى بعضهم يحمل ترجمات شعر وروايات الشباب اليابانى ، كما خف العلماء لليابان يتسابقون يكتبون عن تاريخها السياسى والثقافى او يذيعون ذكر الذى كتب الاوروبيون من هولنديين وبرتغال واسبانيين وانجليز وفرنساويين ، وبعيد ان ينسى الناس اثر هذا التعاطف مع اليابان ، ان راوا فلم « هيروشيمـــــا حبيبتى » وكثيرون راوه على ايامه ويرونه حتى اليوم ، دخل سجل الروائع ، وهو اهل ان يدخله .

● ●

ذاك تاويل الذى قلت عن لا حب لا بغض هيبة ! وبعيد ان توحى عاطفة كهذه لا طعم فيها ولا مذاق ، بكتابة تستحق عناءك . خال لى هذا وانا اهيىء نفسى للسفر البعيـــد كما قلت . ما كان فى بالى ان انقل لاحد شيئا اراه او احسه .. من ناحية كانت هذه العاطفة المحايدة ، ومن ناحية اخرى ذاك الذى كنت اسمع عن بحر الكتب الطامى ، ما هناك اضيفه انا له .

بعد اسبوعين اثنين من طواف عجل ، ما انستنى وقفة فى معبد عن وقفة فى مصنع ، كما يفعل بالواحد الطواف العجل رايتنى اجنح لنسيان الذى كان فى خاطرى قبل . خضعت للذى خضع له الكثيرون قبلي ممن سمعت انهم اكثر دراية ومعرفة ، اقاموا فى اليابان سنين فى زماننا هذا او الزمان الاول . وخضعت للذى خضع له اليابانيون انفسهم منذ رات بلادهم اثار اقدام الانسان على ارضها قبل خمسمائة الف سنة فيما يقول بعض علماء الآثار ، وهم الذين يقولون لك انهم ما شرعـــوا يحفرون بجد هناك قبل سنة ١٩٤٩ ، ماذا سيكشفون حين تمضى بهم الايـــــام والحفريات ؟ ظلوا يكتبون بالحـــــروف الصينية واللغة الصينية قرونا طويلة ، شقوا منهما لغتهم وحروفهم فى القرن التاسع ، وكان ان كتبوا بهما اقدم كتابين ، هما اقدم ما يملكون الان ، اولهما « سجل اشياء قديمة » سنة ٧١٢ وثانيهما « الخطط اليابانية » سنة ٧٢٠ . ترى القدر الذى كتب اليابانيون بعد هذا ، تجدهم من اكثر الشعوب شغفا بالكتابة عن ارضهم ، سلالاتها ، حروبها ، فنونها ، علومها ، قبل كل هذا اديانها وطقوس تلكم الاديان ، ومعابدها ودياراتها وهى معابد وديارات كثيرة يؤرخ بعضهم بنماذج عماراتها الحقب العدة المتحاربة فى التـــــاريخ اليابانى .

● ●

قصدت حين قلت لك طوافى العجل لم ينسنى بعض الذى رايت بعضا ، انك لا ترى معبدا شبيها باخر ! ولا حديقة قديمة او حديثة شبيهة باخرى ، ولا قبيلا من الناس شبيها بقبيل . ما هناك ما ينسيك اليوم ما رايت امس ، الا فى مقابح هذا الزمان سر نعمائه ، اعنى المصانع . سونى فى ارياف طوكيو مثلا ومازدا فى نن عين هيروشيما . واشهد انى ما رايت فى هذه المصانع شيئا مما تراه من دخان واثار دخان فى اوروبا ، ولا صكت اذنى الاصوات التى تسمع فى مصانعنا المسكينة ، انهـــا عندهم ليست من مقابح هذا الزمان ، طوفت مصانع سونى ، وكانى فى معبد قام عليه رهبانه خير قيام .

● ●

وعدت للخرطوم فى حقائبى احمال من كتب اشتريتها فى مكتبات طوكيو الكثيرة ، وبطاقات الرجال والنساء الذين لقيت ، فكل الذين تلقى هناك يعطيك لحظة لقائكما بطاقة ، واحسبهم يعرفون شكاة الناس من صعوبة نطق اسمائهم اول ما يلقونهـــا ويحبون لك الا تشقى ، وفى حقائبى غير هذا بعض الذى اخترت من تلك الكتب التى تصدرها الشركات والمصانع تروج للذى تنتج ، بعض القائمين على العلاقـــات الخارجية من اهل الفطن . اذكرنى بعد زيارة مصنع مازدا انى قضيت خير شطر من مسائى يوم ذاك اقرا كتاب « ثقافة ومساحة » وارعى الصور التى تتحدث عن جهود اليابان فى احتواء النزوع اليابانى لطموح افرادها فى الحياة الاكثر رخاء ، وما يقتضيه هذا الطموح من مصانع ومزارع تنتج كل الذى يلتقى وهذا الطموح ويفيض ، يفيض كى تبيع المصانع فى عالم تنافس شعوبه بعضها بعضا منافسة تقول « انا فى البدء والختام .. الاخرون للجحيم ! » .

● ●

وكان بى حين عدت وهن واعيـــــاء ، واخافنى اخى المغربى ، وهو الذى رعانى مرات من قبل وما خاف ولا اخاف . ابراهيم المغربى واحد من المؤمنين بجسد الانسان . يكره ان تفسد عقاقير الطب ايقاعه المرصود رصدا من نغمه ، يريد له ان يترك وحاله يمضى سبيله يصلح من خليط النغم بيده هو لا بيد العقاقير ، يقوى من داخل ذاته يصلح عثراته . عنفنى المغربى على رحلتى من طوكيو للخرطوم ، كم وثلاثين ساعة . السفر اليوم يا اخى كما كان امس قطعة من عذاب . كنت اسمعه يقول هذا واستعيد فى خاطرى مضيفات طيران اليابان . اتين هذه الاداة الجديدة من ادوات الحضارة ، بخلال قديمة فى المراة اليابانية . تسرى فى دمائهن عبر القرون ، تعرف تضيف وان تسخو فى الضيافة . علّم الضيافة اسلافهن اول اباطرتهم « جموتنى » ، منشىء الاسرة التى الآن تحكم اليابان ، اقل قليلا من ثلاثة الف سنة ، بدا سنة ٦٦٠ قبل الميلاد . كل الذين كانوا فى بلاطه عرفوا الولائم الباذخة وعنهم اخذ الاخرون ممن لم يكونوا هناك ، تبع لهم وجنود ، الناس على دين ملوكهم ، كما قال الاقدمون صادقين .

لا تغفنيك مع هذا بسماتهن ، يحسب الغر انها له وحده ، لقد ظفر . يجهل انه ما عنا ، والظفر عناء . هكذا رآهن صيدا سمينا وقع ، براد من كاليفورنيا وحداد من « يوتا » شركونى المقاعد الامامية فى الطائرة ، وكن فى الحق يخلبنك ان لم تحاذر . فرط الدربة على هذه البسمات والعيش معها من بعد ، تراك ترجوهن ارفق الرجاء ، لانهم يلبون ولما تسال ، يسقينك يطعمنك كما لو كنت فى دارهن هن ، لا ضيافة الخطوط اليابانية ، وهى فى الحق رحبة موثرة سخية ، قطعة من التراث القديم فى اليابان .

لا اذكر اسم ذلك الحىّ من احياء طوكيو

الذى رحته مع واحدة من اللائى يصحبنك من مؤسسة اليابان يرعينك بانجليزيتهن الملحونة ثقفنها شهورا فى نيويورك او لندن اشتريت حاجتى وشرعت اعد لصاحب المتجر ثمنها بعملة اليابان ، قصرت يدى . شرعت اسائله اين ابدل الدولار كى افي له حقه . تراطن مع صاحبتى وعرف انى قادم من بعيد . مد يده يحيينى تحيات اهل ذلك البلد ، وعرفت انه لا يريد لى أن اروح أبدل نقودى الاجنبية افي حقه . رحت احمل حاجتى ، اسائل نفسى اين يقع هذا فى ايامنا هذه اللاهثة على الفلس !

• •

ما كان فى بالى ان اكتب ، نعم ، كان فى بالى ان امضى مع حديث « الروايـــة والتاريخ » فى الدوحة ، قصة هوتنى منذ حين وما فرغت لها الا قبل شهور . كان فى بالى ان اتابع هذه القصة اكتب عن خيبات القارة الافريقية فى السبعينات ، كيف صورتها الرواية الافريقية انذاك ، احب ان اعود لها بعد مفكرة اليابان هذه التى اكتب الان ، وقد اوحت لى ايامى هناك ، كما قلت قبل قليل ، ان الذى كتب الذين يعرفون اكثر لا يعنى انى ما احسست احساسى الخاص ، وحثنى على الكتابة حثا ما قرات بعد عودتي من حديث محمد جابر الانصاري فى الدوحة يرجو مدخلا عربيا للتجـــربة اليابانية ، وانا اقرا اكثر الذى يكتب الانصارى فى الدوحة بقلب عاطف محب ، انه واحد من كتاب هذه الفترة فى حياة العرب ، الذين لا يلفون فى الفضول . لا يحوم حول الذى يريد ان يقول ، يقوله بالاقتصاد المستطاع فى العربية ، وهى لغة ان لم تلجم جماحها تلجمك ، تجدك اسير عذوبتها تنسى انها ايضا دقيقة ، شرعت بعض الايادى عندنا تروضها ترويضا لتكون مراة هذا الزمان ، وكانت مراة كل زمان قبل . ان عزوا عزت ، وان وهنوا سعت لتبقى على قدراتها ليوم يجىء ، والانصارى فى الذى ارى مما يكتب ، واحد ممن يعينون اللغة على ايام هذا الوهن الذى نحياه لتظل حافظة على قدراتها ليوم افضل .

فى حديث الانصارى فقرات تســتاثر باهتمامك لانك معها ، واخرى تقف عندها تحب ان تجادله ، لا تراك معها ، وفقرات تلقاك حين تقرؤها انك بين بين لا معها ولا عليها . انا مثلا مع الذى يقول عن التفاعل الاعمق مع المعجزة اليابانية « بالنفاذ الى جوهر الحضارة الجديدة لدى هذه القوة الشرقية » عوض الاكتفاء بالتعامل على السطح الاستهلاكى المظهرى المادى كما يقول . واراني نافرا حين ينذر الصين واليابان يقول « على اليابان والصين وكوريا وغيرها ان تدرك بوضوح من الآن .. أن مستقبل علاقة العرب التاريخية الجديدة معها هو رهن بهذا التفاعل الحضارى قبل كل شىء وتجنب المصلحة الانتهازية ... » الى اخر الذى يقول فى هذا الصدد ، وكانه يملك من حقائق صلاتنا مع هذه الشعوب شيئا اتى من جانبها كرهناه او اخر اتى من جانبنا نحن قعدوا هم عن الاستجابة له . لو كنت فى الذى اكتب الآن معنيا بالسياسة العربية ومواقف الشعوب منها ، لوقفت عند زورة عرفات لطوكيو ، ولوقفت عند الذى كان من امر مطار اللد قبل سنين ، وما كان حقا محضا ذاك الذى وقع . كان ايمان شباب فى اليابان نما على مقت الحيف والعدوان ، واذاقة الغرب الهوان .

• •

الفقرة التى اقف اتملاها ، اجدنى بين بين فى الذى تقول ، هى تلك التى تصف « الدراسات الفرنسية » تمدح ما تتصف به من تفهم واعتدال وتذوق حضارى . لا املك ما يحملنى على الايمان بهذا ، ولا ابعد عن الحقيقة ابدا ان قلت ان فترة الفتنـــة الأوروبية باليابان كانت قصيرة من ناحية ، وكان جملة الفتنة كتاب فرنسيون « زولا » مثلا .. ومؤلفون موسيقيون أوروبيـــون « بوشيني » مثلا . ان مضيت فى « مفكرة اليابان » هذه اعود لفترة الفتنة تلك ، فهى تستحق ان يقف عندها الواحد . كانت الفتنة فى اخريات القرن الماضى حين نزعت اوروبا لتعرف بلد الغموض ذاك ، ونزعت اليابان لتعرف مداخل ومخارج العلوم التى جعلت من اوروبا سيدة ، ومن الاخرين فعلة لديها ، يحملون العشب والماء .

• •

ارجو الا ينفطر قلب الذين سيقراون « مفكرة اليابان » ان احسوا من الذى اقول انى اخاف علينا الا نستطيع الانتفاع بمعجزة اليابان . بين تاريخنا وتاريخ اليابان ما يحملنى على اليقين بان طرائقنا ما التقت قبل . بعيد أن تلتقى بعد . الانصارى يكاد ان يقول قولتى هذه لكن بكلماته ، حين ياخذ العبرة مما مضى . يحدثنا عن الذين « انبهروا بالمعجــزة اليابانية » ويقرر صادقا ، « ان النصر اليابانى المبكر لم يتحول الى نصر للشعوب الشرقية الاخرى ، وخاصة العرب الذين تواصلت تراجعاتهم وتجزئة اوطانهم من قبل القوى الغربية » . اريد لك ان كنت واحدا من الاخيار تطير قلوبهم شعاعا ان سمعوا ما لا يتفق وما يحبون ان يسمعوا ، ان تعيد البصر كرتين حين اقول لك الا سبيل لنا للتجربة اليابانية ، « لتصحيح المسار العربى على الصعيد الحضـــارى الشامل » . تجاريبنا فى الفكر والعمل توحى لى ان ماضينا ما عرف طريقه للمستقبل بعد وتجارب اليابان عرفت طريق المستقبل للماضى الذى كان فى ازدهاره وزهوه قريبا من الماضى الذى ما وجد عندنـــا طريقه للمستقبل .

• •

هذه دعوى عريضة ، سادلل على صحتها بالذى فعل اليابانيون حين وقفوا وجها لوجه لازمة كادت أن تعصف بكل شىء عندهم ، تلك ازمة هزيمتهم فى حرب الباسفيك . سترى اسطورة بقاء عنيد . قابل بين عنادهم الفناء وبين « الاعتدال » الذى نتنادى به هذه الايام ، والاعتدال الذى تريده له ايامنا ضرب من الصبر :

لست على الصبر مثنيا ابـــدا
ما صـــحب الصبر غير ذى شجن

والعقاد رحمه الله ، يصدر فى الذى يقول عن تجاريب عاشــــــها ، وقط ما « اعتدل .. »

جمال محمد احمد ـ الخرطوم

كيف تُؤَرْنَبُ صقراً؟

بقلم: أبو عروبة



لغوياً : « تارنب الصقر : تحول من صقر الى ارنب » .. ومن اجمل ميزات لغتنا العربية طواعيتها لمثل هذه الاشتقاقات البلاغية . من ذلك قولهم : « استنوق » و « استاسد » ومعناهما معروف . أما فعل : تارنب يتارنب تارنبا فمعناه : تحول من كائن . شجاع عزيز النفس ، جبار بعيد الهمة . طموح شهم شجاع ، الى كائن ارنبي الوجه واليد واللسان ، جبان ، انطوائي منكمش ، لا ابالي ، لا هم له الا معاناة ذعره الأبدى ..

والواقع ان صيغة فعل « تارنب » فيها شيء من الكذب والتجني . فالانسان لا يتارنب من تلقاء نفسه وانما تؤرنبه ظروف خارجية ساحقة ماحقة كتلك الظروف الرهيبة التى مرت على وطننا العربى خلال العشرين سنة الماضية فارنبت فيه الاخضر واليابس . ويبدو أن الارتئناب عسير التطبيق ، خصوصاً فى عالم الطفولة التى تصر على الايمان بانها ولدت حرة ومن نسل كريم وهذا ما دفع باحد الأدباء العرب لان يطرح التساؤل التالى :

(هل سمعتم عن تلك الحجارة الصغيرة التى القتها طالبة عربية من نابلس فى وجه حاكم المدينة العسكرية المتغطرس فشجت جبينه ؟ .. لنقف اجلالا لتلك الحجارة التى بزت المدافع والدبابات النائمة فى اوكارها . ولنعلن بكل امانة أن كف هذه الطالبة الشجاعة اكثر قوة من كل الاكف المخادعة التى ترتفع فى الهواء بطريقة يتقنها الممثلون من الساسة) .

ومن وجهة نظرنا بصفتنا لا نهتم بغير اللغة ، فان كلمة « اوكار » هى الجوهر فى كلام هذا الكاتب العربى الشريف .

فالاوكار تعود بنا الى حديث الارانب والارتئناب ، الذى هو ظاهرة غير عربية على الاطلاق . فالعرب مفطورون على الاستئساد ، وهو عكس الارتئناب تماما . وربما لهذا السبب كان للاسد فى لغتنا الجميلة مائة اسم ، ويقال : بل ان له حوالى خمسمائة اسم ، بينما ليس للارنب فى لغتنا الجميلة من اسماء الاكلمة « ارنب » فقط لا غير . فياسبحان الله ما ابدع مدلول ذلك .

وكل هذا الكلام الطويل كتبناه ليكون بمثابة مقدمة لنظرية طريفة اجبرتنا مطالعة اخبار الاطفال العرب فى الصحف على استنباطها . وهذه النظرية تقول : « ان عرب اليوم ـ بالنسبة للاطفال ـ عربان :

كيف تؤرنب صقراً؟



منهم من ينظر الى الاطفال على انهم ارانب سيصبحون عندما يكبرون مجـــرمين وحشاشين وعجزة وجهلة بفضل الاهمال المنهجي المدروس جيدا .. ومنهم من ينظر الى الاطفال النظرة الانسانية التقدمية الجميلة ، اى انهم رجال الغد واسود المستقبل ، فينشئونهم على هذا الاساس .

لكن لسوء الحظ ان العرب ، رغم كونهم امة واحدة بشهادة جميـــع الاطراف ، لا تزال لدى بعضهم لوثة المدرسة الثانية : مدرسة الأرانب او مدرسة تحويل الصقور الى أرانب .. لذلك ، وحتى لا يستفحل هذا الوباء ، ولان ما يجرى فى اى بلد عربى صغير يؤثر على مصير الأوضاع فى الوطن الكبير كله ، رأينا من الواجب أن نعرض مسلسلا لعدد من المشاهد ذات العلاقـة ، لعلك قارئي العزيز تسهم معنا ، وانت العربى الشهم ، فى انقاذ الاطفال العرب من ويلات اصحاب نظرية « كيف تؤرنب صقرا» .. والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

المشهد الأول :
يوم السيدة الفاضلة

(١) حي هادىء فى مدينة عربية جميلة على البحر . شارع نظيف . بنايات حديثة . قصور منيفة ذات حدائق ظليلة .

(٢) طفل نحيف اصفر الوجه رث الثياب يبحث عن شيء ما فى برميل نفايات عند باب بناية ضخمة . انه مثل ارنب لكن عيناه توحيان بانه كان « مشروع صقر » ذات يوم .

(٣) انا توقفت لاتامل المشهد واتذكر قول شاعر معاصر عن هذا الطفل :

« كنوز الأرض ملك يديه وهو الجائع البائس » او شيئا من القبيل ..

(٤) مرت سيارة انيقة طويلة جدا . انها تتمهل للتوقف . لاحقت السيارة بنظرى . السيارة توقفت امام مدخل حديقة قصر . على باب القصر لافتة كبيرة مكتوب عليها : « المؤتمر الحادى عشر للطفولة العربيـــة السعيدة » ..

(٥) ينزل السائق ذو الثياب الانيقة ، يفتح باب السيارة الخلفى منحنيا بكل احترام . تنزل سيدة جليلة يتدلى من عنقها عقد لؤلؤ طويل . ترمي عقب سيكارة فيتلالا الذهب الذى يحلي اصابعها .. تمشى .. تدخل قصر مؤتمر الطفولة السعيدة ..

(٦) الطفل اباه يقبل مسرعا كالصقر ، ويحط على عقب سيكارة السيدة كالصقر ايضا .

ـ لكن اى صقر هذا يا عزيزى السائق؟

(٧) السائق يخبرني هامسا : إنها امرأة عظيمة . تصور : إنها رغم كل ما أنعم الله به عليها من ثراء مهتمة منذ عشرين سنة بموضوع الطفولة السعيدة .. ويا سبحان الله يا اخى .. كلما تضاعف اهتمامها بتوفير السعادة للاطفال الفقراء كلما تضاعفت ثروتها .

(٨) تركت ذلك السائق المخيف ومضيت .. يوما ما ساكتب له رايي به وبسيدته فى رسالة . وساعرف عنوانهما من نص خبر سوف تنشره الصحف عن مكان انعقـاد المؤتمر « الثانى عشر » للطفولة السعيدة او المؤتمر الثالث والعشرين .. فمـــا دام المؤتمرون من امثال هذه السيدة فان هذه المؤتمرات لن تتوقف الى أبد الآبدين .. والله اعلم .

المشهد الثانى :
يوم السعال الثقافى

(١) ارتديت شخصية المثقف النموذجى المدعو الى ذلك المؤتمر الظريف . فلبست احسن ثيابي ، ووضعت نظارات سميكة ، وتابطت عددا من الصحف والمجـلات الاجنبية ، وتدربت على طريقة سـعال المثقفين .. وحين دخلت قصر المؤتمـــر سعلتها سعلة ثقافية عند الباب ، بان وضعت قبضة يدى امام فمى وسعلت بلطف وايقاع خفيف هامس . فنظر إلى موظفو الاستقبال باحترام عظيم وانحنوالي باحترام اعظم وهم يشيرون الى باب قاعة الخطابات .

(٢) فى القاعة ثمة رجل يخطب متهما من دعاهم (مثقفينا) بالتهرب من واجب الكتابة للاطفال ، ومتهما ـ فى الوقت ذاته ـ مثقفينا الذين يكتبون للاطفال بانهم (لا يحسون بالاثر الذي تخلفه كتاباتهم فى هؤلاء الأطفال . فقد اتضح مثلا ان ٤٥٪ من الحالات التى قام فيها ابطال قصص الأطفال بعدوان ما قد تركوا دون عقاب . مما يشجع الأطفال على اتباع نفس السلوك . كما ان ما يصدر الآن من كتب الأطفال بعيد تماما عما نعيش فيه ..

(٣) سعلت وآثرت الصمت .

المشهد الثالث
يوم الشرطى السعيد

(١) مدينة فى تلك البلاد الأوربية الشمالية التى يقال ـ والعهدة على الراوي ـ انها من ارقى بلاد العالم . حديقة عامة جميلة جداً . شمس خجلانة ، اناس يدخلون الحديقة ويجلسون على مقاعد مصـفوفة امام مسرح مؤقت مكتوب فوقه : (الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على انقاذ اخر امي فى البلاد من لوثة الامية) .. ورغم كثرة هؤلاء الناس فانك لا تكاد تسمع صوتا غير صوت تغريد الطيور فوق هؤلاء الرجال والنساء والأطفال .

(٢) شرطى ياتي ليشارك فى الحفل . اناقة ثيابه تجعلك تشتهى لو كنت شرطيا .

(٣) طفل يترك يد امه ويقبل نحو الشرطى ويستوقفه ويساله ، بعد التحية ، (اين صفارتك ؟) . الشرطى يبتسم ويداعب الطفل ويقدم له صفارته . ولكنه ينبهه همسا الى ان التصفير فى هذه الحديقة ممنوع (حتى لا تزعج الطيور) .

(٤) الطفل ياخذ الصفارة ويطير نحو امه على جناح الفرح .. يهمس فى اذن امه بكلام ما .. ربما كان يخبرها ان هديته هذه هى صفارة من ذهب .

المشهد الرابــع
يوم الشرطى التعيس

(١) عاصمة عربية ضخمة جداً ، كل ما فيها يوحى بان كل من فيها يبحث عن اي عمل ليعيش فى الاقل .

(٢) حى شعبي فقير . شارع مزدحم بالناس والوحول وقشور الخس والروائح الرطبة .. اعلان جداري ضخم جداً عن فيلم سينمائى بعنوان (امراة سيئة السمعة) وفيه صورة فتاة جميلة شبه عارية فى وضع صريح الاثارة . ولد حاف يتــامل الصورة .

(٣) شرطى ضخم رث الثياب ممسك بطفل رث الثياب ايضا ويسوقه امامه بقسوة .

(٤) لا احد من اهل الشارع يهتم بالمنظر .

(٥) الطفل يصرخ بالشرطى : اتركنى .. اتركنى .

(٦) الشرطى يدفعه امامه بقسوة اشد .

(٧) رجل محترم يعترض الشرطى ويستوقفه قائلا :

« حرام عليك يا حضرة الشرطى .. الا ترى انه طفل لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره بعد ؟ »

(٨) الشرطى يرد غاضبا : « ومع ذلك فهو مجرم خطير . لقد ضبطت معه ٢٨ قطعة حشيش »

(٩) الطفل يعترض ويخبر الرجل المحترم : « بل انها ٢٩ قطعة » ثم يلتفت الى الشرطى « هل تريد ان تختلس واحدة منها لنفسك ؟ »

(١٠) الرجل المحترم ينفض يديه يائسا وهو يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(١١) ثبت لدينــا بالوجه الشرعى انه لا الشرطى شرطى ، ولا الطفل طفـل ولا الرجل المحترم رجل محترم ، ولا انا كاتب تقدمى ، بدليل اننى بعد كل هذا اكتفى بان اختتم المشهد بقولى : « تنطفىء الصورة تدريجيا » .

المشهد الخامس
يوم الافــلام الممنوعة

(١) قاعة مؤتمر الطفولة العربية السعيدة . امراة تخطب بحماسة : « بعد ٤٥ سنــة من الانتـــاج السنمائي لم ننتج قبل عام ١٩٧٤ اي فيلم للاطفال .. ثم انتجنا ثلاثة افلام فقط للاطفال مجموع طولها كلها ٥٠ دقيقة » .

(٢) شاب يهمس فى اذنى :

« ومع ذلك فان هذه الافلام لم تر النور . إما لانها غير مفيدة او لانها تبشر بقيم ضارة بالطفل . »

(٣) ابتسمت لذلك الشاب وهززت راسى شاكراً . فليس احسن من الصمت لمن يتذكر « مساعدات فرانكلين »

المشهد السادس
يوم البرتقالة والشعر

(١) مقهى رصيف حديثة جميلة هادئة مقابل قصر مؤتمر الطفولة السعيدة .. صحفيان شابان جالسان على طاولة منعزلة .. واحد منهما يشير الى لافتة المؤتمر الكبيرة ويقول :

يا اخى ما اعجب اصحاب هذا المؤتمر ؟ .. كيف يبحثون فى امر « السعادة » بينما عندنا فى هذا القطر سبعون بالمائة من الذكور اميون وتسعون بالمئة من الاناث اميات ؟

(٢) الصحفى الثانى : خفض صوتك يا عزيزى حتى لا يسمعنا احد من اخواننا فى الاقطار العربية الاخرى .

(٣) الصحفى الاول : وهل تظن أن هذه البلية عندهم اخف وطاة ؟

(٤) واحد منهما يخرج من جيبه برتقالة يقشرها غاضبا ، ياكلها وكانه ينفس عن غضبه بها .

(٥) ملاحظة : من الممكن حذف اللقطة الاخيرة إذ ان البرتقالة محشورة فى المشهد حشراً ، مثل اكثر « حشوات » القصائد الحديثة التى تمتاز البرتقالة عنها بان لها طعماً فى الاقل .

المشهد السابع
يوم الكلام النظرى

(١) رجل يحب النظريات كثيراً .. انه مغرم بكل ما هو نظرى و « عميق » .. يصل الى بيته وقت الغذاء وتحت ابطه كدسة اوراق ..

(٢) يخبر زوجته بفرح عظيم وهو يقدم لها تلك الاوراق :

« كتبت اليوم دراسة نظرية عظيمة جداً بعنوان « ثقافة الطفل » » .

(٣) زوجته تاخذ الاوراق وعينها على ثيابه الملوثة بوحول سوداء من فوق الى تحت : « من اين جاءتك هذه الوحول يا عزيزى ؟ »

(٤) الرجل يصحح معلوماتها : « هذه ليست وحول .. فانت تعرفين نهر المجارى الطافح فى الساقية وسط الزقاق : مرت سيارة مسرعة فغمرتنى بتلك المياه القذرة .. تصورى يا عزيزتى مدى جهل ذلك السائق فهو لم يبطىء من سرعته رغم انه كان هناك عدد من اطفال الزقاق يلعبون قرب نهر المجارى الأسود .. »

(٥) الزوجة : بل ما اشد جهلك انت .. كيف تكتبون نظريات عن ثقافة الطفل قبل أن توفروا الوسط المعيشى الصحى للطفل ؟

المشهد الاخير
يوم القرارات الحاسمة

(١) رجل يقرا فى جريدة ان المؤتمر الحادى عشر لسعادة الطفل العربى ، الذى استطاع ان يحشـــد اكثر من خمسمائة «خبير » ومتخصص ودارس فى مجال ثقافة الطفل ، لمدة ثلاثة ايام ، اصدر قراراً بتخفيض رسوم دخول الأطفال للسينما .. واحال بقية المواضيع على جدول اعمال المؤتمر الثانى عشر القادم .

(٢) الرجل يضحك .

(٣) الصورة تنطفىء تدريجيا ..

ابو عروبة



الخميسي.. والمنفى.. وأنا

بقلم: محمود السعدني

وعلى خشبة المسرح وجد الخميسي نفسه . ولأول مرة فى حياته يخضع ويمتثل ! كان اول من يحضر واخر من ينصرف . وكانت مسرحية .. «عزبة بنايوتى» .. من تاليفى ومن اخراج وبطولة عبد الرحمن الخميسى .

والحق اقول ان الخميسى كان يمكن ان يتالق كمخرج مسرحى لو انه سلك هذا الطريق . فقد اضاف الى النص باخراجه ابعادا جديدة .. واثرى فهمه للنص جو المسرحية وبروز شخصياتها العديدة . واستطاع المخرج الخميسى ان يصنع نجوما من شباب حديث السن يضع قدمه لاول مرة على خشبة المسرح . وكان دور « القلش » هو اعظم دور لعبه أبو الفتوح عمارة فى حياته بالرغم من انه ازدهر واشتهر بعد ذلك .

وكان مسرح الخميسى هو الذى لفت انظار الحكومة إلى خطورة الدور الذى يمكن ان يقوم به المسرح ، واقطع بانه كان السبب فى انشاء مسارح التليفزيون التى اسسها امين حماد ، ثم نسب الفضل بعد ذلك الى الدكتور حاتم والدكتور زهران !

وكانت فرصة كبيرة عندما طفت ريف مصر وصحاريها مع مسرح الخميسى نعرض « عزبة بنايوتى » على الجماهير ، احيانا فى مسارح ، واحيانا فى الحقول ، واحيانا اخرى فى سرادقات اقيمت خصيصا لهذا السبب . ولم ار الخميسى فى حياتى متالقا وراضيا وسعيدا كما رايته فى تلك الفترة التى امتدت حوالى العام . كان يحب الصياعة ، وقد بدا مسرورا لهذه الرحلة التى جمعته مع فرقة من الصياع ! وكان يعشق الريف وخصوصا فى لحظات الفجر ، وهو الوقت الذى يتاهب فيه الخميسى للنوم . وقد عاش تلك اللحظات كثيرا خلال عام التجوال .

واكتشفت شجاعة الخميسى خلال رحلة المسرح . لم تقف فى طريقه عقبة ، ولا صده عن هدفه حاجز . ذات مساء غاب ممثل ولم يحضر فى موعده . واقترحت على الخميسى تاجيل العرض تلك الليلة ، ولكنه اطرق قليلا ، ثم طلب منى الصعود على المسرح لأداء الدور باعتبارى المؤلف واحفظ المسرحية عن ظهر قلب . ورفضت فى البداية ، ثم وافقت . ومرت الليلة بسلام رغم ارتباكي على المسرح . وذات مساء اكتشف المنظمون للحفل صعوبة اقامة مسرح ، ولكن الخميسى وجد الحل . وقدمت الفرقة المسرحية على مصطبة فسيحة من مصاطب القرية .

كان الخميسى فى تلك الايام فى حالة حب . كان غارقا لشوشته فى حب فاتن الشوباشى ، نجمة الفرقة .. وزوجته فيما بعد . واعتقد ان فاتن الشوباشى كانت حب الخميسى الوحيد خلال حياته الطويلة . واعتقد ان هذا الحب كان سر الالتزام والنشاط والاقبال الشديد على الحياة .

ولكن حماس الخميسى للمسرح وللفرقة فتر بعد زواجه من فاتن . وتعلق الخميسى بالموسيقى فجاة . وانهمك فى دراسة النوتة الموسيقية ، وانشغل فى دراسة العزف على البيانو . وانتهى خلال وقت قصير من تاليف ثلاث قطع موسيقية سجلها على اسطوانات وباعها لشركة من شركات القطاع العام . ولكن موسيقاه لم تكن فى مستوى الفنون الاخرى التى ابدعها الخميسى . واضطر الى هجر الموسيقى بعد ان تولاه كامل الشناوى بتشنيعاته .

وقد روى كامل الشناوى أن الخميسى دعاه لسماع اسطوانة لومومبا .. وكان شهيد افريقيا قد لقي مصرعه على يد قوات موبوتو منذ وقت قصير . وجلس الشناوى واصدقاؤه يستمعون الى موسيقى « لومومبا » بينما الخميسى يشرح لهم بعض الحركات الموسيقية فى القطعة . فهذه الجملة الموسيقية تشرح بداية مجد « لومومبا » ، وهذه تعكس كفاح « لومومبا » بين صفوف شعبه ، وهذه تحكى مدى المعاناة التى لقيها اثناء فترة كفاحه .. ثم انتصار « لومومبا » ووصوله الى السلطة ، ثم المؤامرة ضده ، وانتصار الثورة المضادة ثم مصرع « لومومبا » فى النهاية !

ويحكى كامل الشناوى وهو يضحك ضحكته العالية : « وعندما انتهت الموسيقى انبعث من الاسطوانة صوت المذيع يعلن : والان استمعتم الى قطعة موسيقية من تاليف الاستاذ عبد الرحمن الخميسى بعنوان شارع الهرم ! » وكان


امل دنقل


صلاح عبد الصبور


كامل الشناوي

الخميسي هو مؤلف القطعتين ، واخطا عند وضع الأسطوانة ، فوضع « شارع الهرم » بدلا من « لومومبا » ، ولكنه لم يفرق بين القطعتين !

وسواء كانت تشنيعة كامل الشناوى حقيقة ام مجرد افتراء ، الا انها كانت تعكس حقيقة موسيقى الخميسى . فلم يكن الخميسى مؤلفا موسيقيا ، وان كان من اكثر الناس تذوقا لها . وهجر الخميسى الموسيقى واتجه الى السينما .. مؤلفا ومخرجا وواضعا للموسيقى التصويرية وكاتبا للسيناريو والحوار ! واخـــرج الخميسى فيلمه الأول « الجزاء » ، وهو فيلم وطنى جيد لولا فقر الانتاج . فقد ظهر فى الفيلم عسكر انجليز فى لون اهل النوبة ! وعندما ابديت ملاحظتى للخميسى ، كان جوابه .. مفيش فلوس !!

ولكن الفيلم رغم فقر الانتاج كان جيد الاخراج . والقصة كانت من النوع الذى تتحاشاه السينما المصرية .. فهى عن كفاح الشعب المصرى ضد الاحتلال . وكان هذا افضل افلام الخميسى .. لأن فيلمه عائلات محترمة كان اشبه بافلام حسن الامام . اما فيلم « زهرة البنفسج » والذى قلم عادل امام ببطولته ، فقد عرض فى دار للسينما لمدة ثلاثة ايام فقط لا غير !

لم تكتمل تجربته السينمائية . وتوقفت لأسباب فى الخميسى نفسه . فالوقت فى السينما قيمة كبرى . وهو يترجم الى فواتير تضاف الى حسب الانتاج . والمنتج الجيد هو الذى ينتهى من اعداد الفيلم فى فترة معقولة . ولكن لأن البساط احمدى عند الخميسى ، فقد استغرقته الديون . وامتنع كبار الممثلين عن العمل معه . والسبب أن الخميسى ليس تاجرا ، ولكنه فنان . وهو يريد ان ينتج افلاما ويعيش حياته فى نفس الوقت . وهى معادلة صعبة فشل الخميسى فى تحقيقها . وخرج من مولد السينما بفيلم جيد ، وفيلم هزيل ، وفيلم سيىء للغاية !

وعاد الخميسى من جديد عند مفترق الطرق لا يدرى أين المسير .. والمصير !

وفجاة هزته فاجعة رهيبة ، هى وفاة زوجته فاتن فى حادث اليم . ولا اعتقد ان الخميسى اهتز فى حياته إلا مرتين : مرة عندما خاض تجربة السجن . ومرة عندما واجه كارثة وفاة فاتن .

ولا اقصد ان السجن هز الخميسى بان خلع قلبه من مكانه ، بالعكس .. لقد كان الخميسى ثابتا طوال فترة السجن ، وواجه المحنة بشجاعة وصمد لها حتى النهاية . ولكن السجن ترك فى نفس الخميسى اثرا لا يمحى . وكان يردد دائما بمناســـبة وبلا مناسبة : « كل شيء مكلبش فى السجن يا ابنى . الشمس مكلبشة والنهار مكلبش والهواء مكلبش والحياة كلها مكلبشة » ! وظل بعد السجن يضيق بالجلوس فى الاماكن المغلقة والاماكن الضيقة . وكان يحب الخلاء والهواء الطلق والبيوت الفسيحة .

وكانت فاجعة موت فاتن اقسى على نفسه من اي حادث وقع له فى الحياة . انطوى الخميسي على نفسه فترة من الوقت وتفجرت فى داخله ينابيع الشعر بعد ان خيل للناس انها جفت . وكانت قصيدته فى فاتن الشوباشى هى اعظم ما كتب بعد شعره الرومانسى الحالم القديم . كانت قصيدة شاعر حزين ومكلوم بالفعل . واذا كانت النظرية تقول : « ان اجمل الشعر اكذبه » .. فقد اثبت الخميسى العكس ، واكد على ان .. اجمل الشعر اصدقه !

ولكن لأن الخميسى قوى ، وحبه للحياة اكبر من اى حب وابقى من اى حب ، فقد تغلب على المحنة بعد فترة ، ومارس تجربة الشعر ، فنه الاول والاصيل . ولكن شعره الجديد كان يختلف عن شعره القديم كل الاختلاف . كان شعرا منثورا اقرب الى الشعر الافرنجى منه الى الشعر العربى . كان شعرا فاقد الروح والحرارة . وكان الخميسى يؤرخ به لاحداث يومية . وكان يحتل فى خانة الشعر المعاصر مكانا فى الذيل .

ومن هنا بدات ماساة الخميسى !

فقد سبقه فى هذا اللون من الشعر فرسان احتلوا ذرى عالية وقمما شاهقة . كان هناك صلاح عبد الصبور وحجازى وامل دنقل . فانصرف الخميسى بكل مواهبه الاجتماعية لينقل شعره الى العالمية . ونجح فى ترجمة شعره الى لغة اجنبية . واهتم به بعض المستشرقيـــن وبعض هواة الأدب العربي من الخواجـــــات ، وتخصص بعض التلاميذ فى معاهد موسكو وبرلين فى دراسة ادب الخميسى وشعر الخميسى . وتخصص بعضهم فى الخميسى نفسه . وحصل طلبة من هؤلاء على درجة الدكتوراه فى الخميسى وادبه .

واستهوت الحركة الجديدة الخميسى ، فانحاز بشعره الى العمل السياسى من اجل التقدم والتطور والسلام . ولم يعجب السلطة الحاكمة الوقف الجديد للخميسى ، فبدأ الحصار . واحس الخميسى بانفاس العسس ووقع خطوات المخبرين . وشعر بان قضبان السجن تطبق عليه .. ففر هاربا ولجا اول الامر الى بيروت .

والحق اقول ان الخميسى كان من اشد الناس ثورة على الأوضاع المتردية فى مصر فى السبعينات . ولذلك كان خط الرجعة الى مصر مقطوعا امامه .. وكان المنفى مفروضا عليه . ولكن لان الخميسى كان له رأى فى لبنان ، وكانت له قصيدة شهيرة فى وصف بيروت ، حيث كل شيء معروض للبيع فقد غادر الخميسى بيروت ذات يوم واختار بغداد منفى له .

وهكذا اصبح الخميسى منفيا ، وصار قدره ان يعيش خارج مصر .. وهو الامر الذى لم اكن اتصوره ، ولا اعتقد ان الخميسى كان قادرا على تحمله . ولكن هكذا شاءت الاقدار .. الخميسى فى المنفى ، وبعيدا عن مصر ..

ولكن هذا حديث اخر .

خطف الخطف

أو.. قصة أمير فذ

بقلم : فتحي رضوان

قبل أن تنتهى ثورة سوريا بقيادة سلطان باشا الأطرش فى سنة ١٩٢٦ ، كان هناك طرف ناء فى العالم العربى لم يسمع عنه العرب كثيراً ولا يزال ما يسمعونه عنه الى الآن اقل القليل ، ذلك هو ريف مراكش ، فى الشمال الشرقى من المغرب ، قد بدا يثور .. ويتمرد ، ويأتى ابطاله بالغرائب والعجائب ، بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم .

فمن هو هذا الأمير الفذ ؟

حدثنى عنه الزعيم التونسى الكبير عبد العزيز الثعالبى ، الذى حمل فوق كتفيه عبء النضال الوطنى فى تونس ضد الاحتلال الفرنسى لسنوات عديدة كابد فيها السجن والاعتقال والتشريد ، واخيرا النفى الى مصر ، حيث طالت اقامته ، والف اهل القاهرة ان يشهدوا ذهـــابه وايـــابه فى شوارعها ، وارتياده بعض مقاهيهـــا . ومشاركته فى ندواتها الأدبية والدينية .

قال عبد العزيز الثعالبى :

الأمير محمد بن عبد الكريم ينتسب الى الأسرة الخطابية وهى اسرة عربية عريقة فى الريف تتقلد زعامة قبيلة (بنى ورغائل) وهى قبيلة بربرية تقطن الشمال الشرقى من بلاد الريف ، وهى اكثر القبائل عددا ، واقواها نفوذا ، واعلاها صيتا فى العرب ، واغلب رؤساء هذا البيت الرفيع اشتهروا بالبطولة والبلاء الحسن فى قتال الاسبان .

وقد ولد هذا البطل فى أوائل القـــرن الرابع عشر الهجرى (القرن التاسع عشر الميلادى) . وقد شب وترعرع فى حجر والده ، ودرس عليه مبادىء العلوم الدينية والعربية ، ثم رحل الى جامع القرويين فى فاس ، ودرس العلوم الاسلامية على اعلامه الى أن نال الاجازة العالية من علمائه ، ثم عاد الى بلدة (مليلة) ولحق بالمدارس الثانوية الأسبانية ، فاحرز شهادة الدراسة الثانوية فى مدة قصيرة ، ثم سافر الى اسبانيا وانخرط فى سلك تلاميذ جامعـــة (شلامنكة) واحرز فيها شهادة الحقوق والدكتوراه فى الآداب .

وخلال هذه الدراسات كان يقرأ تاريخ العرب ، وتاريخ حضارتهم ولاسيما فى الاندلس فهيأته هذه الدراسات التقليدية النظامية فى مدارس الأسبان ، ودراساته الحرة فى تاريخ وطنه وامته العربية الى التطلع الى بذر بذور حركة وطنية تعمل على تحرير الوطن وخلق جيل جديد من شباب الريف ، يرفض حكم الاجنبى ، وينزع الى قلع سلطانه وتحرير المغاربة من ربقة السلطة الدخيلة .

كان يعرف الثقافة الغربية ، ويتذوق اعظم ما انتجته من ادب وتاريخ وتراجم ودراسات فى نشأة الامم ، واســـباب تقدمها وعوامل انحدارها ، واســـاليب اهل أوروبا فى الحكم ، والسياسة ، ومناهجهم فى التنمية الاقتصادية ، ومذاهبهم المختلفة المتطرفة والمعتدلة .. وتـــاريخ ثوراتهم وما يقوله كبار كتابهم ومفكريهم فى الحضارة الأوروبية الحديثة ، ومزالق اهلها. وخلط هذا كله بدراساته العربية ، فتابع العرب منذ كانت رسالة جده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فامتلا عزما على استعادة المجد العربى المندثر ، وقد هاله مدى الانحدار والتدهور الذى آل اليه المسلمون فتفرقوا وضعفوا واستذلوا .

وقد ادرك لتوه ، من قراءاته هذه وما ادت اليه من تاملات طويلة ، فى الحاضر العربى الاسلامى المؤسف ، الى قرار يقف عليه وتشبث به الى آخر عمره ، وهو ان سبيل الانقاذ هو الشباب . فالشباب هو عدة التغيير ، واداة البناء والتعمير ، وجيش المقاومة والجهاد ، فاختلط بالشباب واثار حميتهم ، ودعاهم الى القراءة والمقارنة المستمرة بين حاضرهم وماضى اوطانهم ، وبين العرب والغرب ، وبين حال فقراء المسلمين واغنيائهم ، فاعجب بـــه هؤلاء الشبان ، وادركوا ان الذى يدعوهم الى القراءة الطويلة والتفكير المتصل هو زعيم يتهيا ليؤدى دورا اكبر ، وادركوا انه يدعوهم ليكونوا عونه وعضده .

وكان عملي التفكير ، فقد استحث الشبان من اهل الريف لأن يدخلوا المدارس الحربية الاسبانية ، وان كانت بوتقة للمستعمر ومشتلا للغاصب الا انها السبيل الوحيد لتعلم الفنون العسكرية ، ومعرفة الاسلحة الجديدة ، وليحيطوا علما بالتخطيط العسكرى والتدريب الحربى . فلبى عدد كبير منهم دعوة الامير محمد بن عبد الكريم فهالهم شدة جهلهم بما يجرى فى العالم ، وبعدهم السحيق عن فنون الحرب



واساليبها ، ومدى تطور السلاح الحديث ، وادوات النقل من السيارات والمصفحات ، وبداية الدبابات .

وكان هؤلاء وهم بالبزة العسكرية الأسبانية يجتمعون فيتكلمون العربية ويعلنون سخطهم على حال اهل منطقتهم ، ويستوردون سرا كتبا عسكرية تحرم الادارة العسكرية وصول الشاب الأسباني اليها ، ووقوفه عليها . فاصبحوا فى مثل كفاية اساتذتهم الأجانب وان كتموا علمهم الحديث ، واخفوا عن الادارة الاستعمارية انهم يتتبعون ما يجرى فى المدينة بعين الناقد ، ويدرسون تطورات السياسة الدولية بروح الثائر .

وجاءت بعثة عسكرية المانية فى سنة ١٩١٦ الى الريف الأسبانى ، فاختلط عبد الكريم وزملاؤه من الضباط الوطنيين باعضاء هذه البعثة ، وسمعوا منهم دروسا فى الاستراتيجية العسكرية وامورا عن شئون الدول واساليب الحكم وما ماجت به اوروبا انذاك من افكار حديثة ، ومذاهب طارئة . فامتلأوا ايمانا بالتغيير ، واصرارا على المقاومة ، بعد ان كانوا يسيرون مغمضي الأعين وراء الحكومة الأسبانية الدخيلة ، يحسبونها اخر صور العظمة فى الحكم والسياسة .

ولم يكن ممكنا ان يستمر عمل محمد ابن عبد الكريم هذا على شدة خطره وعظم اهدافه ، سرا على الجاسوسية الرسمية ، فلما ادركت ما وصل اليه الأمير الشاب ، وما دعا اليه اخوفته ، تولاهم الفزع ، وبادروا باعتقاله شهورا ، ولكنهم ما لبثوا ان تبينوا سوء مسلكهم ـ لأن هذا الاضطهاد رفع من شان عبد الكريم ، فذاع اسمه على الألسن ، واصبح مثل الشاب الريفى الأعلى لكن الأسبان ادخلوا عبد الكريم فى الجندية ليحكموه بقانونها الصارم ، وضوابطها الشديدة .

وكانت الحرب العالمية الأولى فى تلك الفترة تجتاز ادوارها الأخيرة . فلما حلت سنة ١٩١٨ ووقعت الهدنة فى نوفمبر ١٩١٨ ، كانت الشعوب المحكومة كلها تنتظر نهاية الحرب التى قيل انها قامت لتحرر الشعوب الضعيفة ، ولتفتح الفرصة لكل امة مغلوبة على امرها ان تختار لنفسها حكومتها ، فلما تبينت الشعوب كذب هذه الدعوى الضخمة ثارت .. فى مصر وفى الهند وفى سوريا وفى تركيا ، وقامت فى كل ناحية من العالم ثورة او وقع انقلاب .

وكما فعلت حكومة الحلفاء (الانجليز والفرنسيون والطليان) فى تركيا ، اذ اوفدت الضابط مصطفى كمال الى الأناضول ليسرح الجيش الوطنى ويتعقب الثوار الوطنيين ، فعلت نفس الشيء اسبانيا ، اذ ارسلت الأمير محمد بن عبد الكريم ليهدىء ثورة الريف ، بدعوى انه تعلم فى مدارس اسبانيا المدنية والعسكرية واتقن لغتهم واختلط بضباطهم وعائلاتهم ، وقبل الدعوة لتكون مدخلا له الى بدء العمل الثورى .

واتاحت له الظروف مناسبة الابتداء ، فقد كان يسير فى الطريق فى مدينة (قليلة) اذ شاهد ضابطا اسبانيا يجلد بالسوط فلاحا من اهل الريف جلدا موجعا بدعوى ان دابة هذا الفلاح احتكت بالضابط وهو يسير ، فثار عبد الكريم وانقذ الفلاح من سوط الأسباني ، ولكن الضابط عاود عدوانه ، فذهب عبد الكريم الى قائد المنطقة ، وطلب محاكمة الضابط المعتدى ، فرفض الجنرال فى صلف وتعال . فترك عبد الكريم مقر القيادة ، ومضى الى موطن قبيلته (بنى ورغايل) ، فاجتمع بعدد من رؤساء القبيلة يعرف حميتهم ، وشدة وطنيتهم ، فاهاب بهم الوقوف فى وجه الحكومة .

وفى ٢٠ من يوليه ١٩٢٠ اطلقت الرصاصة الأولى ، فهجم عشرة من اعوان عبد الكريم وهو فى مقدمتهم على مخفر للاسبان متقدم ، واستولوا على سلاح جنوده ، فكان ذلك اول تسليح للحركة الوطنية . وعرف الأبطال المغاربة جدوى السلاح الحديث الجيد وتدربوا عليه ، ودربوا عليه اخوانهم فزادت ثقة المقاتلين الوطنيين ، وعاودوا الهجوم على مخافر مماثلة ، وزاد السلاح فى ايديهم ، ونقلوا بعضه الى الداخل ، فتذوق اهل الريف فى اعماقه متعة حمل السلاح القوى بعيد المدى .

الا ان حكومة اسبانيا اعتبرت كل هذه الهجمات نوعا من قطع الطريق ، واعتبرت

خطف الخطف
أو.. قصة أمير فذ

حركة عبد الكريم كلها تمردا محدود النطاق قليل القيمة . فلرسلت اليهم كتائب اسبانية فاذا الكتائب تهزم ، واذا بها تجرد من سلاحها وتعود بلا شرف مغلوبة وعزلاء . فزادت الكتائب عددا ، وزاد تسليحها . وكان الريفيون قد تسلحوا وعرفوا الطريق الى سلاح يرد اليهم سرا ، فنازلوا الكتائب الاسبان التى تضخمت وتولى قيادتها ضباط كبار .

ولما بلغ عدد رجال عبـــد الكــريم خمسمائة فقط ، خافت الحكومة العسكرية الاسبانية ! . ولما وقعت موقعة (انوال) الشهيرة ، التى خاضتها اسبانيا بقيادة قائدها المتغطرس المغرور سلفستر ، ونزلت بها الهزيمة فى سنة ١٩٢١ ، تردد صدى هذه المعركة لا فى الريف والمغرب وحده ، بل فى اسبانيا نفسها ، وترك الالوف من اهل الريف قراهم ومزارعهم وبساتينهم ، وتطوعوا فى جيش عبد الكريم الوطنى ، وادرك القائد المظفر ان سبيل النصر لم يعد البندقية وحدها ، بل لابد من حكم وطنى فى المنطقة ، يؤمن اهلها ، وينظم احوالها ، واسرع فانشا المدارس والمحاكم ، وشق الطرق وضرب ايدى اللصوص ووفر الامن . وبالجملة .. اصبح عبد الكريم رئيس دولة ومشرعا ، ورجل سياسة . وتوالت انتصاراته ، وهزت حكومة الملك الفونسو الثالث عشر ، اخر ملوك اسبانيا قبل خوان كارلوس ، وحكومة رئيس وزرائـــــه الديكتاتور بريمو دى ريفيرا . فقد ارسلت الحكومة المركزية فى مدريد قائدا برتبة جنرال وراء قائد بنفس الرتبة ، ليقف فى وجه الزحف الوطنى ، الذى كان يقوده الامير عبد الكريم حربيا ومدنيا بكفاءة ، فلا يظفرون الا بالهزيمة والخيبة ، حتى انتهى الامر بسقوط الحكم الملكي ، وهرب الملك ، واسس عبد الكريم جمعية وطنية انتخبها الشعب وعقدت اول اجتماعاتها في ١٩ من سبتمبر ، وانتخبه رئيسا لها وقائدا عاما لجيوشها ، ووضعت هذه الجمعية ميثاقا وطنيا تضمن موادا ننقل منها ..

اولا .. لا يقر الشعب اى معاهدة تمس حقوق البلاد او تنتقص شيئا منها ولا سيما معاهدة سنة ١٩١٢ التى فرضتها فرنسا على ملك المغرب .

ثانيا .. اجلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التى لم تكن فى حوزتهم قبل سنة ١٩١٢ .

ثالثا .. ان تدفع اسبانيا لدولة الريف تعويضا عن الخسائر التى لحقت بها من جراء الاحتلال فى السنوات الاثنى عشر الماضية وفدية للاسرى الذين وقعوا فى ايدى الوطنيين .

واصدر عبد الكريم قوانين اجتماعية فرض فيها الزواج على الشباب القادرين بعد بلوغهم سنا معينة واســـــتحثهم على الزواج من ارامل المجاهدين الذين استشهدوا فى القتال . وايفاد عدد كبير من هؤلاء الشبان الى جامعات اوروبية ، مع العناية الخاصة بالمستوى الصحى ، لانعدام المستشفيات فى منطقة الريف ابان حكم الاستعمار .

ولما عجزت اسبانيا عن انزال الهزيمة بالامير عبد الكريم واتسع نطاق حركة التحرير ، وخشيت فرنسا فى الوقت نفسه من اثر انتصارات الريفيين على مركزها فى المغرب ، القت فرنسا بجيوشها واموالها وعتادها لتطويق عبد الكريم وحصاره ، فظهرت براعته الحربية بما اذهل الغرب ، واصبح على كل لسان تعبيرا عن الاعجاب به والاشادة بحسن قيادته وشجاعته وشجاعة جنوده مع قلة الزاد وضعف المعدات والعجز عن التسليح الحديث امام دبابات ومصفحات وطـــــائرات دولتين اوروبيتين عسكريتين عرفتا الحــــروب الكبرى .

جاءت فرنسا باكبر قوادها لتحارب هذه الدولة الفتية وجيشها الصغير الذى لم ينقض على ميلاده الا اقل القليل من الزمن فاصاب شرف فرنسا العسكرى ما اصاب شرف اسبانيا ، فالجنرالات الكبار هزموا تباعا حتى اضطرت فرنسا الى استدعاء قائد قوادها الجنرال (ليـــوتي) من الاحتياط لينازل عبد الكريم .

واخيرا لطول الحرب ، ولان العرب كانوا انذاك فى اعمق فترات بؤسهم وكان الاحتلال الاجنبي جاثما على صدورهم ومقيدا لحركتهم ، فاضطر عبد الكريم الى التسليم بعد ان انشا بلدا واقام دولة وسجل من الانتصارات ما تجـــــاوز كل ما تصوره الاصدقاء والاعداء معا .

ونفي عبد الكريم وقلوب الوطنيين تنزف دما الى احدى جزر المحيط الهندى سنوات طويلة بلغت العشرين . وفى سنة ١٩٤٧ يبدأ الفصل الثانى من هذا المقال .

● ● ●

فقد كان فى مصر فى تلك الاونة صحفى فلسطيني ، عرف بنشاطه المتقد ، ولسانه الحاد ، وقلمه العنيف وعداوته للاستعمار فى بلاده وفى بلاد العالم . ذلك هو المرحوم الاستاذ محمد على الطاهر ، الذى كان يصدر فى مصر (مجلة الشباب) ويتولى تحريرها ، ويرسلها الى كل جانب من جوانب العالم العربى ، والعالم الاسلامى معا . وكان هو محررها الاول ، ومراسلها الاوحد ، ومديرها الذى لا يعاونه احد . كان قصير القامة ، نحيلا ، عصبيا ، فى عينيه حول ، وفى لسانه لثغة خفيفة ، ولكنه كان شعلة متقدة من الوطنية ، ومن النشاط ومن اليقظة .

وفى ذات يوم طرق باب مكتبى الذى كان انذاك فى شارع انساحة ، ودق باب حجرتى بمقبض عصاه المصنوع من العاج دقات عصبية متلاحقة ، وقال : ماذا تفعل يا بطل؟ قم واسمع ما اقوله لك عن فرصة من فرص المجد .

ونظرت اليه ، ماخوذاً بهذا الافتتاح المثير ، ولم اتكلم .

ـ مالك يا اخى جالس فى مكانك ؟ الم تسمع ما قلت ؟ قلت لك انها فرصة مجد . ولكن الامر جد كله ، ولا هزل فيه .

ـ فقلت بعد لأى . ماذا تطلب منى ؟

فقال : اطلب منك اما ان تتصل بابراهيم باشا عبد الهادى رئيس ديوان جلالة الملك فورا وشخصيا ، او بالنقراشى باشا رئيس الوزراء بلا تردد .

وسالت عن الخبر ، فقال لي ان تاجرا فلسطينيا يعمل فى دول شرق افريقيـــا (كينيا والصومال وما حولها) علم ان فرنسا قررت اطلاق سراح محمـــد بن عبد الكريم من جزيرة اتشيسون واعادته لا الى بلده بل الى فرنسا نفسها

فارسل برقية الى محمد علي الطاهر لعلمه بان هذا النبا يهم الاستاذ الطاهر وذكر فى برقيته اسم الباخرة التى ستقل محمد بن عبد الكريم هو وشقيقه واولادهما ، وموعد وصولها الى السويس ووصولهـــا الى مارسيليا . واضاف الاستاذ الطاهر بانه اتصل بدوره بالمجاهدين المغاربه فى مصر ، فهالهم النبا ، وازعجهم ان يبقي الامير فى قبضة الفرنسيين وعلى مقربة من المغرب والجزائر ، اذ لا يبعد ان تحاول فرنسا استغلال وجود عبد الكريم فى يدها لتبث الفرقة بين المجاهدين بطريقة او باخرى ، وانه لابد ان يُفْعَلَ شيءٌ لكيلا يصل الامير الى فرنسا . ومما يعين على ذلك ان الباخرة الفرنسية التى تقله تمر فى ارض مصرية طوال اكثر من ست ساعات مما يمنح السلطة المصرية فرصة العمل على الوجه الذى تريده .

ولم احتج الا لبضع دقائق ، قررت بعدها ان اعمل . فاسرعت الى الاتصال بمكتب رئيس ديوان الملك الاســـتاذ ابراهيم عبد الهادى باشا ، وكان مدير مكتبه شاب اعرفه فافضيت اليه بالنبا وطلبت منه ان يتدخل الملك حالا بانزال الامير محمد بن عبد الكريم من الباخرة الفرنسية عند وصولها الى الارض المصرية فى مينـــاء السويس .

وجاء الرد مخيباً للآمال وفى الحال . لقد طلب مني رئيس الديوان ان اتصل بالحكومة .

وكان وزير الخارجية ورئيس الحكومة شخصا واحدا هو محمود فهمى النقراشى باشا وكان رجلا وطنيا ، احاط حبل المشنقة بعنقه حينما اتهم فى اكبر قضية سياسية فى العقد الثالث من القرن الحالى ، اذ نسب اليه الانجليز انه ادار عصابة من الشبان المصريين الذين قتلوا عددا غير قليل من الضباط الانجليز عقب ثورة ١٩١٩ وقتلوا معهم عددا من المصريين الذين عرفوا بممالاة الاحتلال البريطانى .

فذهبت فى الحال الى وكيل وزارة الداخلية للشئون الدينية الاستاذ محمد فهمى الجديلي ، وكان من اقرب الناس الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية النقراشى باشا . ووجدت الرجل مشغولا بدراسة مسالة فقهية ، وكان قد تخفف من حذائه فخلع نعليه ، وحمل بين يديه مجلدا ضخما من الكتب الدينية . ولكنه نحى ما كان بيده واحسن استقبالى ، وفهم مني المسالة واهتم بها اهتماما كبيرا ، واتصل بالحال برئيسه النقراشى باشا وزير الخارجية وافضى اليه بالنبا ، فاهتم الرجل فى الحال به ، وطلب ان ترسل له مذكرة مفصـــلة بالموضوع . وانتحيت فى حجرة الاستاذ الجديلي ، وكيل الوزارة بوزارة الداخلية ، وكتبت فى الحال بضعة اسطر بما علمته عن عودة الامير عبد الكريم على ظهر سفينة فرنسية ، تنوى نقله الى فرنسا . وارسلت المـذكرة الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية مع ساع الى ديوان وزيـــر الخارجية فى قصر الامير يوسف كمـــال ، الامير السابق .

ثم اصبح من الواجب السفر فورا الى السويس والبقاء الى جانب محافظ المبناء لتوجيهه الى ما يجب عمله ، وسافر عدد من اعضاء مكتب المغرب الذين كانوا لاجئين الى مصر وعاملين لقضية بلادهم فيها .

ولما اوقفت الباخرة على رصيف ميناء السويس ، صعد المغاربة وقابلـــوا الامير عبد الكريم وشقيقه الاصغر محمد وباقى عائلته . ولكن الامير عبد الكريم رفض فى الحال ان ينزل الى ارض مصر ، مع ان المغاربة افهموه ان تجار واهل السويس يريدون ان يقيموا له احتفالا بمناسبة الافراج عنه ، وعودته الى الحرية بعـــد سنوات طويلة من الاسر والنفى والاعتقال ، لكن الامير تشبث بقرار الرفض واشاح بوجهه عن وجوه الذين جاءوا لينزلوه الى ارض مصر .

وقد كان الامير معذورا ، فقد كان فى حالة صحية سيئة جدا ، وكان بعده الطويل عن ضجيج الدنيا ، وعن مقابلة الاغراب جعل استيعابه لما مثله له الوطنيـــون المغاربة صعبا . فهبط هؤلاء المغاربة من المركب الى رصيف ميناء السويس كاسفى البال حزانى . ولكن المدة بين مينـــاء السويس فى الجنوب وعلى البحر الاحمر ، وميناء بورسعيد على البحر الابيض كانت كافية لان يهدا جأش عبد الكريم وان يستوعب اخوه ومستشاره الحالة ، وان يصدر قرارا بوجوب انزال الامير الى مصر .

فلما وصلت الباخرة الى بورسعيد ، صعد المغاربة ومعهم عدد من اهـــالى بورسعيد وفى مقدمة الجميع المحافظ فؤاد بك شرين ، واختلى المحافظ بالامـــير عبد الكريم وباخيه ، ووافق الرجلان على النزول الى بورسعيد .

واحس قائد الباخرة ان فى الامر شيئا ، فاراد ان يحول بين الزعيم الريفي وبين الهبوط الى ارض مصر ، ولكن المحافظ افهمه ان من حق اهل بورسعيد ان يحتفوا ببطل وطني كالامير عبد الكريم وهو يمـر بوطنهم ، واذعن قائد الباخرة لهذه الحجة او بعبارة ادق للقوة التى لوحت بها مصر ، ونزل المجاهد عبد الكريم ومعه اهله .

ولما حان موعد تحرك الباخرة فى طريقها الى مرسيليا ، لم يعد عبد الكريم اليها ، واحتج الضابط الفرنسى وارغى وازبـد ، ولكن لم يلتفت اليه احد .

فمضي عبد الكريم الى مصر ، وقد ذاع نبا حلوله بالقاهرة ، فتوافدت المئات ثم الالوف الى بيت المغرب ليقدموا للبطـــل المجاهد التهنئة بالحرية والتحية بمناسبة المجيء الى مصر ..

وعاش محمد بن عبد الكريم بطل الريف العظيم وصاحب الانتصارات البـــاهرة والخالدة بين اهله وبني قومه المصريين حتى لقي ربه فى العقد السادس من هذا القرن .

والعجيب الذى لم اجد له تفسيرا انه لم يتم بيني وبين عبد الكريم لقاء واحـد منذ وطات اقدامه ارض مصر ، حتى لبى نداء ربه ، مع ان شقيقه كان كثير التردد علي . ولكنى مع ذلك كنت شاعرا بالانس والسعادة ، اذ كان الامير العظيم جارا لنا حيث اقام فى حى حدائق القبة ، وانه لم يذهب الى فرنسا التى حاربته وحاصرته ونفته ، وبقيت فخورا ان كان لي نصيب صغير فى هذا الحدث الكبير الذى اسميته « خطف الخطف » ، فقد خطفنا من فرنسا الامير محمد بن عبد الكريم وهى تنوى خطفه من شعبه وبلاده والذين يقدرونه ويعجبون به بطلا ومحررا ومؤسس دولة .

فتحي رضـوان



الخيل فى الأدب العربى على وجه عام لها شأن كبير ودور بارز ، سواء فى أدب الخاصة او ادب العامة ، وافضل تسمية « ادب الخاصة » على ما يسميه بعض الزملاء « الأدب الرسمى » فليس كله « رسميا » بمعنى انه يعبر عن الملوك والأمراء واكثره من غير ذلك .

واقصد بادب العامة الادب الشعبى ذا المناحى والالوان المختلفة ، من قصص الهلالية الى سير الأبطال كسيرة الاميرة ذات الهمة وسيرة حمزة البهلوان ، الى حكايات الف ليلة وليلة ... الخ .

والاهتمام بالخيل فى الأدبين له انعكاس فى واقع الحياة العربية ، فالعربى يعشق فرسه ويعده من ضرورات حياته ، كما قال امرؤ القيس ان ركوب الخيل من اكبر لذات الحياة عنده ، وقد اكثر من وصف الخيل والتعبير عن مشاعره نحوها فى شعره .

وقد اخذ لفظ « الفارس » و « الفروسية » من الفرس . ولو تاملت حياة العربى قديما وحديثا لوجدته فارسا يميل بطبعه الى الخيل ، ومازال سباقها من امتع المتع فى بلادنا العربية ، حتى الشاب الحديث الذى امتطى السيارات الحديثة ، تراه يسوق السيارة بمنتهى السرعة ، مكبا على عجلة القيادة ، كما يكب الفارس على ذؤابة الفرس ، واجدا فى ذلك ماكمن فى اعماقه موروثا عن اجداده من حب الخيل وركوبها ومعاشرتها .

وما يزال حب الخيل والعناية بهـــا مستقرا فى المجتمع العربى وخاصة فى المملكة العربية السعودية حيث يعنى القوم هناك بالفروسية وسباق الخيل ، وتمنح الجوائز الكبيرة للفائزين من اصحاب الخيول وفرسانها . وتعد الخيول العربية اعظم الخيول فى العالم يتهافت عليها عشاق الخيل فى جميع البلاد ، وتباع بأثمان باهظـــة تبلـــغ ملايين الدولارات .

وليس كالادب الشعبى فى صدق التعبير عن مشاعر الناس الذين يصدر عنهم ذلك الأدب مصورا لما يجيش فى وجدانهم ، وهو يخاطب امة العرب والاسلام فى كل مكان ، ويجد فيه سائر العالم ما يجذب النفس إليه، لم يشتهر شىء عربى فى العالم كما اشتهرت الخيول العربية وحكايات الف ليلة وليلة .

وقد زخر الأدب الشعبى بما يحكى عن الخيل ورياضتها وعشاقها .. وللخيل فى هذا الادب اسماء كاسماء الناس ، وترسم فيه كما ترسم الشخصيات ، وقد تدور عليها الحوادث كما تدور على الأبطال .

واذكر مثالا لذلك الواقعة التالية :

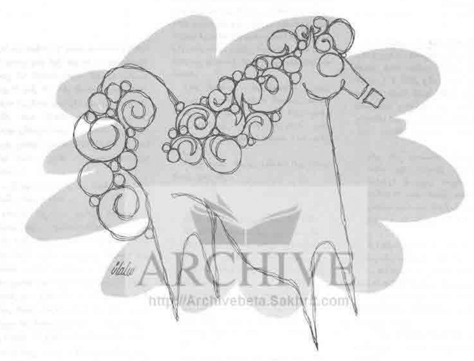
هجرة بنى هلال

كان بنو هلال فى طريقهم من نجد التى اجدبت أرضها الى تونس الخضراء ، فمروا بمصر ، ونزلوا ضيوفا على حاكم الصعيد « الماضى بن مقرب » وقد استقبلهم بالترحيب واكرمهم غاية الاكرام .

وكان على راس بنى هلال اميرهم حسن ابن سرحان وفرسانهم المشاهير ابو زيد الهلالى ودياب بن غانم والقاضى بدير بن فايد .

وضربت القبيلة خيامها فى الباديـــة القريبة ، وصار كبارها يترددون على قصر الحاكم تلبية لدعوته الى ما يقيمه لهم من الولائم ، ويقضون معه الاوقات فى الاسمار

كـان ركـوب الخيـل من اكبر لذات الحيـاة عند العربي القديـم



وانشاد الاشعار والعزف على الاوتار .

وذات ليلة بعد ان انصرف فرسان بنى هلال من مجلس حاكم الصعيد تقدم إليه احد الاعوان وقال له :

الجـازية

ـ بلغنى يا ملك الزمـان من بعض النسوان انه توجد فى بنى هلال امراة بديعة الجمال عديمة المثال فى الحسن والكمال والقد والاعتدال وفصاحة المقال ، لا يوجد مثلها بين الخلق ، لا فى الغرب ولا فى الشرق ، اسمها « الجازية » كانها الشمس الضاحية . ان خطبتها منهم حصلت على السرور والانشراح ، لان طلعتها تنعش النفوس والارواح .

وايد بعض الحاضرين كلام المتحدث ، وقالوا إن الجازية هى اخت الامير حسن .

قال الماضى بن مقرب :

ـ يا قوم ، ما لهذه المسالة من وجه ، فلنى اخشى ان يقولوا : الماضى يطلب حق ضيافته لنا بنتا من بناتنا ..

وقال احد الحاضرين :

ـ لقد سمعت انا بخبر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ، ولكنى اعلم انهم لا يزوجونها باحد ولو كان من الملوك واعاظم العمد ، فاذا كان لابد ايها الملك من ذلك فاطلب اولا فرس دياب المسـماة بـ « الخضرا » التى لا يوجد مثلها فى جميع الممالك ، وانا اعلم انه لا يعطيها لان نفسه معلقة فيها ، فاذا ما طلبت بعد ذلك يد الجازية خجلوا ان يردوا لك الامنيـة الثانية .

وكتب ابن المقـرب الى الامير حسن يطلب منه الخضرا .. ولم يفته فى اخـر الرسالة ان يبدى استحياءه من هـذا الطلب ..

فرس دياب

وقرا الامير حسن خطاب ابن المقرب ، ثم أعطاه لـ « أبو زيد » ليطلع عليه وهو محتار ، وقال له :

ـ ما الراى عندك ؟ انا اعلم ان دياب لا ينزل عن الخضرا ولو هلك بنو هلال ..

ـ الراى عندى ايها الامير ان اذهب انا وأنت والقاضى بدير الى منزل دياب ونطلب منه ان ينعم بالخضرا وندفع له عوضها ما يريد من خيول او اموال .. والا ساءت حالنا وانشغل بالنا ..

استمع دياب إلى كلامهم فى دهشـة وغضب .. فـانه يتوقع كل شىء ويتحمل مصائب الدنيا كلها الا ان تفارقه الخضرا .. الخضرا التى رباها منذ الصغر وصارت



جزءاً من حياته ، لا يشعر بسعادة ولا قوة كما يشعر وهو فوق ظهرها .. انها حصنه المنيع اذا اشتدت اهوال الحرب ،وانيسه الذى لا يمل اذا طال السفر ، وهى كانت رسوله الى قومه يوما وقد وقع فى خطر ، اذ احتال عليه الاعداء حتى انتزعوه من سرجها واخذوه اسيرا .. فعادت الى منزله تجرى وتطلق صهيلا كانه البكاء .. فلما راتها ابنته « وطفا » وسمعت صهيلها صاحت :

ـ يا ويلاه ! ان ابى فى شدة .. هـــذه الخضرا تنبىء بذلك .

واسرع ابو زيد وباقى الفرسان ، وخلصوا دياب ، ونكلوا بالاعداء .

ان دياب الفارس العنيد لم يشغل قلبه بحب امراة ، وهو يشعر ان الخضرا هى حبيبته .. وقد استفظع ان تطلب منه .. انهم يرونها انها عنده مجرد فرس .. تغني عنها فرس .. وكاد عقله ان يطير حين سمع الامير حسن يعرض عليه ان ياخذ بدلها ما يريد من الخيول والاموال .. هل الخضرا شىء يباع ؟ ! ولكنه ملك نفسه وقال له :

ـ يا امير حسن ، كل شىء عندى فى قبضة يدك الا الخضرا ، ما فيها تفريط ، لان روحى وروحها سيان ..

ونظر اليه خاله القاضى بدير بن فايد وقال له معاتبا :

ـ ما هذا الكلام يا دياب ؟ كيف نقصدك فتردنا خائبين من اجل فرس ؟!

ـ يا خالى ، ان الخضرا اعز على من البنين والبنات ، فخذوا غيرها ما تريدون من الخيول ، فانا لا اعطيها لاحد ولو اجتمعت على كل الخلائق .

خرج الامير حسن وابو زيد والقاضى بدير من عند دياب يائسين ، وبينما هم يهمون بالركوب عائدين الى مضاربهم راهم غانم ابو دياب ، فعزم عليهم أن ينزلوا عنده ، وذبح لهم واكرمهم ، ثم انفرد بابنه دياب وعاتبه عتابا شديدا ، وامره ان يجيبهم الى طلبهم ويعطيهم الخضرا .. فلا يليق بالعربى ان يمنع ماله عن اهله واصدقائه .

ولكن المشكلة كانت عند ديـــاب انـــه لا يعتبر الخضرا مالا .. يهديه الصديق الى صديقه او القريب الى قريبه ، انها كائن صديق حبيب .. وهو يحميها كما يحتمى بظهرها ، وقد تعود ان يحل المشاكل بالسيف ، وطالما صال وجال فى ميادين القتال وصرع الابطال ، والويل لمن يقف فى طريقه او يتحداه ،ولكنه اليوم يجابه موقفا لا سبيل فيه الى الضرب والطعان ، فهؤلاء اهله وعشيرته وابن المقرب مضيفهم الذى انزلهم فى ملكه ولم يدخر وسعا فى اكرامهم والانعام عليهم وتوفير اسباب الراحة لهم ، فاكتسب بذلك حق الصديق وحرمة الحليف المعاهد .

ولكن الخضرا .. هى الخضرا .. ويلك يا دياب ، وياطالما ناداه الفرسان قائلين مهددين : ويلك يا دياب ! فكان يهجم ويرد لهم الويل .. اما الآن فان كلمة « ويلك يا دياب » التى يقولها لنفسه ذات مذاق آخر .. مر !

اسرج دياب الفرس وقادها الى الامير حسن وهو يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم
انا صاحب الهمة فى يوم الطـــراد
يابو على انا ما بخيل ولا ردى
ولا انت الخضرا لديك مـــراد
لكن ستعطيها الى ابن مقـــرب
انا بالفرس اولى من الابعـــاد
وما طلق قلبى يا امير فراقهـــا
وربيتها تحســـن من الاولاد
انا تحت امرك يا امير ابـو على
فافعل بنا ما تفعـــل الاجـــواد

وكان للامير حسن ولد اسمه علي ، ومن هنا تشيع بيننا الآن مخاطبة كل من يسمى حسن بابى على .. اعلاء لشانه بتشبيهه بالامير حسن .

شكر الامير حسن دياب بن غـــانم ، واستدعى رسولا وامر ان يسير بالخضرا الى الماضى بن المقرب ، فتقدم إليها دياب وعانقها وهو يحس لاول مرة فى حياته بقلبه يكاد ينفطر من البكاء المكبوت ..

دهش الماضى عندما وصلته الخضرا ، فلم يكن يتوقع ان يفرط فيها دياب ، وقد شعر بالندم لاحراج ضيوفه ، كما شعر بخيبة الخطة المرســومة للوصول الى الجازية .. وجعل القوم يهنئونه بهذه الفرس العربية التى لا نظير لها بين الخيل وهو غارق فى افكاره ومشاعره .

وبينما هو كذلك اذ وصله رسول من مكة يحمل رسالة من اميرها « شكر الشريف بن هاشم » وفيه يقول له ان زوجته « الجازية » هجرته ورحلت مع اهلها بنى هلال الى المغرب ، وانه علم انهم نزلوا عنده ، ويرجوه أن يتوسط فى الصلح بينه وبين زوجته ، حتى تعود اليه والى ابنهمـــا « محمد » الذى يبكى لفراق امه ..

اذن فالجازية متزوجة وام .. ام محمد .. على خلاف ما زعم الزاعمون ، وحمد الله على انه لم يتورط فى طلب يدها .

الصهيل الحزين

اراد الماضى ان يقوم بالصلح بين امير مكة وزوجته « الجازية » وقبل ان يذهب الى قومها جاءه سائس الخيل واخبره بان الخضرا لا تاكل ولا تشرب وانها تصهل صهيلا حزينا كانها فقدت ولدها ! فامر باسراجها واعدادها مع هدايا كثيرة ، وارسلها الى بنى هلال فى مضاربهم ، وكتب كتابا واعطاه للرسول ، وفيه يقول :

يابو علي ارســـلت خضرا إليكمو
تحف بها الفرسان والانجـــاد
الخضرا فـــرس اصيلة متاصلة
ومالها الا دياب الخيل سيد الاجواد
واطلب صـــلح الجازية ام محمـــد
وخـــذ ما تشا يا ســـيد الاجواد

قرا حسن رسالة ابن المقرب . وكان دياب حاضرا فى مجلسه ، فقال له :

ـ ها فرسك قد رجعت اليك يا دياب ، فخذها واشكر الرحمن على هذا الاحسان .

فقال دياب وهو يشعر فى نفســـه بالصراع بين حبه للفرس وبين طبـــع الفارس العربى :

ـ انى ما وهبت شيئا قط ثم عـــدت استرجعه .. فابقها لك واجعلها من جملة خيولك .

ـ هذا لا يكون ، اكثر الله خيرك ، فانت صاحب المعروف واحق بها من غيرك ، وانت لم تسترجعها ، وانما رجعت اليك حلالا عليك .

وكان دياب فى اثناء هذا الحديث يتجنب النظر الى الخضرا حتى لا يغلبه الشوق إليها ، فلما سمع من الامير حسن ما سمع ، وطابت به نفسه ، قام اليها ، وامسك زمامها بيسراه وتحسس كتفها بيمينه ، فلما شعرت الفرس بكفه ارتعش بدنها ، ورنت اليه وهى تحمحم .. وعلم انها تقول له كلاما كثيرا فيه عتاب وشوق وحنين .. فاسرع بها ليخفي عن القوم دموعا تريد ان تنسكب من عينى الفارس العنيد .. دموعا كتمها فى قلبه يوم فارقته الخضرا ، ففاضت الآن دموع فرح ..

عباس خضر

بقلم : الدكتور محمد البهي

"المعروف"

● تاتي كلمة : « المعروف » في ايات عديدة في القرآن الكريم ،وتاتى وصفا : لقول او فعل ، او سلوك .ومعناها المشترك فيما تاتي به ، هو : غير المنكر في عقول الناس فاذا وصف بها القول على نحو ما تذكر الآية : « ويقول الذين امنوا : لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ،

فاولى لهم . طاعة ، وقول معروف ، فاذا عزم الامر ، فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » (محمد : ٢٠ ، ٢١) فان المراد عندئذ بالقول المعروف : القول غير المنكر وغير المستهجن في عقول الناس ، وهو القول الصدق .ولذا كان التعقيب في هذه الآية : « فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » . اذ عندما سال المنافقون : سورة في القرآن يحدد فيها طلب القتال من المؤمنين ، كانوا كاذبين مع انفسهم فيما طلبوه بدليل انهم عندما طلب القتال بالفعل ـ عن طريق الوحي ـ ذهلوا ونظروا الى الرسول عليه الصلاة والسلام نظرة الخائف المرتعد من الموت : « فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت » ولذا : كان نصح القرآن اليهم : ان يلتزموا الطاعة فيما يؤمنون به ان كانوا مؤمنين حقاً كما يحرصوا على ان يكون قولهم معروفاً . اي غير منكر في عقول الناس . وهو القول الصدق المعبر عن الحقيقة : « فاولى لهم : طاعة ، وقول معروف » .

واذا جاءت ـ كلمة المعروف ـ وصفا لفعل ، كما في قول الله تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان انستم منهم رشدا ، فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيبا » (النساء : ٦) .. فالقصد بالاكل بالمعروف ، هو : الاكل غير المنكر في عقول الناس ، وهو الاكل المعتدل ، البعيد عن الاستغلال اذ تنهى الآية فيما تذكر : « ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ، ان يكبروا » (اى لا تاكلوا ايها الأوصياء اموال اليتامى منتهزين فرصة صغرهم في السن عند مباشرتكم لاستثمارها بسبب اسرافكم ووقوعكم تحت تاثير الاتجاه المادى فى الحياة » . اذ نهي الآية عن عدم المساس باموال اليتامى على هذا النحو .. يجعل الاصل في الوصاية على هذه الاموال : صيانتها وابعادها تماما ، عن ان تكون نهباً للضياع في اية صورة . وهذا معناه : ان الوصي لو كان في اشرافه على مال اليتيم ، في حاجة لان ياخذ منه نظير جهده في المباشرة ـ وليس له من مال خاص ما يعوضه عن هذه الحاجة ـ فان اخذه من هذا المال عندئذ : يجب ان يكون اخذاً غير منكر في عقول الناس : « ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف » . وغير المنكر في عقول الناس في الاخذ من مال اليتيم هو الاخذ بالاعتدال ، بحيث يبتعد فيه عن معنى الاستغلال .

واذاأتت ـ كلمة المعروف ـ وصفا لسلوك وموقف ، كما في قوله جل شانه : « واذا حضر القسمة : اولوا القربى ، واليتامى ، والمساكين ، فارزقوهم منه وقولوا لهم : قولا معروفا » (النساء : ٨) ..

فموقف اصحاب التركة هنا تجاه الاقرباء ، واليتامى والمساكين ، اذا ما حضروا قسمتها ، هو : إعطاؤهم شيئا من الأرث ، مصحوبا هذا الاعطاء بلين القول لهم اي مصحوبا بتعبير لا تنكره ولا تستهجنه عقول الناس . وهو التعبير اللطيف ، والبعيد عن الايذاء المعنوي . اذ العطاء المادي لمن هو في حاجة اليه ، لايدل على طبيعة خيرة من المعطي ولا على انسانية فيه ، ان المعطي آذى بالقول النابي : صاحب الحاجة ، حين يقدم له عطاءه .

● واذا احال القرآن الحكم على كثير في تصرفات الناس .. فانما يحيله إلى العقل العام في الناس .. اي الى ما تتفق العقول على عـــدم انـكاره . ولا شك ان هنـــاك قـدراً مشتركا بين الناس جميعـــا يحـــدد معالم المنكـر ، وبالتالي يحدد معالم المعروف ضده .

والمعروف والمنكر اذن امران متقابلان : احدهما مرغوب فيه والاخر مرغوب عنه : « كنتم خير امة اخرجت للناس : تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (ال عمران : ١١٠) فجمعت الآية هنا بين المتقابلين ، مما يمكن ان يحدد مفهوم احدهما بالضد من مفهوم الآخر .

اكبر زعيم صهيونى معاصر يفضح اليهود ويقول : إن اكثر ما يثبط همتى هو حمق اليهود وجبنهم وحقارتهم !

هكذا تكلم "هرتسل" عن اليهود..

بقلم : عصام شريح

لاشك فى ان « ظاهرة الدونية » التى افرزتها مسيرة الصراع العربى ـ الصهيوني ، هى من اخطر الظواهر التى افرزتها هذه المسيرة ، وذلك لانها فى الواقع حالة مزورة ، كان منشؤها صدمات الهزائم العسكرية المتتالية . وظاهرة الدونية هذه تبالغ ـ على لسان اصحابها ـ فى إسباغ صفات غير واقعية على اليهود « كعنصر » وبالتالى على الكيان الصهيونى ، كالذكاء الحاد او غير العادى والعظمة والدهاء والنزاهة وروح الجماعة .. الخ ، تماما كما تفرط فى تحقير الذات العربية ، والصاق صفات وهمية بها ، كالغباء والانانية الجامحة ، وانعدام روح الجماعة .. الخ .

وفى الواقع ، فان هذه الظاهرة المرضية ليست سوى عملية نفسية تبريرية مصطنعة ، الهدف منها تفسير الهزيمة ، وهى فى كل حال تصاحب جميع الحروب .

وبالنسبة لنا ، فان الوقائع والوثائق الصهيونية نفسها ، إن لم نقل غيرها ايضا تدحض نظرية تفوق « العنصر اليهودى » ، وتكذب ظاهرة الدونية هذه ، وتجرد اصحابها ، من جميع اسلحتهم ، بل وتظهر سطحيتهم وسذاجتهم وضعف إيمانهم باصالة الامة العربية ، وقدراتها الكامنة والظاهرة .

(هرتسل)

ولعل اهم تلك الوقائع والوثائق ، واكثرها خطورة ، هى تلك التى وردت على لسان مؤسس الحركة الصهيونية نفسه ، تيودور هرتسل ، الذى يطعن فى الخلق اليهودى ، و « العنصر اليهودي » كما لم يطعن فيه احد . وسنضع امام القارىء العربى خلاصة مكثفة لراى هرتسل فى اليهود ، فى الصفحات التالية .

راى هرتسل فى اليهود

من خلال قراءة « يوميات هرتسل » يبدو هذا الرجل غير واثق ببني جلدته ، كافراً باخلاقهم السيئة ، وبشرفهم الكاذب ، ويعزو هرتسل انحطاط اليهود الاخلاقي الى كون اليهود لا يؤمنون بالبعث بعد

الموت ، ولتعلقهم بالدنيا والحياة على الارض باعتبارها جنتهم . ويقول فى هذا الشان : « نحن جنود سيئون ، لانه ليس لنا شرف ، ولاننا لا نؤمن بان لنا شيئا بعد الموت » .

بل ان هرتسل كاد ان يصل الى حافة الياس من امكانية اصلاح « العنصر اليهودى » : « يقف فى وجهي جدار صلب ، هو فساد اخلاق اليهود ، وانا اعرف ان فى اختراق هذا الجدار ، الوصول الى الحرية والعظمة ، ولكننى لا استطيع ان احطم هذا الجدار براسى منفرداً ، ولذلك فاننى اتنازل عن هذا العمل » .

ولمعرفة هرتسل العميقة بالنفسية اليهودية المادية التى تتكالب على المال وجمعه بنهم وشراهة لا تعرف حدوداً ، فانه كان يفكر وهو يحلم بالكيان الصهيونى ، ويضع له القوانين والانظمة والبرامج ، يفكر فى نفس الوقت فى وجوب حماية نفسه وحماية الكيان من العناصر اليهودية الفاسدة والجشعة :

« ويل للمختلسين ، اذا ما حاولوا ان ينموا ثرواتهم على حساب القضية اليهودية .. فلسوف تعاقبهم باقسى العقاب .. بما فى ذلك حرمانهم من الحقوق المدنية وحق التملك » .

« كل مقاول يحاول الحصول على ربح غير مشروع سوف يعزل ، والعزل لا يكون بخسارة وظيفة جيدة فحسب ، وانما بخسارة حقوق مدنية لفترات من الزمن » .

وقبل ان يبدا هرتسل العمل لتاسيس الحركة الصهيونية ، كتب فى ٢ ـ ٨ ـ ١٨٩٥ ، يقول :

« ان اكثر ما يثبط عزيمتى ، هو حمق اليهود وجبنهم وحقارتهم » .

ولذلك قرر هرتسل التخلي عن فكرة الاجتماعات الجماهيرية او الجماعية ، والاستعاضة عن ذلك بعقد اجتماعات مع عدد محدود من الصهاينة الأوائل .

« ساخبرهم بغايتي مقدماً ، واشرح لهم الخطا الذى وقعت فيه مع دي هيرش (بارون يهودي) ، فعندما قدمت له الامر ، بدات بالحديث عن الدولة ، ولم اكد اقول الكثير ، لانني توقفت فى الوقت المناسب ، ذلك انني لاحظت انه لم يكن يستمع الي ، اما لهؤلاء الرجال ، فساقدم القضية كمعاملة رسمية ، لانه لا يجوز ان يسيء هؤلاء فهم الهدف الذى ارمي اليه ، وياخذوه على عكس محمله ، فيظنونني مقاولا » .

المصرف الاستعمارى اليهودى

وبعد قيام هرتسل بتحديد هدف الحركة الصهيونية (اقامة دولة يهودية) ، وخلق الاطار التنظيمي لها ، بدأ العمل لانشاء الادوات التى ستساعد على تحقيق الهدف وكان اهم هـــذه الادوات المصرف الاستعمارى اليهودى ، الذى جعل مقره مع المؤسسات الصهيونية الاخرى فى بريطانيا لادراكه لمواقف اساطين الاستعمار من الانكليز ، واطماعهم فى المنطقة العربية ، ولاطلاعه على المخططات الاستعمارية ، التى تحتم مجتمعةً ، تبنّي سياسة الاستعمار الانكليزى للحركة الصهيونية واهدافها .

بيد ان المضايقات الشديدة ، ومحاولات الابتزاز المالى ، تركت رد فعل عنيفا فى نفس هرتسل ، جعلته يستخدم كلمات بذيئة احيانا فى وصف اعوانه ومساعديه من صهاينة بريطانيا . وعندما زار لندن للبحث فى تاسيس المصرف ، فى مطلع تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ ، بهدف تمويل الحركة الصهيونية ، كان اثرياء اليهود البريطانيين اشد المعارضين لهذا المشروع ، وقد وصف هرتسل ما جرى خلال اجتماع عقده فى العاصمة البريطانية مع قادة اليهود هناك ، فقال :

« .. واخيرا قام رجل قبيح يدعى هرمان لانداو ، اخذ ينتقم لصديقه مونتاغو الذى حملت عليه ، وقد احدث لانداو ضجة فى الاجتماع ، وبعد ان انتهى دوره فى الكلام ، اخذ يصيح قائلا : « إننا نسلب الفقراء اموالهم لكى ننشىء مصرفا لانفسنا » .

وبعد ان لمس هرتسل معارضة اثرياء اليهود فى بريطانيا لمشروعه (انشاء المصرف الاستعمارى اليهودى) ، عاد من لندن خائبا غاضبا ، وكتب فى يومياته قائلا : « ان السفلة من امثال هرمان لانداو ، ما يزالون يسيئون إلينا بامر من سفلة اخرين من امثال مونتاغو والحاخام ادلر » .

وبعد ان اقدم هرتسل على انشاء المصرف الذى علق نجـــاح الحركة الصهيونية على نجاحه اخذ يتهدد الاثرياء اليهود الذين رفضوا الاسهام فى راس مال المصرف وخاصة البريطانيين منهم ، وكتب يقول : « لو تمكنت يوما منهم لعرفت كيف انتقم » ، ثم يشير الى برقية وصلته من احد مساعديه « هايمن » فى لندن ، يقول فيها : « إن بنتوتش الذى كانت بيده جميع التوكيلات الرسمية للمصرف ، يطالب بمائة وخمسين جنيها استرلينيا ، مقابل وضع اسمه على بيان المصرف » .

وإزاء تزايد مشاكل المصرف والمتاعب التى يواجهها من اليهود البريطانيين ، عاد هرتسل ثانية الى لندن فى اواخر حزيران (يونيو) ١٨٩٩ ، لمعالجة تلك المشاكل عن كثب ، وكتب بعد عودته : « لقد قـــدم هايمن الجنوب افريقى ، والذى ادى لنا خدمات قيمة كمدير خلال فترة العمـــل التمهيدى فى المصرف ، قدم استقالته من منصبه ، لان جاستر وبنتوتس يريدان بعد ان اعجزاه ، ان يستوليا على ادارة المصرف لمصلحتهما الشخصية » .

ثم كتب ايضا : « متاعب جمة اواجهها فى المصرف ، اناس غير اكفاء ، او اشخاص يسعون وراء مصالحهم الخاصة .. كل شيء راكد .. لورى وكان يفتعلان المصاعب ، لانني لم اسمح لهما بتحويل المصرف الى مؤسسة خاصة لهما » . كما كتب عن احد اعوانه (غرينبرغ) الذى كان يخشى سطوته ، والذى تحول فيما بعد الى خصم له : « بعث إلى لفنتن يقول بان غرينبرغ سحب مبلغ المائة جنيه المخصصة لمصاريف السفر ، علما بانه لم يقم بالرحلة .. سنرى ما اذا كان سيعيد المائة جنيه ، لكنني لن ابدي اهتماما اذا ما ابقاها لنفسه » ، بل إن هرتسل اخذ يتهم غرينبرغ بالسرقة ، فكتب فى مطلع أيار (مايــو) ١٩٠٣ ، حينما كانت مفاوضات رجاله فى مصر حول مشروع استيطان منطقة العريش بسيناء ، قد قاربت على الفشل ، كتب قائلا : « وفوق جميع المصاعب ، هناك

هكذا تكلم "هرتسل" عن اليهود..

غرينبرغ ، الذى يريد شيئا ما لنفسه ـ وربما كان ذلك مالا .. وقد علمت من ولفسن أن غرينبرغ استولى على اعتماد غير رسمى ، تتراوح قيمته ما بين خمسمائة الى الف جنيه .. وحين دقق ولفسن وكون فى حسابات غرينبرغ ، وجدا انه واقع تحت عبء دين كبير ، يقرب من عشرة الاف جنيه ، وانه غير قادر على تسديدها » .

وقد اختلف هرتسل مع معظم رجال بعثته الى مصر ، لدى زيارته لها ، حيث اكتشف ان « غولدسمد » له مطامع مالية ، كما ان « فريدمان » يطمع بالحلول مكانه فى القيادة : « يطلب غولدسمد بواسـطة كيسلر مبلغ مائة وخمسين جنيها ، لارسالها لزوجته ، وذلك للمرة الثانية ، كما يطلب كتابا بشان فتح حساب جار له ، فى حال بقائه هنا (فى مصر) .. إن طلبه هذا باهظ » .

الحسد والغيرة

ومن الامور اللافتة للنظر ايضا ، شكوى هرتسل من الحسد والغيرة التى كانت تظهر لدى المثقفين من الصهاينة الاوائل ، ومحاولات هؤلاء لازاحته والحلول مكانه فى مركز الزعامة . ففى شباط (فبراير) ١٨٩٦ اصدر هرتسل كتابه « الدولة اليهودية » ، مما زاد من معارضيه فى صفوف المثقفين ، وكان اكثرهم يصدرون فى معارضتهم هذه عن حسد وغيرة ، وهذا ما سجله هرتسل فى يومياته ، حيث قال : « لاشك فى ان بيرنباوم يغار مني ، فكثيرا ما يلمح هذا الرجل المهذب والمثقف ، بكلام بذيء وباستهزاء ، انني اقوم بهذا المشروع بغرض تحقيق مكسب شخصي ، تماما كما يتحدث بذلك العامة من اليهود » ، ثم يحمل هرتسل على بيرنباوم حملة عنيفة ، ويتهمه باستقطاب عدد من شبان اليهود حوله ، ودفع هؤلاء الى تقـديم اقتراح للمؤتمر الصهيونى الأول فى بازل ، بانتخابه امينا عاما « للجنة الاستعمار الصهيونى » انتخابا مباشرا ، وبتخصيص راتب له من المؤتمر ، ثم يقول عنه : « يلعب بيرنباوم ، الذى يزداد وقاحة واستعطاء اوراقه كلها ، لكي يصبح امينا عاما .. ومع اننا لا نملك حتى الآن قرشا واحدا ، فان بيرنباوم يطلب من « اللجنة » تسديد ديونه ، ومنحه وظيفة على مدى الحياة ، براتب قدره الف وثمانمائة جيلدر سنويا .. ولكن فى مقابل ماذا ؟؟! .. فى مقابل كتيب ظل مجهولا وبعض المقالات » .

وبعد انتهاء أعمال مؤتمر بازل (٢ ـ ٩ ـ ١٨٩٨) ، قال فى سياق وصـفه للجلسات الاخيرة (ان شنايرر وكوكش ومنتز ، ارادوا التخلى عنه ، عندما لاحظوا الاستياء الذى ساد المؤتمر بسبب الوضع المالى (السيء) ، ووصف منتز بانه « جبان وهروبي بطبعه .. لكن شنايرر وكوكش افضل منه من ناحية العنصر ، مع انهما خافا كثيرا .. انهما يعيشان ضمن افق ضيق جدا .. انهما لا يفهمان مثلا لماذا سمحت بان يصرف نبولنسكي خمسمائة فرنك لتسديد حساب عليه للفندق فى بازل ، كما انهما قبلا بتقديم إعانة شهرية له بشيء من الشك والندم .. هذه هى العناصر التى اعمل معها .. لقد كانت سكينا من الورق والخشب فى ذلك المؤتمر الصاخب » .

دى هيرش وروتشـيلد

خاض هرتسل جدلا واسعا مع البارون موريس دي هيرش ، وهو مليونير يهودي المانى ، وكذلك مع البارون ادمون جيمس روتشيلد المليونير اليهودي الفرنسى ، اللذين كانا يشجعان هجرة اليهود القادمين من بلدان أوروبا الشرقية الى الارجنتين وفلسطين . إذ أن هرتسل ، كان يرفض فكرة الاحسان التى كان ينطلق منها هذان الثريان اليهوديان ، اللذان كانا يبحثان عن حل لمشكلة اليهود القادمين من أوروبا الشرقية ، لما لهذه المشكلة من تهديد لمواقع يهود أوروبا الغربية ، ومواقعهمـا الاقتصادية والاجتماعية بالذات .

فعندما اجتمع هرتسل مع البارون دي هيرش للمرة الأولى فى باريس فى ٢ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، قال هرتسل لهيرش بصراحـة : « هناك اولا فكرة الاحسان التى اعتبرها خطا كبيرا ، لانك تنشيء بها جيلا من المتسولين ، إذ ليس هناك شعب اكثر من اليهود اتكالا على التسول ، وتاثرا بالاحسان .. » ثم كتب يقول بصراحة اكبر : « اما حلولك التافهة ، عشرون الفا فى الارجنتين ، او اعتناق اليهود للاشتراكية ، فهذه لا اقبل بها ، فانت تتلهى بقضية اليهود وكما تنزل خيولك الى السباق ، تبعث باليهود الى الهجرة .. » .

لكن السجال كان قويا بينه وبين ال روتشيلد ، الى درجة انه وجه اليهم اكثر من تهديد ، لامتناعهم عن تمويل مشروعه « الدولة اليهودية » الذى كان ال روتشيلد يرون فيه فى البداية ، خطرا جسيما على مصالحهم فى اوروبا ، وعلى مستقبل اليهود ككل . وقد خاطب هرتسل ال روتشيلد مهددا بعد أن رفضوا تقديم مليار فرنك اليـه : « الافضل لكم ان تذهبوا معنا ، واذا لم تذهبوا ، فلن نهتم بتصفية اعمالكم فى اوروبا .. إذ يجب علينا ان ننسحب من اوروبا ، فلن نستطيع البقاء هنا بعد ، اكثر مما فعلنا » . « واذا لم تذهبوا معنا ، فقد نضطر الى ان نعلن خروجكم على القانون ، ونمنعكم من دخول « بلادنا » ، ولكن اذا ذهبتم معنا ، فلسوف نغنيكم فوق غناكم .. وسنجعلكم عظماء ، لاننا سننتخب اول حاكم من بينكم » .

وعندما زار هرتسل فلسطين ، لمعاينة المستعمرات القليلة التى انشاها روتشيلد هناك بامواله ، عبر هرتسل بملاحظاته عن تلك الزيارة ، عن اتساع الهوة بين الرجلين ووصف ما جرى معه فى تلك المستعمرات بقوله : « استقبلنا المدير بشيء من الخوف ، الخوف من السيد « البارون » يخيم على كل شيء .. ان المستعمرين المساكين (اليهود) قد استبدلوا خوفا بخوف » وعن زيارته لما

يسمى بحائط المبكى قال « ذهبنا لزيارة حائط المبكى ، فلم اشعر باية عاطفة عميقة لانني شعرت بأن المكان جميعه ، قد سيطرت عليه مسحة الشحاذة .. » وفي فلسطين ، شهد اليهود المهاجرون حديثا باموال روتشيلد وغيره حملة عنيفة ضد هرتسل ، واتهموه بالعمالة لبريطانيا ، وبانه الة بيد البعثة الانكليزية للتبشير بين اليهود » .

الشعور بالوحدة

ازاء المعارضة التى لقيها هرتسل من عدد واسع من اليهود فى اوروبا ، دب الياس فى نفسه لفترة من الزمن ، فكتب اكثر من ملاحظة ، يقول فيها انه وحيد .. لا أحد يساعده .. ففى ٧ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ كتب « هذا ، مثل كل شيء اخر ، يدل ثانية على انه ليس لي أى نصير ، وانه يتوجب على أن اقوم بكل شيء لوحدى » . وفى ١٥ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ ، كتب ايضا : « لا يقف الى جانبى فى هذا المرحلة إلا والدى .. جميع الذين تكلمت معهم فى الموضوع ما يزالون مترددين ، ينتظرون ما ستتمخض عنـــه الاحداث ، ويستمهلون .. » ثم كتب : « اعمل فى اعـداد الصحيفة الجديدة « دى ولت » الى حد الارهاق والانهيار .. وهكذا فان الصحيفة كلها تقوم على كتفى انا » ثم قال: « ما لا افعله بنفسي .. لا يفعله أحد .. لا احـــد يساعدنى » « لا اثق بالامـــراء ولا بالشعب ، لا اثق إلا بنفسى . » .

ثم يعلن قرفه من السياسة قائلا : « مرت ايام قاسية ومشوشة ، فيها الكثير من الالم والقرف ، لقد اجريت اتصالات مع انـــاس « عمليين » من عالمي السياسة والمال ، وغالبا ما ندمت على انني تركت عالم الأدب الى هذه الضجة والضوضاء » .

وبعـــد :

فاذا كانت هذه هى اراء هرتســـــــل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ فى اليهود وفى رفاقه من الصهاينة الاوائل ، وهى اراء تتهم اليهود بالفساد الخلقي والتكالب على المال ، وبالجشع والانتهازية والطعن فى الظهر .. الخ ، فاننا لا نجد مبررا موضوعيا او عقلانيـــا ، لاسباغ صفات المثالية والعظمة والنزاهة وما الى ذلك باليهودية ، وبيهود الكيان الصهيونى على وجه الخصوص ، تماما كما لا نجد اى مبرر للتشكيك فى قدرة الامة العربية على الارتقاء من المنحدر الذى وصلت اليه حاليا والذى اسهمت المؤامرات الاستعماريـــة ـ الصهيونية فى ايصالنا إليه .. والذين يصدرون احكاما بالدونية ضد الأمة العربية ، وبالمثالية على الصهاينة ، هم فى الواقع إما سطحيون ، او جهلة لا يقراون التاريخ ، وإن قراوه فلا يستلهمون روحه .

عصام شريح

مـــن هـــــو؟

ولد هرتسل بمدينة بودابست فى عام ١٨٦٠ ، ودرس فى مدرسة يهودية ابتدائية ثم التحق بمدرسة ثانوية ، وعندما انتقلت اسرته الى فيينا ، درس القانون فى احدى جامعاتها . اما ثقافته العبرية . فقـــد اتسمت بالضعف طوال حياته ، ويقال انه اراد ان يترك اثرا قويا فى نفوس المجتمعين فى المؤتمر الصهيونى الخامس ، فتلا بالعبرية ، الشعار الصهيونى حول عدم نسيان اورشليم ، غير ان الكلمات كانت قد كتبت له بالحروف اللاتينية .

وكان هرتسل يستمد رؤياه من الغيبيات اليهودية المتحجرة حول ارض الميعاد ، والشعب المختار .. كما كان يرى فى نفسه المسيح (اى المخلص) بالنسبة لليهود ، وقد طعم عقيدة المسيح (او الماشيح) هذه التى ورد ذكرها فى مراسلاته الخاصـــة ويومياته ، ببعض المصطلحات والافكار العلمية ، فنجده يعتبر المهندس فرديناند دي ليسبس الذى وضع خطة شق قناة السويس ، مثله الاعلى . واشتغل هرتسل لبعض الوقت بالمحاماة ثم فى الصحافة ، وكتب عدة قصص ومسرحيات ، وانتهى به تفكيره فى المسالة اليهودية ، الى انشاء دولة صهيونية ، وكتب حول ذلك كتابه الشهير « الدولة اليهودية » وحاول استغلال ساسة المانيا والسلطان العثمانى عبد الحميد الثانى وقيصر روسيا لتهجير اليهود الى فلسطين او اوغندا او قبرص او العريش فى سيناء ، لكنه لم ينجح .

واخيرا كان التيار الاســـــــتعماري فى اوروبا قد اصبح فى يد بريطانيا ، التى راى فيها ضالته المنشودة . وبالاجمال فان هرتسل لم يكن مفكرا سياسيا اصيلا ـ كما وصفته اجهزة الاعلام الصهيونية والغربية الاستعمارية ـ ولا يمكن الزعم بانه قدم تحليلا علميا لما يسمى بالمسالة اليهودية ، وذلك بسبب سيطرة الغيبيات والاساطير الصهيونية المتحجرة على تفكيره ، ولعل نظرة خاطفة الى واقع التناقضات التى يحفل بها الكيان الصهيونى حاليا ، تثبت إخفاق الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية الذى وضعه هرتسل .

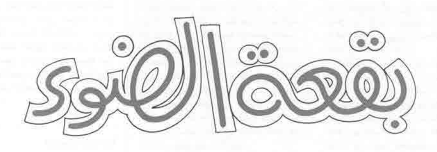
اما نهايته ، فكانت بعد إصابته بانهيار جسدي مفاجىء فى تموز (يوليو) ١٩٠٤ ، وخلال هذيان الموت الاخير ، كان هرتسل يضرب اللحاف بقبضته كما كان يفعل على مائدة الاجتماعات .. واحيانا كان يهذى قائلا : « يجب ان نشترى الثلاثة فدادين هذه ، هل دونت ملحوظة بذلك ؟ الثلاثة فدادين هذه » !

وكانت روح المغامرة ، بادية فى يومياته ، فقد كتب قائلا انه سيتوج ابنه اميرا على البلاد : « قد اضع تاجا على راس هانز يوما ما ، وانصبه حاكما ، ثم اخاطبه فى الهيكل امام كبار رجال البلاد ، بعبارة : يا صاحب السمو ، ابني الحبيب » . ثم قال : « لا اريد من احد آن يمدحنى ، وذلك لان لا احـــد يستطيع ان يلومني ، لانني انا الزعيم » ..

ومن عجب ، ان نسل هرتسل قد اختفى نهائيا ، فكبرى بناته « بولين » كانت مختلة عقليا ، وقد طلقت من زوجها ، وتحولت إلى صائدة للرجال ومدمنة على المخدرات ، اما ابنه هانز ، فقد اصيب بخلل نفسي وحالة من الاكتئاب الشديد ، ثم تحول الى المسيحية وانتحر يوم وفاة شقيقته بولين فى عام ١٩٣٠ .

اما الابنة الصغرى فقد ترددت على العديد من المصحات حتى ماتت فى عام ١٩٣٦ ، وقد نشا ابنها وحفيد هرتسل الوحيد فى بريطانيا حيث غير اسمه نيومان (ذي المسحة اليهودية) الى نورمان (اسم سكسوني) ، وكان ضابطا فى الجيش البريطاني ، وبعد ان ترك الخدمة فى السلك العسكري عمل مستشارا اقتصاديا للبعثة البريطانية فى واشنطن ، وهناك انتحر بان القى بنفسه من على احد الجسور فى النهر .

● قصـــــة جديـــدة ●



بقلم

د. عبد السلام العجيلي

- ١ -

كم بقي اسماعيل مغمضا عينيه ؟ انه لا يدرى . اول وعيه لما حل به حدث عندما دس كفه فى جيبه ليخرج غليونه فيحشوه ثم يشعله ، فاذا بها تخرج فارغة . تذكر الآن ان العسكرى الذى ساقه الى زنزانته توقف به امام بابها المعدنى وادخل يده فى جيوبه فافرغها مما فيها ، ثم منها الى عنقه فنزع عنه ربطته ، والى خصره فاستل من حوله حزامه ، ثم انحنى فسحب رباط حذائه من ثقوب الحذاء قبل ان يدفع به الى داخل الزنزانة . عندما تذكر اسماعيل هذا فتح عينيه ليلقى نظرة على حذائه وليتبين فى العتمة المحيطة به انه حذاء بدون رباط . وفى هذه اللحظة امتلا سمعه باصوات متداخلة برزت فوق الطنين الذى كان يتردد فى اذنيه . اصوات ابواب تفتح بعنف وتغلق بعنف ، وصرخات آمرة بدات بعيدة ثم انتهت الى امام باب الزنزانة التى هو فيها . وهجم الضوء على عينيه فجاة قبل ان يعتلىء فراغ الباب المفتوح بجسد ضخم لعسكرى برتبة مساعد ، له شاربان كثان ، ويقف وراءه عسكريان لم يتبين رتبتهما . صاح به المساعد :

- وقوف !

قام اسماعيل من قعدته على الـــدكة الاسمنتية الملتحمة بالجدار متباطئا ، بينما اردف المساعد :

- انت جالس على الدكة . من سمح لك بهذا ؟

لم يجب اسماعيل . كان سؤالا غبيا لم يجد له جوابا . وصرخ العسكرى بصوت أعلى :

- الا تسمع ؟ تكلم .

قال اسماعيل : جلست . لم يقل لي احد أن الجلوس ممنوع .

قال المساعد : يجب ان تعرف هــذا . سجننا ليس مقهى للكسالى . وجهك الى الحائط وانت واقف ، هكذا . ارفع يديك .. ارفعهما الى اعلى .

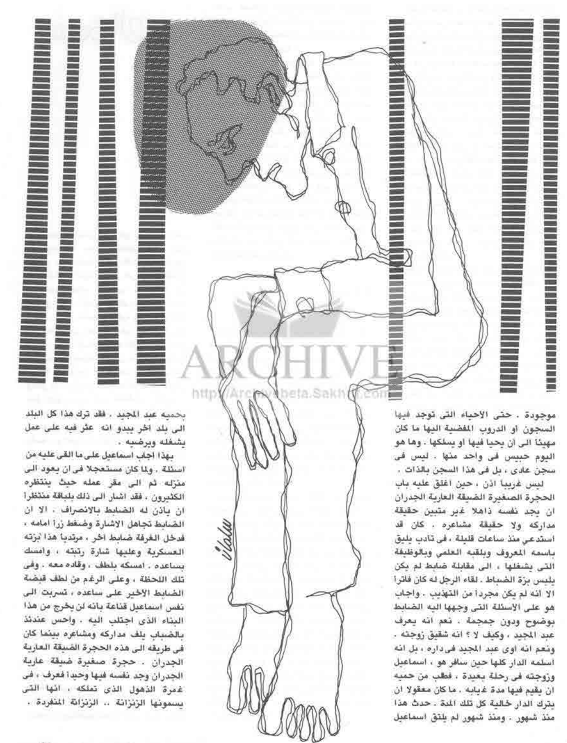
فاستدار اسماعيل واستقبل الحائط بوجهه ووقف . ثم رفع يديه الى اعلى قامته . فعل هذا ببطء لم يصل الى حد التلكؤ كانما كان ينفذ ما يؤمر به وهو نائم . وحين حرك راسه ليلقي نظرة من فوق كتفه على امره صرخ هذا بحدة :

- رأسك لا تدره .. ويداك لا تنزلهما الا حين اذن لك . هل فهمت ؟ اياك ان تنزلهما اذا لم آذن لك .

واصطفق الباب الحديدى وهو يغلق ، فالتفت الزنزانة بالعتمة من جديد . وبينما كانت احذية العسكريين الثلاثة تقرع ارض الرواق فى اتجاهها الى الزنزانات الاخرى ابصر اسماعيل ، فى وقفته مستديرا الى الجدار المقابل للباب المغلق ، بقعة الضوء مطبوعة على ذلك الجدار ، فى مستوى عينيه او اعلى قليلا من ذلك المستوى .

- ٢ -

كان هذا اول ايام اسماعيل فى السجن . قبل اليوم كان السجن عنده مؤسسة تنتمي الى عالم غير العالم الذى يعيش هو فيه ، ما كان مهيئا الى أن يعرف عنها الا انها



موجودة . حتى الاحياء التى توجد فيها السجون أو الدروب المفضية اليها ما كان مهيئاً الى ان يحيا فيها او يسلكها . وها هو اليوم حبيس فى واحد منها . ليس فى سجن عادى ، بل فى هذا السجن بالذات .

ليس غريبا اذن ، حين اغلق عليه باب الحجرة الصغيرة الضيقة العارية الجدران ان يجد نفسه ذاهلا غير متبين حقيقة مداركه ولا حقيقة مشاعره . كان قد استدعي منذ ساعات قليلة ، فى تأدب يليق باسمه المعروف وبلقبه العلمي وبالوظيفة التى يشغلها ، الى مقابلة ضابط لم يكن يلبس بزة الضباط . لقاء الرجل له كان فاتراً الا انه لم يكن مجرداً من التهذيب . واجاب هو على الاسئلة التى وجهها اليه الضابط بوضوح ودون جمجمة . نعم انه يعرف عبد المجيد ، وكيف لا ؟ انه شقيق زوجته . ونعم انه اوى عبد المجيد فى داره ، بل انه اسلمه الدار كلها حين سافر هو ، اسماعيل وزوجته فى رحلة بعيدة ، فطلب من حميه ان يقيم فيها مدة غيابه . ما كان معقولا ان يترك الدار خالية كل تلك المدة . حدث هذا منذ شهور . ومنذ شهور لم يلتق اسماعيل بحميه عبد المجيد . فقد ترك هذا كل البلد الى بلد اخر يبدو انه عثر فيه على عمل يشغله ويرضيه .

بهذا اجاب اسماعيل على ما القى عليه من اسئلة . ولما كان مستعجلا فى ان يعود الى منزله ثم الى مقر عمله حيث ينتظره الكثيرون ، فقد اشار الى ذلك بلباقة منتظراً ان يأذن له الضابط بالانصراف . الا ان الضابط تجاهل الاشارة وضغط زراً امامه ، فدخل الغرفة ضابط اخر ، مرتدياً هذا بزته العسكرية وعليها شارة رتبته ، وامسك بساعده . امسكه بلطف ، وقاده معه . وفى تلك اللحظة ، وعلى الرغم من لطف قبضة الضابط الاخير على ساعده ، تسربت الى نفس اسماعيل قناعة بانه لن يخرج من هذا البناء الذى اجتلب اليه . واحس عندئذ بالضباب يلف مداركه ومشاعره بينما كان فى طريقه الى هذه الحجرة الضيقة العارية الجدران . حجرة صغيرة ضيقة عارية الجدران وجد نفسه فيها وحيداً فعرف ، فى غمرة الذهول الذى تملكه ، انها التى يسمونها الزنزانة .. الزنزانة المنفردة .



- ٣ -

استمر اسماعيل فى رفع يديه الى اعلى فلم يسبلهما بعد اصطفاق الباب على الرغم من ابتعاد وقع اقدام العسكريين الثلاثة ثم تلاشيه ، وعلى الرغم من انقطاع أصوات انفتاح الابواب وانغلاقها فى الرواق . كل ما فعله ان تقدم بجسمه . بعد بضع دقائق . فاستند بكفيه وهما مرفوعتان الى اعلى على الجدار امامه . لم يفعل ذاك مختاراً ، بل اضطره اليه ثقل احس به فى ساعديه وعضديه ، كان ضخامة تناولت طرفيه العلويين فضاعفت من حجمهما ، وخدر بدأ بروؤس اصابعه ثم تنازل الى ان بلغ جذور يديه عند الكتفين . وتبين ، عندما اقترب بجذعه الى الجدار ، ان بقعة الضوء المطبوعة عليه أصبحت الى يمين راسه ، واعلى منه قليلا . حدثته نفسه ان ينزل كفه اليمنى فيلمس باصابعها تلك البقعة .. الا انه لم يفعل ، فى اذنيـــه لا تزال تدوى كلمة المساعد المهـــددة :

لا تنزلهما اذا لم اذن لك !

من اين تسربت هذه البقعة المضيئة الى عتمة الزنزانة ؟ دار هذا السؤال فى ذهنه باحثا عن جواب . لاشك فى ان فتحة ، او شقاً ، بين صفائح الباب الحديدية سمحت لنور المصباح المعلق فى الرواق بالمرور والارتسام على الجدار امامه . كان هذا جوابا منطقيا لا يحتاج الى تثبت بالحس ، ومع ذلك هم اسماعيل بان يدير راسه ليرى بعينه تلك الفتحة او ذلك الشق . هم ، ومرة اخرى لم يفعل . صرفته عن ذلك ضجة عادت الى الرواق وميز فيها قرع احذية العسكريين يتقدم فى اتجاهه متصاعداً . وعندما قربت الضجة لاحظ ، وعينه دوماً مثبتة على بقعة الضوء ، ان وهجها قد تضاءل ، كان تضاؤله مؤذن بوصول القادمين وبتاهبهم لفتح الباب عليه . وفتح الباب فامتلأت الزنزانة بضوء المصباح المباشر وبصيحة حادة من المساعد ، وما كان باسماعيل حاجة الى الالتفات ليتعرف الى صاحب الصيحة :

ـ ما هذا ؟! تسند يديك على الحائط ؟ ارفع يديك بلا استناد . ابتعد . نعم . هكذا كانت استجابة اسماعيل فى هذه المرة سريعة . فقد ابتعد جذعه عن الجدار كانما دفع بنابض ، وارتفع ذراعاه الى اعلى بخفة كان لا ثقل فيهما ولا خدر .

وعادت الظلمة من جديد الى الزنزانة الضيقة عندما اغلق الباب ، كما ارتسمت بقعة الضوء مرة اخرى على جدارها امام بصر اسماعيل . خيل اليه وهو يعود الى التطلع فيها ان مثل الماء كان يسح فوقها . وما كان ذلك فى الواقع ماء سح على البقعة المضيئة بل دمع ترقرق بين اجفانه هو ، ما لبث ان تجمع فى قطرتين لاهبتين تدحرجتا على وجنتيه .

- ٤ -

ليست مدورة تلك البقعة المضيئة ، بل هى مثلث لامع الوسط باهت الحواف ، او انها مسقط ضوء بيضوى متطاول ، عريض فى اعلاه ضيق عند القاعدة . لاشك اذن فى ان الفتحة التى مر منها النور ليقع على الجدار ليس ثقبا مدورا فى الباب ، وانما هو تباعد بين صحيفتين من الصاج المصنوع منه . هكذا قر راى اسماعيل فى تساؤله عن منشا هذه البقعة ، حكم به نظريا دون ان يتجاوز اوامر المساعد ذى الشاربين الكثيفين فيدير راسه ليتثبت حسيا من ذلك المنشا .

ومن جـــديد احس بثقل ذراعيـــه المرفوعتين يزداد على كتفيه وبالخدر يضخم هاتين الذراعين فيضاعف حجمهما لم يتوقف احساسه عند الثقل والخدر بل تجاوزهما الى الالم الم ممض فى اول الامر ، لم يلبث ان تحول الى الم جارح ثم الى الم طاحن ثم الى عذاب . اهي دماء تلك التى تجرى فى عروق طرفيه العلويين ام زئبق ورصاص مذاب ؟ اهما كفان وساعدان وعضدان ، ام قطع صخر تزداد ثقلا بمرور الثوانى والدقائق ؟ عرف الآن اى نعيم فقده حين كان قبل برهـــة وجيزة يســـند كفيه وذراعاه مرفوعتان ، الى الجدار امامه . نعيم تلاشى حين فتح الباب عليه فاكتشف المساعد انه يتمتع به فى غفلة من حراسه القساة الجفاة . اترى يعود اليه ذلك النعيم المفقود ؟

وهذه البقعة .. ما كان أمامه غيرها مما ينشغل به عن العذاب النازل به . كان يركز عليها نظره فترة وينحرف به عنها ، دون ان يحرك رأسه ، فترة اخرى . وحين كان يحدق فيها كان يلاحظ اختلاف وهج إنارتها بين فترة واخرى . بين الحين والحين كانت تلك الانارة تبهت حتى تكاد ان تمحي . متى لاحظ ان ذلك يحدث كلما سمع اصوات اقدام تمشى متجهة الى زنزانته من احدى نهايتي الرواق . تذكر عندئذ ان ضوء البقعة المنيرة كان قد اختفى تماما حين وقف المساعد ومرافقاه بباب الزنزانة قبل ان ينفتح ذلك الباب عليه . واخترق راس اسماعيل شعاع فكر اشد وهجا من اشعة مصباح الرواق : ادرك ان ضوء البقعة المنيرة لابد ان يختفى من على الجدار امامه فى كل مرة يقف فيها امام الزنزانة من يتاهب لفتح بابها .. وقبل ان يفتح هذا الباب بلحظات !

وهنا ، ولبارقة الفكر التى عبرت خاطره ، هجم اسماعيل على بقعة الضوء فقبلها . الصحيح انه قبل الجدار حيث ترتسم البقعة ، فهى قد امحت واختفت حالما تحرك فحال براسه بين منفذ النور ومسقطه على الحائط . فعل ذلك لانه اكتشف فى بقعة الضوء ملاكه الحارس ومنقذه من عذابه المهين . يكفى بعد الآن ان يثبت نظره عليها وهو مسبل يديه الى جانبيه ومستريح فى جلسته على الدكة الاسمنتية ليطمئن على ان الباب لن يفتح عليه ، وان ذا الشاربين الكثيفين لن يناله بشر ، مادامت متوهجة . فاذا خفت نورها وتضاءل فما عليه الا ان يهب واقفا ، فيدير وجهه الى الحائط مبتعداً عنه ويرفع يديه الى اعلى .. الى اعلى قدر ما يستطيع وحسبما تقضي الاوامر .

- ٥ -

وهكذا وجد اسماعيل راحته واستعاد النعيم المفقود .

فتح الباب عليه مرات ، فوجد سجينا طائعاً مستكينا ، جذعه منتصب على بعد قدمين من الجدار ، ووجهه مستدير اليه ، ويداه منتصبتان كحرفي الف فوق كتفيه . فاذا اغلق الباب وعادت بقعة الضوء الى مسقطها جلس على الدكة وعقد يديه على ركبتيه واثبت نظره على الحائط امامه فى بقعة مثلثة ، شبه بيضوية ، لا يتجاوز بعداها الاصابع الثلاثة ارتفاعاً والاصبعين عرضا ..



يالها من راحة ، وياله من نعيم . بل .. ياله من عذاب !

- ٦ -

نعم ، ياله من عذاب . هكذا قال هـو ، اسماعيل .

قال اسماعيل : استرحت . فارق الخدر رؤوس اصابعي والثقل كتفى ولم اعد احس لذراعي وزناً . اصبحتا فى خفة الريشة . كل ما كان علي ان افعله ، وانا متربع على الدكة الاسمنتية او مدل ساقي على حافتها ان ادير راسي الى الجدار المجاور واتطلع فى بقعة الضوء المرتسمة عليه . مادامت البقعة منيرة فانا امن . فاذا بهت وهجها فجاة وتظللت علمت ان بيني وبين ان يفتح الباب على خمس عشرة ثانية يهجم علي بعدها منه ذو الشاربين الكثيفين . ربـع دقيقة فقط . فترة قصيرة ، الا انها كافية لان اقفز من مجلسي منتصبا فابير وجهي الى الجدار بعيداً عنه ، وارفع يدى عاليا ، واسمر عنقي بين كتفي.نعم ، كل ما كان علي ان افعله كي اريح جسدى من تعب الوقوف وكتفي من ثقل ذراعى المتضخمتين ان اظل محدقاً بعين لا تطرف الى بقعة الضوء ، محدقاً بها بثبات .

ولكن تصور .. تصور انشدادى وانـا متلع العنق ، طليق كل اعضاء الجسد ما عدا كرتي عيني .. تصور انشدادى بنظرة هاتين العينين ببقعة اضيق فى السعة من نصف راحة الكف لا تبعد عن وجهي اكثر من خطوة واحدة ، لا اتحول عنها قيد شعرة ! كان انشداداً هيناً فى اللحظات الاولى وفى الدقائق الاولى ، باعثاً على الغبطة ان اراحني من تعب الجسم والاعضاء بالوقوف والخدر والثقل . غير انه ، ذلك الانشداد اعني ، حين استمر دقائق ودقائق ، ثم ساعة ، ثم ساعات ما لبث ان تكشف عن الم شديد .. عن عذاب جديد ، من نوع فريد .

حين اســـتمر تحديقي الثابت بالبقعة المنيرة دقائق بعد دقائق شـــعرت بان ما يشدنى اليها لم يعد اشعة نور لا قوام لها وانما ابر نارية دقيقة .. بل لعلها اسياخ من نار بطول ما بيني وبين موقعها على الحائط . تحول الوهج فى تلك البقعة من ضوء بارد على جدار الاسمنت الى شرارات متوقدة تكوى شبكتي عيني بلذعات محرقة وما كنت قادراً على التهرب من تلك اللذعات كان يجذبني اليها ويلصقني بها رعب فى اعماقي من ان محاولة التملص من لذعها يوقعني بين مخالب المساعد ذى الجسم الضخم والشاربين الكثيفين والصيحات المنكرة . وكان ذلك عذاباً تزايد وتزايد حتى فاق احتمالي اياه ، فثرت عليه .

تسالني كيف ثرت ؟ .

فى لحظة من اللحظات بهت ضوء البقعة على الحائط فجاة فعلمت ان المساعد وزبانيته قادمون . لم اتحرك من مكاني ، ظللت فى جلستي على الدكة محتجبا ، وظل بصرى موجها الى موقـع الضوء الذى لم يعد له وجود على الجدار . وفتح الباب فلم اتحرك . لقد وطنت نفسي على تحمل كل ما يصيبني ما دمت ساتحرر من هذا العذاب الاخير . وكل ما تراه الآن على جسدى من ندوب ، وكل ما لا تستطيع ان تراه فى اعماق نفسي من اثار ، هى بقايا ما تركته ثورتي على بقعة الضوء فى تلك الساعة من ذلك اليوم ..

- ٧ -

وسكت اسماعيل لحظة ، ثم ختم حديثه بجملة واحدة قائلا : ـ هذه هى حكايتي مع بقعة الضوء .

د . عبد السلام العجيلي
الرقه ـ سوريا

قصيدة جديدة للشاعر محمد الظاهر

طقس القرى .. رماد الحرب

"تجربة شعرية حديثة على البحور المركبة"

يسعد الدوحة ان تنشر هذه القصيدة الجديدة الرائعة للشاعر الفلسطيني **محمد الظاهر** ، الذى قدمناه فى عدد سابق ، وقد ارسل الشاعر مع قصيدته إلى الدوحة رسالة يقول فيها :

الصديق العزيز :

ارسل لك مع هذه الرسالة قصيدة اخرى مكتوبة على البحور المركبة ، التى تعتمد على اكثر من تفعيلة ، وذلك من اجل الاستفادة من الزخم الموسيقى فى هذه البحور ، ومن اجل ايجاد علاقات اخرى بين الكلمات من خلال هذه المناخات الموسيقية الجديدة ، وذلك بعد ان شعرت برتابة موسيقى التفعيلة الواحدة ، وكذلك جمود المفردات التى اصبحت تكرر نفسها فى اغلب قصائد الشعراء المعاصرين .

ارجو قراءة القصيدة بدقة ، وابداء رايك بكل صراحة حولها ، وساحاول ان ارسل لك قصائد اخرى مكتوبة على بحور اخرى مثل الخفيف ، والطويل او بعض تفعيلاتها .

اما هذه القصيدة ، فقد بنيت على تفعيلتي البسيط « مستفعلن فاعل .. » .

محمد الظاهر

الحرب تدخل من جرحي ، ويدخلني بوحُ الحروف ، وتاتي الارضُ عاشقةً
ويشعل الوقت اجزائي ويتركني .

كانت عيونُ دمي تنسلُّ قنبلةً
والرعد يشرق من غيمي ويمطرني

كل الشوارع راياتى وكل فتىً
فى خندق الليل جارى ، والمدى وطني

بحثتُ عن موقع للنبض فى رئتي ، بحثت عن بؤرة للصوت فى شفتي بحثت عن خندق للنزف ، فانبعثتْ فِيَّ العواصف كالغزلان ، واشتعلت من جمرة الوعى احلامى ، فقلت لها : السهم فى القلب ، والازهارُ فى البدنِ.

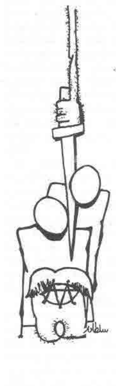
لا تغسلي جرحهم ، هذى قبائلنا ، . طنافسٌ ذهبٌ ، فحولة هشّةٌ ، اصابع تنثني ، وهامة تنحني ، وملجا ينتهي فى خيمةٍ جثةٍ ، وكلبُ سيدنا بالباب منفعلٌ ، الأرض راحته ، والبحر هودجه

والغيم سترته ، والنجم غُرّتُهُ ، كانه توام للعرش ، لو حُسِرتْ اطرافه لحظة ، لاندك قائمُه ، واهتز حاكِمُه ، لولا الكلابُ فهذا المجدُ لم يَكُنِ .

دمُ العشيرة مصلوبٌ ، ضفائرها معقودةٌ فتنةً ، والمخبرون خطاة العصرِ فتيتها ، وسيفها حية رقطاءُ فى يدهمْ ، ومسك شهْوتها فى جُبّةِ الخَوَنِ ،

الخوف اذهلني
والرعب ايقظني
والسوط اسَّسَني
والموت صَوَّرَني

خرجتُ منه الى اسرار معجزة ، النَّسْغُ عصفورها ، والنخل قامتها والبحر زورقها والشمس مقلتها ، والريح تعبرها خجلى بما حملت ، تلقي إليها رؤوسا غضة قُطفتٍ ، يوما على عجل ، فَيُخْرِجُ الشهداءُ النارَ جوهرةً ، وتكشف الريح عنهم طُحْلبَ الكفنِ .



وتخلع الشرفاتِ اليوم خيمتها ، تمضي إلى البحرِ نخلا راقصا وهوى ، قمصانه دَهْشتي ، إيقاعه غربتي ، والكف عَرْشُ يدى ، ترمي قناديلها للرمل مملكةً ، تتوج البرق اياتٍ على المدُنِ.

كل الشوارع راياتى وكل فتىً
فى خندق الليل جارى ، والمدى وطني

من القصـــــص الإســـــلامى :

رجل بعضه في الجنة

بقلم : أحمـــــد العنـــــاني

حقا إن اشد الناس عزما لابد يستشعر الفتور ولو إلى حين .. كل امارة فى وجه الفاروق عمر امير المؤمنين تشير إلى انه يقضى الساعات متصبرا على جهد كبير ، منطويا على رغبة فى الراحة من عناء الحكم ولو إلى حين ، لكن هيهات وبين جنبيه نفس لا يقر لها قرار حيال مسئولية صاحبها امام الله . وكيف يخلد عمر إلى راحة وفى المسلمين جنود يتقحمون الاهوال فى المغازى بالامصار ، وشئون لا مناص من مراجعتها مع اهل القضاء وبيت المال والعمال .. لقد والله اشتهى بضعة ايام يتيح لنفسه فيها ان تستعيد راحة يوم من ايام الشباب الخالية ، قبل ان يعرف مسئولية المسلم الحاكم التى لا تفتر فى ليل او نهار ..

كان الوقت قد تخطى الضحى بقليل حين بدا لاول مرة منذ تولى امارة المؤمنين ان ما بين يديه من رسائل واعمال هى دون ان تشغل وقته كله حتى الظهيره .. وخطر بباله خاطر سريع فارتاح له ولم يتردد فى انفاذه فاوما لرجل ممن يستعين بهم فهمس فى اذنه قائلا « ارسل من يقول لهم فى البيت فليعدوا لنا غداء يكفينا ، ها إنك ترانا .. سبعة رجال وقد يحضرنا اخرون فليحتاطوا للامر » ..

ثم نظر عمر إلى جلاسه فهش لهم وابتسم ابتسامة قلما بات الناس يتوقعونها منه وقال .. ما كنت ارجو ان يجتمع لي منكم انتم بالذات هذا العدد كله .. لقد طلبت ان يسعى لنا بغدائنا هنا ، وها انتم ترون يوشك ما بين ايدينا من الاوراق والامور ان ينفد ، وذلك كله بفضل الله ، وليتاح لي ان انعم بلقائكم .. وحانت من عمر التفاتة إلى عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي فراى فى عارضه تلحما واضحا من ملامح أبيه وسرحت افكاره مع زعيم دوس الذى استشهد من قريب فى اليمامه ، وادكر الفاروق شهداء تلك الملحمة الداميـــة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظة القران وفيهم اخوه فتنهد لا اسى لما اصابهم فى سبيل الله ، ولكن اهتزازا وشوقا لان يجمعه الحق بهم فانه لفى شوق عظيم الى كل واحد منهم ، ولكن هيهات فما بينهم وبينه على قرب العهد والذكرى بعيد فوق بعد الارض السماء . ورفع عمر يديه الى أعلى وراح يمدهما بعنف ثم يلوي جذعه المكدود ذات اليمين وذات الشمال ، وقد بدا على أساريره من الاجهاد ما لو وزع على عصبة من الناس لناء بهم جميعا .. ثم عاد يبتسم فى وجوه الحاضرين كانما يعتذر لهم عما يصدر عنه من حركات عفوية يدفعه اليها إحساس بالراحة لم يستشعر له مثيلا منذ سنين ..

قال قائل من المجلس .. انك على حال لا تعينك على العمل يا أمير المؤمنين فلا تلق بنفسك للهلاك فداك نفسي .. دعني الملم هذه القراطيس وانحها عنك جانبا ولو ساعة من الزمن فان لبدنك عليك حقا .. ولصحبك القدامى عليك حقا ..

والله يا هذا لقد كنت من غير هذا الامر فى راحة ولكنها مشيئة الله فعسى الا يرزا بها بعدى احد من ال الخطاب إلى اخر الزمان ..

ثم عاود عمر النظر إلى عمرو بن الطفيل كان بصره لا يريد أن يرتوى من منظر ذلك الرجل الجلد الذى لا يكاد يصدر عن كلمة يقولها إلا حين يسال .. وتنهد عمر غير قاصد وهو يقول .. رحم الله اباك ، كاني والله به هذه الساعة يحدثني كيف حطم ذا الكفين !

وطاول رجل من الجالسين بعنقه فقال « ذا الكفين ؟ وما يكون ذلك يا امير المؤمنين ؟ » .

هز عمر راسه وهو يبتسم قائلا « الحمد الله الذى أوجد جيل المستجدين من المسلمين الذين يجهلون عن تلك الاصنام اللعينة كل شيء .. ثم التفت ناحية عمرو ابن الطفيل يقول له .. بالله عليك يا عمرو إلا حدثت هؤلاء الشباب عما سمعته من ابيك عن ذي الكفين ؟

كيف اكون سمعته عن احد يا امير المؤمنين وانا فى طفولتى شاهد ذلك الامر حتى لكانما يقع امامي الان ؟

حقا .. ظننتك اصغر من ذلك ســــنا يا ولدى .

لا يا امير المؤمنين ، لقد وقع الامر وانا فتى يافع اعرف الضار من النافع ..

اعد علينا تلك القصة فان سماعها يطيب لي كاحسن القصص .

كان لقبيلتنا دوس صنم يدعى ذا الكفين .. كان كسائر الاصنام الا فى امر واحد .. الناس فى دوس تراكم فى اذهانهم وهم خرافة اكذوبة جعلتهم يعتقدون اعتقادا راسخا ان من يرد ذا الكفين باذى فانه يثير عليه صاعقة من السماء تدمره تدميرا .. كان ذلك مستقرا فى انفسهم فلا يرتاب احدهم لطرفة عين أن من يرد ذا الكفين

بشر فان صاعقة من السماء تنقض عليه فتحرقه وتدعه فاقد الحياة ضائع السمع والبصر . ولقد يذكر امير المؤمنين ان ابي حين هداه الله تعالى للاسلام كان واسع الأمل بان تطيعه دوس كلها فتدخل دين الله دون تردد لولا ذو الكفين هذا وهيمنته على عقول الناس .. وحين لم يسلم مع ابى من قومه سوى ابى هريرة رضى الله عنه وفد ابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا له إعراض دوس عن الدين ..

فنهض رسول الله بعد ذلك فتوضا ثم صلى ركعتين ثم رفع يديه الى السماء فدعا لدوس ان يهديها الله ، فيما كان ابي ، حسبما روى لي رحمه الله ، يرتعد جزعا من أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على دوس فاذا هو يدعو لها واستجاب الحق جل جلاله وشيئا فشيئا راح المؤمنون من دوس يتزايدون لكن ابى لم يكن ليرتاح الى شيء من ذلك حتى يصبح قادرا على حرق ذى الكفين ..واخيرا جاءت الفرصة وخرج ابى الى موقع ذى الكفين معلنا من امن ومن كفر فى دوس انه سيحرق الصنم وليكن ما يكون .

وتبين ذلك اليوم ان كل متردد فى دخول الدين الحنيف انما كان خائفا من ذى الكفين .. فيا لعقول البشر حينما تركبها الضلالة فاذا هى صماء عمياء ولو كان لها الف عين واذن .

وجاء ابى بحطب جاف جزل فحشاه فى بطن الصنم وعباده يتصايحون .

ويحك يا ابا عمرو .. ستاخذك الصاعقة .. توقف ولا تشعل النار .

ولكن ابى مضى يرتجز متحمسا فاشعل النار وراح الصنم اللعين يتهاوى قطعا والناس فى ذهول حتى اذا زال ولم يعد له وجود واكلته النار تصايح الخائفون : الويل لك يا ذا الكفين لقد كنت اكذوبة الزمان .. ولو كان بك خير لدفعت نفسك .. نريد الاسلام يا ابا عمرو .. نشهد بما شهد به المسلمون لا إله الا الله .. محمد رسـول الله ..

وتجاوبت صيحة الايمان فى دوس فما غابت شمس ذلك اليوم على رجل واحد فيها بقي على الكفر .. واستجاب الله تعالى لدعوة رسوله .. ومضى ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستزيد من بركة الصحبة النبوية .. الى ان لحق رسول الله بالرفيق الاعلى .. وكان عصر ابى بكر وكانت الردة فاناله الله فى اليمامة ما طالما سعى له ولم ينله من قبل : الشهادة فى الله جهادا .

وما ان انتهى عمرو الى ذلك حتى جـيء بالطعام .

زاد أمير المؤمنين عمر كان بركة وخيرا ولا ريب .. وكان خبزا وادما وشيئا اخر ربما كان نقيعا من التمر ..

واذ ذاك تنحى عمرو بن الطفيل جانبا ..

ونظر إليه امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فادرك بما يعرف عن ابيه ويعرف عنه انه كان عازفا عن ان يؤذى الطاعمين بابراز يده المقطوعة فى اليمامة فهو ما يزال يضـعها فى الزاد ويستعين بها .. ولكنه اشد حياء من أن يبرزها على حالها المشوهة لأمير المؤمنين وجلسائه .. ولقد استشعر إحساسا مفزعا حين سمع امير المؤمنين يقترح أن يتغذى جلساؤه عنده ذلك اليوم .. لكن ذلك الشعور المتعب راح يتراجع هونا ما كلما ادكر الرجل أن يده لم تقطع او تشوه إلا وهى تستقبل اعداء الله مواجهة وتهز السيف فى صفحات وجوههم عيانا واستبسالا .. ومع ذلك فانه لا يحمل ذلك الفضل على احد من الناس .. يده فى مكان القطع مشوهة ومنظرها مزعج فكيف به لو تقدم بجذمها المبتور الى طعام الآخرين .. وقليلا ما كان يتصور أن عمر رضى الله عنه كان يتابع تطور شعوره ويقرا ذلك على تغضنات اساريره وحركات تراجعه من موضع الزاد ..

وتكلم امير المؤمنين فقال « ما بك .. لعلك تاخرت عن الطعام خجلا من يدك .

اجل يا امير المؤمنين .

والله لا اذوق هذا الطعام حتى تخلطه بيدك المقطوعة .

يا امير المؤمنين .

لقد اقسمت عليك .

سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين لك منـا ما تشاء .

والله ما فى القوم احد بعضه فى الجنة الا انت » .

وافتر عمرو عن ابتسامة خفيفة فيما عاود التقدم ناحية الزاد وتمتم يدعو الله أن يجمع بعضه البـاقى الى بعضـه المستشهد يوم اليمامة .. لكن ذلك لم يتحقق له الا حين شاءت ارادة الله ذلك فى معركة اليرموك الظافرة الحاسمة ..



مستقبل التعاون الخليجي المشترك

بقلم: الدكتور يحيى رجب
دكتوراه في القانون الدولي

اصبح تعاون دول الخليج العربية واقعاً ملموساً ويستند إلى قناعة دول المنطقة باهمية الدور الذى يؤديه مجلس التعاون لدول الخليج العربية لتحقيق وحدة شعب المنطقة .

وتشكل منطقة الخليج العربية عمقاً استراتيجيا وسياسيا واقتصاديا . ويتطلب ذلك الحديث عن اهم الموضوعات التى تسهم فى تحقيق التعاون المشترك .

اولا : أمن المنطقة

تعتبر منطقة الخليج العربية امتداداً بحريا للمحيط الهندى ، ويبلغ طول الخليج العربى الف كيلومتر ، وعرضه يتراوح ما بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ كيلومترا ، ويغطى منطقة تبلغ مساحتها ٢٣٦٫٠٠٠ كيلومتراً مربعاً .

ويعتبر الساحل الغربى من الخليج ساحله العربى حيث تقع دول الخليج العربية ، وتطل ايران على السواحل الشرقية للخليج .

ويعتبر الخليج العربى من الخلجان الدولية اى يعتبر جزءاً من اعالى البحار ، وتكون للسفن حرية المرور فيه ما عدا الجزء الذى يخضع للاختصاص الاقليمى للدول الساحلية المطلة على الخليج ، فالبحر الاقليمى يخضع لسيادة الدول الساحلية ، ولا يحد من هذه السيادة سوى كفالة المرور البرىء لسفن الدول الأجنبية ، ويكون المرور بريئا ما دام لا يضر بسلم الدول الساحلية او يمس نظامها أو أمنها ، وواجب الدول الساحلية الا تعيق المرور البرىء لسفن الدول الاجنبية فى بحرها الاقليمى .

مضيق هرمز

يصل مضيق هرمز بين الخليج العربى الذى يعتبر بحراً شبه مغلق بخليج عمان الذى يعتبر بحراً مفتوحاً على المحيط الهندى ، وتطل على مضيق هرمز إيران من الشرق وسلطنة عمان من الغرب .

وطبقاً لاتفاقية الامم المتحدة الجديدة لقانون البحار التى تم اعتمادها فى ٣٠ ابريل ١٩٨٢ فى الدورة الحادية عشر لمؤتمر الامم المتحدة الثالث لقانون البحار ــ يعتبر مضيق هرمز مضيقاً دولياً تمر منه جميع السفن والطائرات مروراً عابراً من الخليج العربى إلى خليج عمان وبالعكس .

ويعنى المرور العابر حرية الملاحة والتحليق لغرض وحيد هو العبور السريع فى المضيق لجميع السفن والطائرات دون تميز سواء اكانت تجارية او حربية بشرط ان تمضى دون إبطاء خلال المضيق او فوقه وان تمتنع هذه السفن عن اى تهديد بالقوة او اى استعمال لها ضد سيادة الدولة المشاطئة للمضيق ، ولا يجوز للدولة المشاطئة للمضيق ان تعيق حق المرور العابر للسفن ، ولا يمس نظام المرور العابر للسفن الوضع القانونى للمياه التى يتشكل منها المضيق . ويكتسب مضيق هرمز اهميته حيث انه ممر مائى تعبر منه صادرات دول الخليج النفطية .

وتحرص دول مجلس التعاون على ابعاد المنطقة عن صراعات الدول الكبرى حيث انها تعتبر مصدراً للطاقة وشرياناً للحياة الصناعية المتقدمة . واكدت دورات المجلس الاعلى لمجلس التعاون على رفض اى تدخل اجنبى فى المنطقة ، ورفعت شعار الامن الذاتى الخليجى ، وركزت فى بياناتها المختلفة على مسئولية دول الخليج فى تحقيق امن واستقرار المنطقة .

وترجع اهمية المناورات العسكرية

المشتركة التى اجرتها دول مجلس التعاون فى شهر اكتوبر الماضى على لرض دولة الامارات العربية المتحدة إلى انها اول تنسيق عسكرى مشترك ببن دول المجلس ، وتامل دول المنطقة أن تدعم قدراتها الدفاعية المشتركة .

المتطلبات الأمنية الضرورية

تؤمن دول مجلس التعاون بان الظروف الدولية الراهنة تتطلب تحقيق الامور التالية :

● الاستقرار فى منطقة الخليج العربية وتفادى تحويلها إلى منطقة توتر عالمية ، حيث أن دول المنطقة هى الاقدر على تسوية منازعاتها الاقليمية ، ولذلك فانها تعمل بكل طاقاتها على نجاح الوساطة التى تقوم بها لتسوية النزاع الايرانى العراقى تسوية سلمية .

● الاسهام فى تحقيق الامن القومى العربى حيث ان امن الخليج يعتبر جزءا من الأمن القومى العربى ، ولذلك فان دول المنطقة التزمت بالدفاع عن القضية الفلسطينية ، وتقدمت المملكة العربية السعودية بمبادرة « الملك فهد » لتحقيق تسوية سلمية للنزاع العربى الاسرائيلى ، والتى اعتمدها مؤتمر القمة العربى الثانى عشر الذى عقد فى مدينة فاس بالمملكة المغربية فى ١٠ سبتمبر ١٩٨٢ ، كاطار لمشروع السلام العربى الذى ايدته المجموعة العربية .

وتبذل دول مجلس التعاون قصارى جهدها لتسوية الخلافات العربية فكان لها دورها فى تسوية الخلافات بين اليمن الديمقراطية وسلطنة عمان وتواصل دورها لوقف القتال فى شمال لبنان بين الأطراف الفلسطينية ، وتعمل على تحقيق المصالحة الوطنية بين الاطراف اللبنانية المتنازعة .

● تحقيق المناخ الأمنى المستقر لمنطقة الخليج العربية ، لدعم التنمية الاقتصادية الشاملة للدول الاعضاء ، حيث أن المشروعات الاستثمارية الاقتصادية تحتاج الى ان يسود المنطقة السلام والامن والطمانينة .

ثانيا : استراتيجية مشتركة للنفط

تعمل الوكالة الدولية للطاقة التى انشاتها الولايات المتحدة الامريكية ودول اوروبا الغربية على تكوين احتياطى مخزون من النفط لمواجهة الحالات الطارئة كما وضعت خطة طويلة الأجل تهدف إلى الحد من الاعتماد على البترول المستورد وذلك كله بهدف تفتيت التكتل الاقتصادى للدول المنتجة للبترول ، وزيادة العرض فى السوق النفطية مما يؤدى الى انخفاض اسعار النفط . ولذلك فانه ينبغى ان تحرص دول مجلس التعاون على التصدى لاستراتيجية الدول الغربية وان تعمل على تحقيق المرونة لخطتها فى تحديد حصص الانتاج بما يتمشى مع الطلب حتى لا تكون هناك تخمة نفطية تؤثر على انخفاض اسعار النفط .

ومن جهة اخرى ينبغى على دول المنطقة الاحتفاظ بالنفط فى باطن الارض لاطالة عمر الاحتياطات النفطية ، وذلك بهدف تامين مستقبل الاجيال القادمة حيث ان التنمية الاقتصادية تتطلب جهوداً كبيرة واستثمارات مالية ضخمة .

كما يلزم تطوير الصناعة النفطية من حيث دعم صناعة تكرير النفط بدلا من تصديره فى صورته الخام ، والاهتمام بصناعة البتروكيماويات واستغلال الغاز الطبيعى والبحث عن احسن السبل لتسويق النفط .

ثالثا : تنويع مصادر الدخل وزيادة الانتاج

تواجه دول مجلس التعاون مشكلة البحث عن موارد بديلة للنفط الذى يتعرض بطبيعته للنضوب ، كما تخضع اسعاره خضوعا تاما لقوى العرض والطلب فى الاقتصاد العالمى ، وقد تم فى الفترة الماضية التسرع فى معدل استنزافه اكثر من الحاجات الانمائية المطلوبة .

وتهتم الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون بدراسة كيفية وضع سياسة مشتركة لمواجهة مرحلة ما بعد نضوب النفط ، والاعتماد على مصادر بديلة للدخل تحقق لدول المنطقة التنمية الاقتصادية الشاملة والمستقرة ، ولذلك فانه يلزم تطوير السياسة الانتاجية وترسيخ قاعدة صناعية كبيرة تستطيع أن تحل محل النفط الآيل للنضوب . كما انه ينبغى التركيز على زيادة الانتاج الزراعى والصناعى للدول الاعضاء حيث أن انتظام دول مجلس التعاون فى اتحاد جمركى واحد لا يكفى وحده فى المرحلة الاولى من مراحل التعاون الاقتصادى المنشود .

رابعاً : المشروعات المشتركة

تعمل المشروعات المشتركة على التمتع بمزايا الانتاج الكبير ، وعلى استيعاب الفوائض المالية المتزايدة ، وتؤدى الى تنسيق التعاون الاقتصادى بين الدول الاعضاء ، ولقد نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على تشجيع اقامة المشروعات المشتركة ، ولذلك فانه يلزم تشجيع استثمار رؤوس الأموال الخليجية فى مشروعات عربية بدلا من تسربها الى الدول الغربية ، وذلك بهدف دعم الرابطة بين مواطنى دول مجلس التعاون وتعزيز السوق المالية الخليجية . ونامل ان تؤدى « مؤسسة الخليج للاستثمار » والتى انشاتها دول مجلس التعاون براسمال مشترك قدره الفان ومائة مليون دولار – مقرها الكويت – بدورها فى اقامة المشروعات المشتركة داخل الدول الاعضاء وخارجها.

وتستطيع دول مجلس التعاون ان تستفيد من الثروة الاقتصادية الافريقية فى اقامة المشروعات المشتركة باسهام رؤوس الأموال الخليجية ، مع الوضع فى الاعتبار ضرورة تامين الاموال المستثمرة ضد المخاطر

غير التجارية التى قد تتعرض لها الدول النامية مثل فرض الحراسة والتاميم والمصادرة . ويمكن الاستفادة من التجربة الجديدة لوحدة وادى النيل المتمثلة فى ميثاق التكامل المصرى السودانى ، واقامة مشروعات مشتركة بالتعاون مع دول الخليج العربية ، ويؤدى ذلك الى تحقيق فوائد كثيرة من اهمها دعم الامن الافريقى العربى ، وضمان استمرار عزل اسرائيل عن المجموعة الافريقية والاستفادة من الامكانات الاقتصادية لجميع الاطراف بما يعود باثره فى النهاية على تحقيق الفائدة للجميع .

خامساً : الأمن الغذائى

تعانى دول المنطقة من مشاكل التصحر ، وتناثر المناطق الزراعية وتشتيتها الى وحدات صغيرة الحجم ، وانعكس ذلك على ضالة مساهمة القطاع الزراعى فى تحقيق الامن الغذائى لدول المنطقة .

كما تعانى دول المنطقة من عدم وفرة الموارد المائية ، وتعمل هذه الدول على انشاء المراكز العلمية لدراسة كيفية تنمية الموارد المائية والزراعية ، فيوجد بالمملكة العربية السعودية مركز البحوث الزراعية فى الرياض ، ومعهد العلوم البحرية فى جده ، واجرت كلية العلوم فى جده دراسات عن تلوث المياه وتنمية الثروة السمكية والموارد المائية ، ويوجد فى الكويت مركز تنمية الموارد المائية ، والمؤسسة الاوروبية العربية لازالة الملوحة ، وترعى منظمة الاغذية والزراعة فى الامارات والكويت مزرعة اختبارية لاجراء بحوث متصلة بالزراعة .

ومن جهة اخرى يوجد بالمملكة العربية السعودية اراض قابلة للزراعة يمكن بعد زراعتها من سد احتياجات دول مجلس التعاون .

ونعتقد انه يمكن فى اطار عمل مؤسسة الخليج للاستثمار انشاء مركز فنى متخصص لاجراء البحوث فى الميادين الزراعية والحيوانية ، وفى تطوير مصادر المياه ، واجراء الدراسات الاقتصادية للمشروعات المشتركة الزراعية والحيوانية وذلك بهدف تحقيق الامن الغذائى لدول المنطقة .

سادساً : الموارد البشرية

نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على ان تقوم الدول الاعضاء بوضع سياسات وتنفيذ برامج منسقة للتدريب والتاهيل الفنى والمهنى والحرفى على كافة المراحل ، وتطوير مناهج التعليم ، كما نصت الاتفاقية على ان تعمل الدول الاعضاء فيما بينها على وضع معايير وتصنيفات موحدة لمختلف فئات المهن والحرف فى القطاعات المختلفة تحقيقا للاستفادة القصوى من الموارد البشرية المتاحة .

ونعتقد ان الوقت قد حان للتركيز على التعليم الصناعى وعلى اقامة معاهد التدريب الفنية وتشجيع البحوث العلمية بهدف تكوين كوادر فنية وطنية قادرة على تحمل مسئوليات التنمية ، وذلك كله من منطلق ان المواطن الخليجى هو صاحب المصلحة الحقيقية فى تنمية اقتصاديات بلاده .

سابعاً : الطاقة البديلة

أ ـ الطاقة الشمسية

ينبغى الاستفادة من الطاقة الشمسية التى تتميز بها منطقة الخليج العربية حيث انها منتشرة على نطاق واسع فى دول مجلس التعاون ، كما انها خالية من التلوث ومستوفاة لشروط السلامة ، ونقترح انشاء هيئة فنية متخصصة تتبع الامانة العامة لمجلس التعاون وتهدف الى البحث والتطوير وتقديم المشورة الفنية للدول الاعضاء فى هذا المجال .

ب ـ الطاقة النووية :

تعمل اسرائيل منذ فترة على دعم وجودها النووى فى المنطقة ولديها مفاعل نووى لا يخضع لرقابة خارجية ، ولم توقع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية وكشفت الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى فى شهر يونية ١٩٨١ عن النوايا الحقيقية لاسرائيل تجاه السلام فى المنطقة وحرصها على احتكار الطاقة النووية فى المنطقة .

ومن جهة اخرى نرى أن دول مجلس التعاون تمتلك الثروة النفطية والقوة الاقتصادية المؤثرة فى المجتمع الدولى ، فما زال النفط العربى يؤدى دوره الاقتصادى فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ولم تتوصل البحوث العلمية حتى الآن الى الطاقة البديلة .

ولذلك فان دول مجلس التعاون تستطيع ان ترسم لنفسها استراتيجية مستقبلية للاستفادة من الطاقة النفطية التى تمتلكها فى المبادلة بالطاقة النووية والتكنولوجيا المرافقة لها وذلك بهدف اللحاق بحضارة العصر ، وان تعمل دبلوماسيتها على إزالة الحواجز السياسية التى تعرقل من حصولها على الطاقة النووية .

ثامناً : مجلس التعاون ومنظمة الأمم المتحدة

يعمل مجلس التعاون لدول الخليج العربية على الاسهام مع منظمة الامم المتحدة فى الحفاظ على السلم والامن الدوليين فى منطقة الخليج العربية .

وتعمل اجهزة الامم المتحدة على تشجيع التعاون الاقتصادى الاقليمى ، وتنتمى دول الخليج العربية فى نطاقها الجغرافى الى اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا التابعة للامم المتحدة «الاكوا»

ونعتقد انه ينبغى الاستفادة من خبرة اجهزة اللجان الاقتصادية التابعة للامم المتحدة فى تحقيق التنمية للدول الاعضاء

د. يحيى رجب



مأســـاة يتــــعرض لهـــا الملايــــين :

كيف يموت النصف الآخر من العالم ؟!

عرض ومراجعة: الدكتور عبدالقادر حسين ياسين

الجوع هو الذى يحكم اكثر من نصف العالم ، ويقضي على سكان هذا « النصف الضائع » ويهددهم بالفناء .. فمن المسئول عن هذه الماساة التى تبتلع الملايين وتلقى بهم إلى الدمار ؟

لماذا ينقسم العالم الى غنى وفقير ؟ كيف ينظر اهل الشمال إلى اهل الجنوب ؟ كيف تتم عملية الافقار المنظمة ؟ ما العمل للخروج من هذا المازق ؟ تلك هى أهم الأسئلة التى تحاول الدكتورة سوزان جورج ، الاجابة عليها فى هذا الكتاب القيم .

تحرص الدول الراسمالية على تجميل صورتها فى العالم ، وتنصيب نفسها مرشدا للشعوب وحريصة على مصالحهـــا . وتستمد هذه الدول من ايديولوجيتهـــا الراسمالية المسيطرة المزيد من الدعاوى المصطنعة : باسم العلم والعقل والمنطق على اعتبار ان العلم هو « مفتاح الحلول » لمشاكل العالم الثلث . وياتى هذا الكتاب ليدحض هذه المزاعم ويفضح ما تصدره هذه الدول من بؤس ومجاعة الى دول العالم الثالث ، وليؤكد ، بالتـــالى ، بالحقائق والارقام ، انه لا يمكن ان نعزو الكوارث التى تصيب العالم الثالث الى « ضيق مساحة الارض » . (كما لو ان الكرة الارضية سفينة لا تتسع الا لعدد محدود من الركاب) ولا الى « سوء الطقس » ، وانما على العكس من ذلك تماما ، الى خضوع الغذاء لسيطرة الاغنياء مما يجعـــل الشعوب الفقيرة وحدها تعاني من هذه الازمة .

وبعد ان تفند الدكتورة سوزان جورج النظريات الراسمالية الرائجـــة عن ازمـــة الجوع المنتشرة فى العالم الثالث ، واشباه الحلول التى يقدمها « الخبراء » الغربيون للخروج من هذه الازمة ، تلقى المزيد من الاضـــواء على القـــوى السياسيـــــة والاقتصادية التى تتحكم بمصير الشعوب وكيفية رسم انماط معيشتها . ثم توضح كيف يعـــاني هـــؤلاء من ســـوء التغذيـــة والجوع حتى باتت اجسامهم اشبه ما تكون بالجثث المتحركة . وتعتقد الدكتورة جورج ان ما تعانيه شعوب العالم الثالث « ليس صدفة » ، ولذلك فان من المستحيل التسليم بهذا الوضع الذى يعانى منه الملايين من الناس فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وخاصة عندما نعرف القوى التى تتسبب فى احداثه ، فى الوقت الذى تملك فيه هذه القوى كل الوسائل الممكنة لايجاد الحلول له بدلا من تركه ياخذ مسارا متفاقما .

وتؤكد الدكتورة جورج ان الدول الراسمالية تتحمل القســـط الاكبـــر من المسؤولية تجاه هذه الكارثة ، ذلك انها سعت الى فرض نظامهـــا الاجتمـــاعى والاقتصادى على بقية دول العالم . وبعبارة اوضح ، ان هذه الدول هى التى سمحت بفرض نوع من التبعية التى تضاعف من ثروات الدول الغنية وتجعل من دول العالم الثالث « مستودعا » بشريا لتوريد الأيدى العاملة الرخيصة وسوقا للسلع الاستهلاكية .

وتفند الكاتبة الحملات التى تقوم بها اجهزة الاعلام الغربية التى « توهم غالبية الناس ذوى النوايا الحسنة بالاعتقاد ان مشكلة الجوع ناجمة عن كوارث الطبيعة التى ، بحكم تكاثرها ، تجعل اية امكانية للوصول الى حل ما مستحيلة ، او ان المشكلة ناجمة عن التزايد السريع فى عدد السكان فى الدول النامية ، او عن ظاهرة الكسل وفقدان المبادرة لدى شعوب العالم الثالث » .

وتحاول المؤلفة القاء المزيد من الاضواء على تلك الأكاذيب بتقديم تحليل علمي جاد ودقيق ، وتؤكد ان ما يجعل الفقـــراء او الفلاحين « كسالى » أو « متخلفين » ليس فقط عدم امتلاكهم وسائل العمل ، ولكن العامل الأهم هو أن « نظم الملكية العقارية هى نفسها متخلفة ومعرقلة للانتاج فى العالم الثالث » .

وتشير الدكتورة جورج الى الاكاذيب التى ما فتئت اجهزة الدعاية الغربية ترددها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ اصبحت الموارد العالمية ، ومن ضمنها الموارد الغذائية ، محدودة للغاية .

٢ ـ تزايد عدد السكان ، والدول الاكثر فقرا هى التى تشهد نسبة ولادة مرتفعة .

٣ ـ الدول الفقيرة هى التى تستهلك الموارد الغذائية .

وتتوقف الكاتبة عند قضية اساسية : لماذا يتزايد عدد السكان بين الشعوب الفقيرة بمعدلات اعلى . تقول المؤلفة : للاجابة على هذا السؤال لابد ان ناخذ بعين الاعتبار حقيقة ان العلاقة بين الغذاء وعدد السكان علاقة متبادلة . ومن نافلة القول إن الفقر سبب اساسى فى تزايد السكان ، وهذا ما يضاعف من الصعوبات التى تواجه اى نظام سياسى ، اى ان الجوع وتزايد السكان ظاهرتان عرضيتان الاولى ليست سببا للاخرى ، واية محاولة للبحث عن حلول لهذه الظاهرة بمعزل عن بقية المشاكل (عن طريـــق تحـــديد النسل مثلا) تؤدى الى مغالطة اكثر ماساوية بقدر ما هى مكلفة . وكلما بقيت الحالة على ما هى عليه ازدادت الهوة اتساعا بين الدول الغنية والعالم الثالث ، وسيستمر الفقراء فى انجاب المزيد من الاولاد ، لانهم ليس بمقدورهم ، من الناحية الانسانية والمنطقية ان يفعلوا غير ذلك .

وتضيف الدكتورة جورج : « بدلا من ان نرشد النصف الآخر من البشر الى طريقة افضل للعيش ، والى العدد المطلوب من الاطفال ، فان علينا نحن الغربيين ان نتفحص بواعثنا الحقيقية . ليس ثمة شك فى اننا نخاف : نخاف من ان يستعيد منا سكان العالم الثالث جزءا من التقدم الاقتصادى الذى يعود لهم ، ونخاف من ان يطالبونا بتخفيض مستوى معيشتنا . وإذا لم نعد لهم حقوقهم المسلوبة ، فان تزايد عدد السكان سيؤدى الى حل وحيد هو الثورة » .

وترى المؤلفة فى موقف الدول الراسمالية هذا « نوعـــا من ابوية الاستعمار الحديث » لان الغربيين لا يكلفون انفسهم عناء معرفة دوافع اولئك الامهات اللواتى لا يملكن ـ بسبب بؤسهن ـ الا خطا واحدا للبقاء الا وهو الاولاد . إذ ان بمقدور هؤلاء ان يساهموا جديا فى الحياة العائلية . ولذلك تعتقد الكاتبة ان من العبث ان تفرض الدول الراسمالية مساومات متبادلة ، لان الدول الفقيرة اعطت (ولا تزال تعطى) الكثير دون ان تحصل بالمقابل إلا على الشىء الزهيد .

كما ان الدول الراسمالية ترفض استيراد السلع من دول العالم الثالث الا اذا كانت مواد اولية وزراعية صالحة للاكل ، وذلك بفعل علاقة التبعية القائمة بين المركز والمحيط .

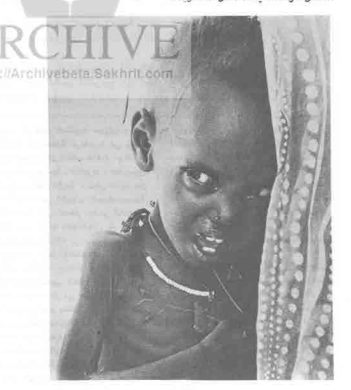
خشية الخلاص

وتتوقف الدكتورة جورج امام ســـؤال اخر : لماذا تسعى الدول النامية ، غالبا ، لتبنى القيم والانماط الغربية على اعتبار انها تمثل « خشبة الخلاص » الوحيدة ؟ وتجيب على ذلك بقولها ان الخضوع من قبل دول العالم الثالث ما هو الا حصيلة لاستراتيجية غربية بعيدة المدى . وتحاول الكاتبة ان تميط اللثـــام عـــن هـــذه الاستراتيجية التى لا تكف عن التوسع وهى ، باختصار ، « ان سائر دول العالم تحاول تقليدنا ، ونحن بدورنا نفتش عمن يقلدنا » .

وتضيف الدكتورة جورج ان « النخبة المحلية » (فى دول العالم الثالث) هى التى « تقلد نمط الحياة الغربية ، وتتقبل بترحاب « مساعدة » الدول الراسمالية ، والمستشارين الاجانب ومساهمات الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات فى اقتصادياتها » .

ولهـذه العـــلاقة بين المركز والمحيط تاريخ قديم يعود الى خمسة قرون حيث كانت النخبة المحلية تساهم دائما مع القوى الاستعمارية ليكون لها حصة الأسد عند توزيع الغنائم على حساب شعوبها ولكن الكاتبة لم تتعرض لا من قريب ولا من بعيد لآلية هذه العلاقة وانما اكتفت بالتركيز على مرحلة ما بعد الاستعمار وحـــاولت ان توضح كيف (ولمـــاذا نرى النخبة المحلية » فى العديد من دول العالم الثالث تخضع لهذا الشكل المزرى لمصالح الدول الراسمالية .

وفى معرض توضيحها لهذه الاسباب تقول الدكتورة جورج : « ان من جملة الاسباب التى تبقى على هذا الوضع المدمر



هل يمكن ان تتصور ان يكون ملايين الاطفال على هذه الصورة المؤلمة ؟

هو نظام التربية فى العالم الثالث المنقول حرفيا عن النموذج الغربي ضمن اوضاع مختلفة تماما هو الذى ادى الى تأخير عملية التنمية الزراعية ، ودفع الأجيال الصاعدة الى ترك الزراعة . ثم الهوة بين المدينة المستغلة (بكسر الغين) والريف المستغل (بفتح الغين) التى ادت الى تفاقم الهجرة من الريف وتزايد اكواخ الصفيح فى المدن . ثم القطاع الزراعى الذى لم يزود بالطاقات البشرية المعدة اعداداً كافيا للقيام بعملية تحديثه وتطويره .

كما ان اغلبية الخبراء الزراعيين الذين تلقوا تعليمهم ، فى معظم الاحيان ، فى أوروبا الغربية ، قد تعودوا على نمط الحياة المدنية ولا يستطيعون ان يتكيفوا مع نمط الحياة في الريف » . ولا تستثني الدكتورة جورج الدور الذى تقوم به الولايات المتحدة الامريكية فى تعميق هذا الوضع . فعلى سبيل المثـــال « حصرت الولايات المتحدة جهودها فى تشكيـــل « النخب المحلية » فى امريكا اللاتينية والشرق الأوسط ، على الرغم من ان ثروتها الخرافية تسمح لها باعارة بقية دول العالم الثالث جزءاً من انتباهها . وعملت بريطانيا على تكـوين قـادة افريقيين وهنــــود وسيلانيين ، واعتمدت فرنســـا على مستعمراتها القديمة . وترسل المانيا الغربية اليوم بعثات للعمل فى العديد من دول العالم الثالث . وعلى نطاق واسع نرى النظم التربوية فى الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال تعتمد على النماذج الغربية التى تمثلها « النخب » التى درست فى الخارج والتى لا تتنـــــاسب مع الاحتياجات الملحة لمواطنيها المعدمين » .

الثورة الخضراء

ثم تنتقل الكاتبة للحديث عن ما يسمى بـ « الثورة الخضراء » التى تطرح نفسها مثالا صارخا للانتاج الغذائي وحلا لمشكلة التنمية فى العلم من خلال الترويج لتقنياتها وتصديرها الى دول العالم الثالث كما لو انها تمثل حلا سحريا لمشكلة الجوع فهذه « الثورة » لا يستفيد منها الا اغنياء الدول الرأسمالية ومختلف شركاتهم الاحتكارية المتعددة الجنسيـــات التى لا تقدم لشعوب العالم الثالث الا المزيد من البؤس منذ ما يزيد على ثلاثين سنة » .

وتعزو المؤلفة هذا الفشل الى المصالح الغربية التى تسير فى اتجاه يتعارض مع الحاجات الحقيقية للذين يعانون من الجوع . وعلى الرغم من الاخفاقـــات الصارخة لهذه « الثورة » فى حل الازمة العالمية للغذاء » ، يستمر معظم الخبراء فى نشاطاتهم كما لو ان هذه التقنيات هى الكفيلة بتقديم الحلول المناسبة .. ولم



تشغل بالنا قط بنتائجها الاجتماعية .. فى الواقع ، لقد اعرنا انتباهنا الى كل العوامل باستثناء تلك الكفيلة بحل ازمة الجوع والبؤس فى العالم الثالث » .

وترى المؤلفة انه « طالما تخضع دول العالم للدول الرأسمالية ، وتتبع نماذج التنمية المفروضة عليها . فانها لابد ان تنتج مواد زراعية بهدف التصدير لتعود عليها بالأموال اللازمة لاستيراد المنتجات الصناعية والكمـــاليات للترف وليس للاستهلاك المحلي وطالما استمرت تلك السياسة ، فان كل محاولات التنمية سيكون مصيرها الفشل الذريع . وستزداد اكثر فاكثر عملية السيطرة عليها من الخارج ، وفق استراتيجيات بعيدة المدى تهدف الى وضع دول العالم الثالث تحت الرقابة الدائمة للدول الرأسمالية » .

سياسة شرسة

وتتولى الطبقات المسيطرة فى دول العالم الثالث ، عن وعي او عن غير وعي ، تنفيذ تلك الاستراتيجية ، وتعتمد فى ذلك سياسة قمعية شرسة ، فالجماعات المسيطرة (التى تكون ، فى الغالب قد سطت على السلطة واستعملتها لتحقيق امتيازاتها والحفاظ عليها) تبحث عن اعوان لها فى الخارج لتمكينها من تثبيت حكمها وتبديد ثروات شعوبها ، فتسارع هذه القوى الخارجية التى تقاسمها نفس الاهداف الى نصرتها . وهكذا ترتهن السلطة المحلية كليا للدول الرأسمالية القادرة وحدها على مساعدتها على الاستمرار فى الحكم » .

وسيكون من نتيجة هذا التحالف « المزيد من اعمال القمع لمواجهة تمرد الجياع فى داخل البلد ولا يهم ان تكون ايديولوجية الدولة الرأسمالية المتحـــالف معهـــا ديمقراطية أو فاشية .. المهم هو الهدف وهو ان تكون قادرة ومستقرة لنجدة حليفها والنزول بثقلها العسكري لسحق الفقراء عند اول بادرة تمرد » .

ثم تبين الدكتورة جورج كيف اصبحت « سياسة الافقار » سياسة منظمة وكيف تحولت المساعدات الغذائية الى سلاح اقتصادي يستخدم ضد دول العالم الثالث لكى تظل دائما تحت رحمة الــــدول الرأسمالية .

وتضرب الكاتبة مثلا على ذلك فتقول « ان تعاظم نقص الحبوب يمكن ان يعطى الولايات المتحدة مقدرة كبيرة على التحكم بحياة (أو موت) الملايين من الفقراء للصادرات الغذائية الامريكية » .

وبعد ان تحلل المؤلفة اساليب افقار العالم الثالث ونهب ثرواته تتساءل : ما العمل ؟ وماذا يمكن للطبقات المسيطرة فى المحيط ، او الطبقات المسيطرة فى المركز ان تعمل ؟

والجواب البديهى للطبقات الحاكمـــة فى الدول الرأسماليـــــة انه ليس من مصلحتها ، بشكل عام ، ان تنتهج سياسة جديدة تقلل من سيطرتها ونفوذهـــــا وارباحها .

وتقترح الدكتورة جورج على الــــدول الرأسمالية ان « تدع الشعوب الجائعة » (أو المجموعة) فى العالم الثالث وشانها ، وان تكف عن ارسال الخبراء الـــذين لا يوصون الا باتباع حلول على النموذج الغربى ، وان تكف عن ايهام الآخرين بان النظام الرأسمالي هو النظام الوحيد للتقدم وان تكف عن تكييف بيئة العالم الثالث وفقا لحاجاتها » .

وتخاطب الكاتبة زعمـــاء الـــدول الرأسمالية بقولها : « كفوا عن تقـــديم الدعم المادى والسياسي للطبقات القمعية التى لا تعمل قط من اجل تحسين معيشة شعوبها . اعطوا هذه الشعوب فرصتها » وبعد ان تدين بقوة السياسة التى تنتهجها الدول الرأسمالية ، تطلب فى الوقت نفسه الى دول العالم الثالث ان « تغير سياستها تغييرا جذريا وان ترفض بقوة الارتهـان لوصاية الدول الرأسمالية وتكريس تبعيتها لهـــا » .

ان المجال لا يتسع لاثارة كل الموضوعات التى تناولتها الدكتورة جورج فى كتابها القيم . لقد وفقت المؤلفة فى تشخيص الأساليب التى تنتهجها الدول الرأسمالية لافقار العالم الثالث ، وجددت مســــار السياسات الامبريالية ووسائطها فى العالم الثالث ، وربما كان اهم ما قامت به انها مزقت القناع التى تختبىء خلفه تلك الدول التى تقدم نفسها على انها عدوة شرســة للامبريالية ، وهى فى الواقع غارقة فى تبعيتها له .

الدكتور عبد القادر حسين ياسين

أول قصيدة سعودية لشاعر مصري منذ ٥٣ عاماً

- الأمير شكيب أرسلان اكتشف القصيدة والشاعر
- مقالة تاريخية لأمير البيان في الموازنة بين الشاعر وأبي تمام

بقلم: كمال النجمي

في ظني انه لولا تلك المجلة العروبية الاسلامية ذات التاريخ الجليل، لما فكر هذا الشاعر المصري الكبير ان ينشر شعره، لانه كان عازفاً عن نشره عزوفاً يشبه ان يكون عدم مبالاة ممزوجاً بشيء من الخوف او التردد، وقد عانيت منه ذلك بنفسي، وله موضع فى حديثنا إن اتيح لنا، فى مقالات قادمة ..

منذ ستين عاماً تقريباً صدرت في القاهرة مجلة اسبوعية اختار لها منشئها اسم « الفتح » .. ورفع شعارها مسطوراً على راس صفحتها الاولى قوله تعالى: « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » ..

منشيء الفتح مجاهد سوري، نزل مصر بعد اقتحام الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو، دمشق العزلاء، عقب الحرب العالمية الاولى، وانفراط الحكومة السورية العربية التي كان صاحب الفتح من رجالاتها النشطين في مقاومة الغزو الفرنسي. وقد عرف الغزاة بلاءه فطلبوا راسه بعد وقعة ميسلون الخالدة، فاستتر في ملابس فقراء البدو، وركب جملا اخترق به سوريا وفلسطين وسيناء حتى بلغ وادي النيل واستقر في القاهرة ..



جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

الامير شكيب ارسلان



محمد علي الطاهر

الدكتور احمد الشرباصي

هذا المجاهد هو الكاتب الكبير ، العالم العامل ، الاستاذ محب الدين الخطيب المتوفي الى رحمة اللـه في منتصف السبعينـات وقد نيف على الثمانين ، قضاها كلها يقول ويعمل لله وفي الله ، وأصدر مجلتين عظيمتين ، الأولى «الزهراء» التي كانت في العشرينـات من ارقى المجلات الفكرية والأدبية في مصر والعالم العربي ، واكثرها التزاما بقضية أمتنا .. وفيها كتب المستشرقون المستنيرون وكبار كتاب مصر والاقطار العربية ، ولكنها لم تعش طويلا .

والمجلة الأخرى هي « الفتح » .. كانت ملتقى الاقلام الاسلامية والعربية من كل الانحاء ، وعاشت اكثر من عشرين عاماً .. ومن اعظم كتابها الأمير شكيب ارسلان الذي لقبه معاصروه : «كاتب الشرق الأكبر» و « أمير البيان » .. و « حجة العرب » .. وكان ادبه وعلمه وماله وقوة فكره وبدنه وروحه ، وقفا على العروبة والاسلام ، في مثالية تشبه الرهبانية ، فعاش منفيا عن بلاده « لبنان » الى اخر حياته ، لم يعد الى بلدته «الشويفات» في جبل الشوف إلا قبل وفاته بثلاثة اشهر ، في اخر سنة ١٩٤٦

داعية للاسلام والعروبة

عاش شكيب ارسلان يتنقل في اوربا وامريكا واسيا ، داعيا الى حقوق العرب والمسلمين التي كانت في ذلك الزمن نهبا مقسما بين البريطانيين والفرنسيين والايطاليين والهولنديين والاسبان وغيرهم من دول أوربا ..

ومنع المستعمرون شكيب ارسلان من دخول جميع البلاد العربية التي يحتلونها واولها سوريا ولبنان اللتان تحتلهما فرنسا بل كان مجرد اسمه ممنوعا من دخول البلاد العربية ، ما عدا مصر والعراق والسعودية واليمن ، فيكفي أن ترسم حروف اسمه في كتاب من الكتب ولو عرضا ، فلا يهدأ للسلطات الاستعمارية بال حتى تصادره ! .

كان شكيب ارسلان داعية الى الاسلام والعروبة معاً لا يرى تناقضاً بينهما .. كتب اليه الملك فيصل الأول ملك العراق الاسبق كلمة مشهورة قال له فيها : « اشهد انك أول عربي تكلم معي في الوحدة العربية وأراد ان تكون وحدة عملية » .. اي قائمة على حقائق الاشياء لا على الوهم والخيال ! .. وفي ذلك يقول شكيب ارسلان : « إن العروبة جامعة كلية .. وان جمع الشمل السياسي لا يكون إلا بلم الشعث الاجتماعي ، وبث روح الوحدة الأدبية » .

وفي الكتاب القيم الذي عنوانه « شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام » يقول مؤلفه صديقنا الشيخ احمد الشرباصي رحمه الله : « ظل شكيب يبديء ويعيد في الحديث عن الوحدة العربية والدعوة اليها وقد بدا بذلك في وقت مبكر عقب الحرب العالمية الأولى ، وبقي يغادي هذه الفكرة ويراوحها ، ولا يترك فرصة للحديث عنها . فهو في سنة ١٩٢٩ يتحدث عن الصهيونية وخطرها وممالأة انجلترة لها ، واستخفافها بالعرب ، فيشير الى أن علة العرب هي التفكك والتمزق ، وان سبب تغلب اعدائها عليها هو اختلافها فيما بينها وعدم التقائها على كلمة واحدة وهدف واحد .. وفي سبيل بلوغ الوحدة لايرى مانعا ان يتنقل في مراحل ، ويتدرج مع الزمن ، فهو ـ مثلا ـ يقول سنة ١٩٢٩ عن الجزيرة العربية ـ يقصد السعودية اساسا ـ إنها القطعـة الباقية على الاستقلال من الوطن العربي ، ولذلك هي مناط آمال الأمة العربية قاطبة ، فالعرب اجمع مولون وجوههم شطر الجزيرة يأملون حفظها من مصائب الاحتلال التي وقعت بها البلاد العربية الأخرى ، وذلك حتى تكون في المستقبل مبعث الدولة العربية المستقلة كما كانت في الزمن الغابر » ..

ولما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وقمعها الاستعمار الفرنسي بالحديد والنار ،

أول قصيدة سعودية لشاعر مصري منذ ٥٢ عاماً

كتب الأمير شكيب من مقره الدائم في سويسرا بيانـــاً باللغـــة الفرنسية الى « عصبة الأمم » .. يطلب الاعتراف باستقلال سوريا ولبنان وفلسطين ، والغاء نظام « الانتداب » الاستعماري المشين ، وجلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن هذه الإقطار العربية الثلاثة ودخولها بعد استقلالها عصبة الامم .

وفي سنة ١٩٢٦ كتب عن قضية فلسطين يقول : « اذا كان حكم الله على اليهود بان يشتتوا أيدي سبا ولا تكون لهم مملكة ، افيكون العرب مسئولين عن ذلك ويجب أن يعاد شمل هذه « الامة » على ظهر العرب ومن كيسهم ؟ ! .. ان أربعة عشر مليونا من هذا « الشعب اليهودي » هم في اوربة وامريكة .. اذن قد كان الاولى بالاوروبيين الذين فى ديارهم ان يجمعوا شملهم الى مملكة واحدة وان يعيدوا عليهم حقهم الضائع من كيسهم لا من كيس غيرهم ، لا ان تقطعهم انكلترة ملك العرب الذي يتصرف به العرب من الف وثلاثمائة سنة .. فالعرب لم يموتوا ولن يتخلوا عن وطن عربي بحت هم سادته من ثلاثة عشر قرنا ، لاجل عاملكم الديني والاقتصادي » !

ثم يقول هذه الكلمة السديدة الثاقبة النظر : « إننا حضرنا الجلسة الأخيرة التي انعقدت في « جنيف » لاجل المذاكرة في ادارة فلسطين ، وسمعنا افادات المندوب الانكليزي ، وفهمنا منه كيف أن اختلاف أعيان فلسطين ـ لأن الاعيان هم الذين اختلفوا ـ ومنافساتهم ومزاحماتهم على العضوية والرئاسة وما اشبه ذلك ، قد قوت آمال الانكليز واليهود كثيراً على انفـــاذ البرنامج الصهيوني ، واضرت جداً بالعرب ويا للأسف ، كما ان نغمة وايزمان هـــذه المرة تشعر ايضا بنشاط وامل لا منشـــا لهما سوى اختلاف الفلسطينيين .. وخلاصة القول أن بقاء فلسطين بلاداً عربية ، أو تحولها يهودية وطرد العرب اخيراً منها ، ذلك منوط بالعرب الفلسطينيين انفسهم قبل سائر العرب .. وبهذا بلاغ لقـــوم يعقلون » ! ..

المحامى الجــوال

كان شكيب ارسلان هو لسان العـــرب ومحاميهم الجوال فى اوربا ، وكلمته تصل الى انحاء العالم .. قالت مجلة « الفتح » عنه فى سنة ١٩٢٩ إنه « كاتب الشرق الاكبر الذى يقوم فى اوربة مقام مكتب استعلامات اسلامى عظيم » .. « فالامير شكيب امة وحده ، وهو فى اوربا يسد مسد جماعات وإدارات ووفود » ! ..

كان الرجل يقوم بهذا كله على نفقته ، ومن « كيسه » الخاص ، ويزيد عليه التبرع بالمال للمجاهدين فى فلسطين والجزائر والمغرب وليبيا وغيرها ..

نحن نقف هنا من شكيب ارسلان كما نقف على البحر ، نتامل ما يمتد بصرنا إليه لا نتجاوز هذا الحد ، فالرجل بحر لا ساحل له ، ولو ذهبنا نتحدث عنه لضاقت بنـــا السبل ، ولكن لابد من هذه النجوى العابرة لأن الجيل العربى الجديد يكاد يجهله ، على انه من اعظم رجالات العرب ومفكريهم وقد شمل جهاده كل شيء ، دون أن يصيب مغنماً أو يتطلع إلى مكان او منصب ..

بعد الاستقلال الصورى لسوريا ســـنة ١٩٣٧ وبقائها محتلة بالفرنسيين ، عرضوا عليه منصباً كبيراً فقال : « لا اقبل منصباً ولو كانت سوريا مستقلة غير محتلة بالجند الفرنسى ، فكيف وهى محتلة ؟ ! » ..

ونظرا لكلمته وارائه الطيبة فى سياسة الملك عبد العزيز ال سعود رحمه الله ، رشحته الشائعات سفيراً للسعودية فى دولة اوربية ، فنفى ذلك ! .. ويقال ـ كما ذكر المرحوم الشيخ الشرباصى فى كتـــابه الممتع عنه ـ « ان الملك عبد العزيز كان يرحب بقبول شكيب مثل هذا المنصب » .. ولكن شكيباً كان يعتبر تاييده لسياسة الملك عبد العزيز مما يقتضيه العمل الخالص لوجه الله ..

اما مكانته فى العلم والادب ، فلم يكن فى عصره اعلم منه فى شئون العرب كافة فى جميع الاقطار ، ولا اعلم منه باحوال المسلمين فيها ، ولا اوثق بالتاريخ الاسلامى

وقد اختير « غيابيا » رئيسا للمجمع العلمى السورى ، وهو مجمع اللغة العربية هناك ، ولبث وهو فى المنفى رئيسا للمجمع

وفى سنة ١٩٣٥ انعقدت فى مدينة لكنو بالهند ندوة لعلماء المسلمين من جميـــع الاقطار ، فكان مما صنعته هذه النـــدوة أن طرحت على اعضائها هذا السؤال :

ـ اى الرجال من المسلمين يستحق ان يوصف بانه اعظم رجل فى العالم الاسلامى اليوم ؟! .. اى فى سنة ١٩٣٥ .

وترددت فى الندوة أسماء محمد اقبال ورشيد رضا وشكيب ارسلان وابو الكلام الدهلوى وسليمان الندوى وعبد الكريم الخطابى واحمد الشريف السنوسى ومولانا محمد علي وحسين احمد المهتدى وسيف الرحمن وعبيد الله السندى وغيرهم .. ففاز الأمير شكيب ارسلان باكثرية الأصوات ..

طليعة فذة

قدمنا هذه الاسطر تعريفاً للجيل العربى الراهن بالامير شكيب ارسلان ، وان كنا لم نقدم الا قطرة من غيث هتون ، او اقل من قطرة ..

ونهتبل الفرصة فنكرر اليوم ما سبق ان دعا اليه الاديب العلامة الاستاذ على الطنطاوى فى مجلة « الرسالة » منذ اربعين عاماً من وجوب نشر كتب شكيب المخطوطة وإعادة نشر المطبوع منها ، وجمع رسائله الخاصة ، فان هذا الذى دعا إليه الاستاذ على الطنطاوى لم يتحقق منه بعد شيء يذكر ، على ان تراث الامير يملا الوف الصفحات ، ويجلو للعرب صفحة نضالهم من اواخر القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين ، فهل يذهب هذا كله فى النسيان ؟ ! . وهل يضيع العرب والمسلمون شكيب ارسلان حياً وميتاً ويتقاعسون حتى عن مجرد الاشادة بفضله او الاشارة اليه ، وهو الذى كان طوال حياته يرى من واجبه الاشادة بكل ذى فضل ولو كان لا يعرف عنه شيئا إلا ما تلمسه يداه من فضله على البعد ؟! ..



﴿ المراسلات ﴾

محب الدين الخطيب

الفتح

﴿ الاشتراكات ﴾

في المملكة المصرية ٣٠ قرشاً

في الخارج ٥٠ فرنكاً

﴿ الاعلانات ﴾

يتفق عليها مع الادارة

صحيفة اسلامية علمية اخلاقية

﴿ تصدر يوم الخميس من كل اسبوع ﴾

(العدد ١٨٦)	القاهرة : يوم الخميس ١٤ رمضان ١٣٤٨ — ١٣ فبراير ١٩٣٠	(السنة الرابعة)

من فحول الشعراء بلا مراء

صحيفة الفتح التى كانت منذ اكثر من خمسين عاما ملتقى الأقلام الاسلامية

انني « شخصياً » مدين للأمير شكيب ارسلان ديناً لافكاك لعنقى منه ، مع ان المدين « الاصلى » هو والدنا واستاذنا وشاعر بلادنا « صعيد مصر » السيد محمد حسن النجمى الانصارى الاصل ، الذى توفى الى رحمة الله فى آخر سنة ١٩٤٠ ، وبقي اداء الدين واجبا على « ورثته » مدى الزمان ، وان كان — رحمه الله — لم يورثهم شيئا سوى مخطوطة ديوانه التى كتبها اخوه المرحوم الطاهر النجمى بخطه قبل ثلاثين عاما ، ومازالت تنتظر التصحيح والتحقيق ، فضلا عن الطبع والنشر ، وكيف بهما وقد مضى على رحيل الشاعر اكثر من اربعين عاما ، وأوشك اسمه ان يختلط بأسماء اناس آخرين من بلاد عربية اخرى ، فينحلهم مؤرخو الادب اسمه وشعره ، ويغدو بعد جيل او جيلين كانه من الشعر الجاهلى المنحول او المنتحل ؟!

كانت مجلة « الفتح » لسان حال طليعة فذة من ادباء مصر والعالم العربى والاسلامى ووحدتهم منذ صدور المجلة فى بداية العشرينـات ، ومن مبادئها : « الفتح لأهل القبلة جميعا .. العالم الاسلامي وطن واحد .. الفتح رسالة الاقطار الاسلاميـة بعضها الى بعض » .

وقد واصلها الأمير شكيب بمقالاته من سويسرا — حيث اقام منفيا — ولم تكن مقالاته هذه الا بعض ما يكتبه يوميا الى الصحف العربية الاخرى ولصحيفته الخاصة التى كان يصدرها بالفرنسية فى سويسرا ، لسانا للعرب والمسلمين .

كان على انشغاله ليل نهار ، لا يفوته ان ينوه بشيء يراه أو يقرؤه ويجد فيه فائدة لأمته .. وكان الشعر العربى الفائق الجودة مما يحتفى به الامير ويعظم رجاله لانه يراه متعلقا بوجدان الانسان العربى من قديم .. الا انه منذ اخريات العشرينـات لم يعد يقرأ ما تنشره الصحف من الشعر لتدهور مستواه ، إلا ما كان لشوقى ، او لحافظ ..

من فحول الشعراء

وذات يوم طلعت مجلة الفتح بمقالة للأمير فى صدرها تحت عنوان : « من فحول الشعراء بلا مراء » .. تكاد تكون هتافا حماسيا ينبعث مدويا من حنجرة الامير تحية لشاعر « لم يسمع باسمه فى حياته » هو الشاعر محمد حسن النجمى ..

هذا الشاعر الذى وصفه الامير بانه من فحول الشعراء بلا مراء ، عاش عمره فى دائرة الفتح لا يريد ان يتعداها الى دوائر النشر الواسعة ، فلما استاثرت به رحمة الله عليه طواه النسيان ، كما اوشك ان يطوى شكيب أرسلان نفسه ، على عظمته فى تاريخ امته ، وشهرته التى طبقت الآفاق طوال حياته ! ..

كانت القصيدة التى اثارت هذا الاعجاب الفائق لدى الامير شكيب ، تعبر عن شعور العرب والمسلمين لمناسبة جلوس الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٣٠ .. وعنوانها : « ذكرى جلوس جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد » .. وكان هذا لقبه سنة ١٩٣٠ .

يقول فى اوائلها :

حَسْبُ الحنيفة من جلوسِكَ عِيدا
يَبْقى وإنْ خَلِقَ الزمانُ جديـــدا
تصفو بهُ الأيـــامُ من اكدارهـــا
ويعود طالعُ نحسِـــها مسعودا

أول قصيدة سعودية
لشاعر مصري منذ ٥٣ عاما

وبحسْبِ ابناءِ الحنيفةِ ان يَرَوْا
مُلكا لَها وفق الكتاب مشيدا
يجرى على آثاره ويُقيمُه
بين العبادِ عِبَادةً وحُدودا
برعان فى البلد الامين ممالك
برعاه فى البلد الامين مُمَلَّكٌ
كتبَ الالهُ لملكِهِ التاييدا
عبد العزيز ولم اكن من بعدما
بلغ اسمُه هامَ السُّها لأُزيدا
« صَقرُ الجزيرة » وهى غِيلٌ لم يَكنْ
إلا لِيُخرج للخطوب أُسودا
تحمى مرافقها فليسَ لِطامع
أنْ يستبيح من الصَّفا جلمودا
وملاذ هذا الدِّين يَحْمى دونه
عين الحمية ان تُصيب هُجودا

وهى فى اكثر من ثمانين بيتا على هذا النسق ، وكانت اول قصيدة ينشرها شاعر مصرى فى امتداح سياسة الملك عبد العزيز منذ ثلاثة وخمسين عاما .. وكانت المملكة السعودية ناشئة فى بداية امرها ، ولكن الشاعر كان ينظر إليها باكبار وامل عظيم من وجهة نظره الاسلامية والعروبية يومئذ ..

ولو كان فى « الدوحة » متسع لنشرناها كلها ولكنا على اية حال نرسل صورتها ، فعسى ان ننقل الى القارىء شيئا منها ، كما نرسل صورة مقالة الامير شكيب ، فكلتاهما من الوثائق الادبية والتاريخية لذلك العصر المزدهر بارباب الشعر والنثر ، وبالكفاح من اجل العروبة والاسلام ..

كانت هذه القصيدة حدثا ادبيا عظيما فى تقدير الامير شكيب ارسلان ، وهو الناقد البصير الذى يعرف غث الشعر من سمينه وقد عرف الشعر العربى كله ، وتفيا ظلاله الوارفة ، فلا يعجبه فى الشعر الا العجب ، ولا يبالى أن يقرأ من شعر معاصريه الا احمد شوقى ، وربما حافظ ابراهيم أيضا ، وكانا عند نشر هذه القصيدة سنة ١٩٣٠ قد دخلا فى السنتين الاخيرتين مما قدر لهما فى هذه الدنيا .. رحمهما الله ! ..

قال شكيب فى مقالته : « لا يتسع وقتى لقراءة الشعر الا ما كان لشوقى وحافظ ، وللنادر من غيرهما ، وذلك لأن العمر اصبح ضائقا بالضروريات التى لا غنى عنها ، فلا يجد ندحة للكماليات الا فى الندرى وعلى خلاف القياس » ..

ثم قال : « ولقد ظفرنا اخيرا بخبيئة مدفونة لم اكن اظن فى زوايا الانقباض وتحت استار التواضع خبيئة مثلها ! .. تناولت العدد الاخير من الفتح « ١ » فرايت فى صدره قصيدة فلم أعج بها ، لما ذكرت من ضيق الوقت على الشعر ، ثم اتيت على الجريدة كلها ، ولما فرغت منها واردت ان اطويها حانت منى نظرة الى بيت من اوائل تلك القصيدة فاستجزلته ، فقرات ما يليه فاذا به كالاول ، فرغبت فى قراءة تلك الصفحة ، فصار كل بيت يسحبنى الى الذى بعده ، وهكذا حتى اتيت على القصيدة كلها وانا اقول : كم فى الزوايا خبايا ! ..

قرات شعرا جمع بين الجزالة والانسجام ، وبين اللفظ والمعنى ، وساده علو نفس جدير بالبارودى ومن فى ضربه .

قرات شعرا يعتنقه الطبع ، ويشربه الخاطر ، ويعرف القارىء اعجازه من صدوره ، وتتمثل قافيته من اول كلمة من بيته ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع متناه فى الصفاء ، ومكانة فى اللغة رفيعة وتصرف فى القول سلس القياد ، يجول صاحبه به كما اراد ، فقلت : والله إنه لعبقرى من يفرى هذا الفرى ، واقسمت لو وضعنا من هذه القصيدة ابياتا فى ضمن قصيدة ابى تمام الدالية التى هى من هذا البحر وهذه القافية ، يذكر فيها عهود المعالى على المعنى ، لما امكن الناقد ان يميز شعر الطائى عليها .. ولكن ابا تمام هو شيخ المولدين لدى ذوى الانصاف ، والقصيدة التى قراتها فى صدر الفتح هى من هذا النسج الفريد الذى ابو تمام صاحب اسلوبه البديع ومنواله الرفيع .. ولا تجد فى هذه العصماء من اولها إلى اخرها لفظة واحدة فى غير محلها ، او بيتا يقال فيه : لو قال كذا لكان احسن ! .. وقرات التوقيع الذى تحت القصيدة فاذا بي لم اسمع به فى حياتى ، فقلت : يارب فى اى عكم اختبا هذا الرمح ، وتحت اى غمام اختفى هذا النجم ؟! .. ومما زاد فى حلاوة هذا النظم مجيئه على قامة ابن سعود بطل العرب الذى يفعل فتقول الفصحاء ، ويفرى فيفتق السنة الالباء ، والله يزيد فى الخلق ويزيد ايضا فى الحلق ما يشاء » ! ..

وعلق صاحب الفتح محب الدين على مقالة شكيب قائلا : « لعل قصيدة صديقى الأستاذ محمد النجمى التى نالت الاعجاب العظيم من اديب العربية الأكبر هى ثالث قصيدة نشرها له الفتح .. وقصيدته السعودية التى كان فيها موفقا التوفيق كله جاءتنى والعدد يكاد يكون ماثلا للطبع ، ولثقتى بعلو نفس الاخ النجمى كتبت له كتابا قبل ان اقرا القصيدة اقول له فيه اننى سانشرها فى العدد التالى وسانوه بها فى هذا العدد ، وبعد ان القى كتابى فى صندوق البريد قرات مطلع القصيدة فوقع لى ما وقع لعطوفة الامير الجليل من الاسترسال مع سلامة ابياتها البليغة حتى اتيت على آخرها ، وكنت كتبت للفتح مقالته الافتتاحية فلم اجد اولى منها بالحذف لتحل محلها لمعة نجمنا المتالق فى سماء الادب .. وانى اهنئه بهذا الثناء على ادبه من كاتب الشرق الأكبر ، واغتبط بان افاق الفتح كانت مطلع هذا النجم الساطع الزاهر » ! ..

ولم يكن تعليق محب الدين اقل اهمية من تعليق شكيب ، فان محب الدين فضلا عن جهاده ، إمام من ائمة الادب ، وبيت «الخطيب» فى الشام من اكثر بيوتاتها شعراء وادباء وعلماء ..

لقب النجمى واصله

انقضى هذا النهر الطويل على قصة الشاعر هذه ، ثم علمت اخيرا ما احزننى ، فان بعض ذوى النية الحسنة من اساتذة الأدب المصريين العاملين فى السعودية ، قد وقعوا فى خلط شديد بين اسم شاعرنا المصرى الصعيدى « من نجع حمادى بمحافظة قنا » وبين آخرين فى بعض بلاد العروبة ، يتعاطون الشعر ولهم اسم يقارب اسمه ، مما ضلل بعض الاساتذة فتحدثوا فى الاذاعة السعودية ذاكرين خطا ان محمد حسن النجمى الذى كان ينشر اشعاره فى الفتح ـ ومن اشهرها قصيدته السعودية التى تحدثنا عنها ـ هو من ابناء حلب ، وكل قرابته فى حلب ، ولقبهم « النجمى » .. وهذا خلط عجيب بين

الشاعر الكبير الذى وصفه الامير شكيب ارسلان بانه « من فحول الشعراء بلامراء » وبين اخرين اقل منه فى الشعر طبقة بل طبقات ، ولهم فى افكارهم طريق اخر غير طريقه ..

ان لقب شاعرنا مشتق من اسم جد قديم له اسمه « نجم الدين » كان رئيسا للقبائل العربية النازلة فى بعض نواحى « قنا » .. وتسمى مجموعة القرى العربية الى اليوم باسم « اولاد نجم » ولقب النجمى ينطق بتسكين الجيم ، نسبة الى النجم .

اما النجمى الثانى والثالث والرابع فى حلب وعكا وغيرهما من بلاد عروبتنا العزيزة ، فينطق لقبهم بتحريك الجيم لانه غير منتسب الى نجم الدين او الى غيره من نجوم البشر فيما نعلم ، وقد زارنى اخيرا ضيوف من اهل عكا قالوا لى ان لقبهم « النجمى » بتحريك الجيم ، فسررت بلقائهم ، وعرفتهم الفرق بين نطق النجمى المصرى والنجمى الفلسطيني .

وكان المجاهد الفلسطيني المرحوم محمد على الطاهر يداعبنى احيانا بتحريك الجيم فى اسمى ، ثم يحدثنى ضاحكا عمن يعرفهم ممن يحملون لقب « النجمى » ـ بتحريك الجيم ـ فى عكا وحدها .. وهم كثر فكيف بمن يحملون اللقب فى عدة مدن عربية ؟! ..

ولكن اسعدنى أن بعض ذوى الفضل من الأساتذة المصريين الذين سمعوا تلك الاحاديث غير الصحيحة عن شاعرنا ، سارعوا فتحدثوا بالصحيح الذى عرفوه عن شعره واسمه وبلدته ، كذلك صنع الأستاذ الكبير على الطنطاوى ، اذ تحدث عن شاعرنا فى التليفزيون السعودى غير مرة ، تعريفا بشعره وجهاده .. ولا عجب فقد كتب المرحوم محب الدين الخطيب ، وهو خال الأستاذ على الطنطاوى ابقاه الله ، شيئا كثيرا عن شاعرنا .

مساجلات الشاعرين

لم يتم الحـــديث عن القصـــيدة « السعودية » ـ كما سماها محب الدين الخطيب ـ لشاعرنا النجمى الذى هو حفيد نجم الدين الانصارى الأصل والذى نزل اباؤه واجداده صعيد مصر منذ عهد عمرو ابن العاص ، واحتفظوا بعروبتهم ولغتهم ، حتى ليقال ان كلامهم افصح كلام عربى الآن .. لكن الراديو والتليفزيون افسدا اللهجات العربية التى احتفظت بها بعض القبائل العربية طويلا ، ومن بينها قبيلة اولاد نجم التى منها الشاعر ، وفيها نشا فصيحا لا يعرف كلمة واحدة غير عربية الأصل الا فيما ندر ..

ارجو وقد فتحت الحديث عن شاعرنا الذى كان اكبر شعراء عهد إحياء الشعر العربى المصرى بعد البارودى ، الا اقطعه حتى استوفيه ان شاء الله .. فان هذا الشاعر لم يشترك فى احياء الشعر العربى فحسب ، بل كان فى الرعيل الاول بعد ذلك من دعاة النهضة العربية والاسلامية ..

ثم نستاذن القارىء فى تسجيل هـــذه الطرفة ..

فان الشاعر كان قد نظم سنة ١٩٣٣ قصيدة يبكى فيها « الشرق العربى » .. ومن اوائلها :

اصبحت كالصيد فى إنياب مفترس
يا منبت الفارس المقدام والفرس
ونـــال من روضك المعطار ســـارقه
ما تشتهى نفســـــه فى غفلة الحرس
يا مهبط الوحى والتقديس كيف رمت
ايدى الليالى رباك الطهر بالنجس ؟!
يا ايها الشرق ان الغرب فيك رمى
بما يعيث حصيف العقل بالهوس
فاض الاناء .. انشكو الغال تمعن فى
فاس فسادا أم السكسون فى القدس «٢»
ام نشتكى طغمة الطليان تفعل مـــا
تشكو المروءة منه فى طرابلس «٣»

هاجت هذه القصيدة اشجان الامير شكيب ، وحركت شاعريته المتالمة لاحوال العرب والمسلمين ، فنشر مقالة حماسية عن القصيدة ختمها بشعر يمتدح به صديقه النجمى ، فكانت الابيات البليغة التالية من شعر الامير شكيب ، وهى مجهولة ايضـــا كشعر النجمى ، حتى ان المرحوم الشيخ الشرباصى لما كتب الرسالة التى نال بها درجة الماجستير عن الامير شكيب «٤» ذكر ابياتا علق بها شكيب على قصيدة اخرى للنجمى ، وفاته ان يذكر ابياته التى علق بها على قصيدته هذه فى البكاء على الشرق العربى ، مع انها من ابلغ شعر شكيب ارسلان .. قال :

مَا ادْهَشَتْنَا مِنَ النَّجْمِيِّ قَافِيــةٌ
كَانَّهَا الغَادَةُ الحَســنَاءُ فِى العُرُسِ
لَهَا سَوَابِقُ قَدْ جَاءَتْ مُسَلْسَــلَةً
عَلَى اطِّرَادٍ كَعُرْبِ الذُّبَّلِ الدُّعُسِ
قُلْ فِى حَبِيبٍ وَبَشَّــارٍ وَرَهْطِهِمَا
وَالبُحْتُرِيِّ وَلاَ تَضْنُنْ بِـــــهِ وَقُسِ
شِعْرٌ بِهِ تَسْـــكَرُ الالبَابُ سَانِحَةً
كَمَا تُسَــــافِرُ بِنْتُ الحَانِ بِالجُلَّسِ

وقد غاب عنى بعضها لانى استمليها من الذاكرة ، وساعود اليها فى الفتح ان شاء الله ..

ومساجلات شكيب والنجمى تستحق وحدها مقالات طوالا ، فكيف ونحن لا نرجو أكثر من استكمال الحديث عن الشاعر وقصائده العروبية والاسلامية ومكانتـــه المجهولة بين شعراء عصره فى مصر والبلاد العربية ؟!

هذا واجب يتقاضانا حق الشاعر علينا ان ننهض به ، بعد ان اوشك تراثه على الضياع بين اهمال عارفيه ، وحياء اهله وبنيه ، من شبهة التنويه به والتعريف بفضله ! .. فهبه شاعرا عربيا لا يربطنا به سبب ، ولكنه ضائع الحق ، افلا يقتضينا هذا ان ننتدب انفسنا للدفاع عنه ؟! ..

اليس حسبه بعد الذى ناله من التعب فى حياته . ان ديوانه الحافل العظيم مازال مخطوطا ومفرقا فى الصحف «٥» ، برغم انقضاء ثلاثة واربعين عاما على وفاته ، رحمه الله ؟ ! ..

كمال النجمى

هـــــوامـــــش

(١) صدر فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠ .
(٢) الغال : الفرنسيون .
(٣) كان الطليان يحتلون ليبيا وعاصمتها طرابلس الغرب .
(٤) الكتاب الاخر للشيخ الشرباصى عن الامير هو الذى اشرنا إليه فى هذا المقال اما رسالة الماجستير فخاصة بانتاجه فى الادب واللغة ..
(٥) اتممنا اخيرا جمع ما تفرق منه فى الصحف فصار الديوان مهيا للطبع ..



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الرابعة



منذ صغرى اعلن عن نفسه ميلي الفطرى للشعر . كنت اجد متعة كبيرة فى ترديد محفوظاتى المدرسية منه . واقف مملؤة بالانبهار والدهشة امام ما يقع عليه بصرى من قصائد او مقطوعات مطبوعة فى الكتب المدرسية او فى الصحف التى كان يحضرها ابي واخوتى الى البيت . وذلك رغما عن عجزى عن ادراك مضامينها .

كان هناك كتاب اسمه (الكشكول) يضم مجموعة من الطرائف والشعر والاخبار الأدبية والتاريخية . وفى هذ الكتاب كان لي أول لقاء مع قصيدة (ايها الساقي اليك المشتكى) .

وضعتني القصيدة او بالاحرى الموشح فى دائرة سحرية غامضة ، لعل منشاها موسيقاه الخارجية المنبعثة من طبيعة الوزن ، والمتميزة بتنوع القوافي ، مع الالتزام بقافيتي الشطرين الاخيرين من كل مقطع ، مما اكسب الموشح ايقاعا يريح السمع ويهدهد النفس .

اما الكلمات فكان معظمها بالنسبة الي محملا بمعان انفعالية نفسانية غير التى قصدها الشاعر .

كان السقاؤون فى تلك الأيام يزودون بيوت البلدة بالماء باستثناء بعض البيوت القليلة ، لا سيما بيوت الاقطاع القديمة ، والتى كان أصحابها يمتلكون حصصهم الخاصة بهم من مياه الينابيع العديدة فى البلدة .

وكانت المياه تصل تلك البيوت بواسطة القنوات الفخارية تحت سطح الارض وتصب فى البرك القائمة وسط ساحات البيوت الفسيحة .

وحين كنت ابدا بالقاء المطلع « ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع كانت كلمة الساقى تتخذ فى ذهنى معنى انفعاليا خاصا ، مقرونا بصورة السقاء الكهل الذى كان يزود بيوت « حارة العقبة » بالماء ينقله اليها من (عين الكاس) شرقي البلدة .

كان مجيء السقاء الى منزل خالتي فى (حارة العقبة) مبعث اثارة محببة لي ، فمنذ يطا بقدمه اول درجة من درجات السلم الخارجى المفضي الى الدار ، كان صوته يرتفع بالكلمات المالوفة : يا ساتر يا الله ! ، وذلك تنبيها للنسوة لكي يتوارين خلف الابواب .

وكنت اركض الى السقاء واقف بجانبه عند الزير الكبير ، ارقبه وهو يرفع القربة عن ظهره بيديه القويتين ، ثم يسندها الى



ابراهيم عبد الفتاح طوقان

رباب الكاظمي

الشاعرة العراقية رباب الكاظمي

بدلئه وقد جعل فوهتها المربوطة على فم الزير الواسع . وبعد ذلك يشرع بفك الرباط فيندلق الماء العذب الفضي الى الزير الذى لم يكن ليمتلىء قبل ان يبتلع حمولة اربع قرب او اكثر .

كان الساقى الذى يخاطبه الشاعر يمثل دائما فى خيالى متقمصا شخصية السقاء الكهل، سقاء (حارة العقبة) . ولما كنت اجهل ما هو (الزق) فى قوله : (جذب الزق اليه واتكا) فقد استلزم الفعلان (جذب ـ واتكا) اعطاء كلمة الزق عندى معنى الوسادة .

اما النديم الذى هام الشاعر فى غرته، (ونديم همت فى غرته) فكنت اتخيله ابن جارنا بائع حلاوة الطحينة ، ذلك الفتى الأسمر الطويل النحيل الذى كان يحمل اسم نديم . وهكذا كان يعطى خيالى للكلمات صورا ودلالات خاصة به وحده ، وكنت اغتنم فرصة غياب ابى وابناء عمى وقت العصر فارتقي السلم الخارجى المكشوف والمؤدى الى احد طوابق الدار العليا ، واقف متجهة نحو الشجر المنتصب فى صحن الدار ، واشرع فى القاء الموشح بصوت واثق مرتفع ، مقلدة بذلك ابراهيم فى القائه للشعر ، واتخيل نفسى شاعرة تقرا شعرها على الجمع المحتشد كما يفعل ابراهيم ، واستغرق فى تخيل الصورة حتى يكاد يصبح الخيال فى احساسي حقيقة . فاذا انتهيت عدت الى الانشاد مرة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ، وانا فى حالة اشبه بالجذب الصوفي .

بعد ستة وعشرين عاما ، فى عصر يوم من ايام حزيران ١٩٥٥ ، وقفت فى قاعة (وست) فى الجامعة الامريكية ببيروت ، لأواجه لأول مرة في حياتى الحشد الذى دعته الدائرة العربية فى الجامعة للاستماع الى مختارات من شعرى .

وخلال الدقائق التي كان يقدمني فيها الأستاذ جبرائيل جبور ، وبينما انا اجيل بصرى فى الوجوه امامى ، مر بعيني شريط سريع قصير ، رايتني فيه بمواجهة الشجر المنتصب فى صحن الدار ، القى على مسامعه القصيدة العزيزة (ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع !) وابتسمت .

ربما بدت ابتسامتى فى ذلك الحين وكانها تحية للحاضرين وما كانت فى الحقيقة الا تحية لتلك البنت الخيالية البعيدة ، الماخوذة بقصيدتها الموشحة وبالحالة الشعرية الصوفية الغامضة التى كانت تعتريها عند إلقاء الموشح على شجر

الدار .

ثم تجاوزت مجرد انشاد الشعر الى محاولة كتابته . كان داخلى يمتلىء احيانا بمشاعر واضحة ، وبانفعالات مبهمة ، خصوصا اذا استمعت الى الموسيقى والغناء .

فهنا كنت أشعر بميل الى التعبير عن شيء ما ، شيء احس به ولا افهمه . فاهرع الى قلم وورقة سرعان ما تمتلىء بكلمات لا رابط بينها ، ثم اذهب بالورقة المحملة بالالفاز الى ابراهيم ، وارجوه بصوت خافت متردد ان يقرا ما كتبت (من شعر) . ولم يكن ابراهيم يخيب رجائي ، بل كان يقرأ الكلمات ويبتسم لي ويربت على كتفي ، وانصرف أنا دون ان اسمع منه كلمة تشجيع او تثبيط .

ظلت الموسيقى حتى اليوم تشعرني بالصفاء الروحى ، وتحرك فى داخلى تلك الحالة الغامضة المصحوبة بالرغبة فى كتابة الشعر .

● ● ●

اى دور تلعبه الصدفة فى حياتنا !

حادث تافه ، او خبر عادى ، او محض مصادفة تعترض طريق المرء ، فيتغير معها مجرى الحياة ، وتنعطف طريق السير انعطافه (حادة) قاطعة وتصبح الدنيا غير الدنيا والعالم غير العالم .

لو لم يعترض ذلك الغلام طريقي ، ولو لم يحبسني اخى يوسف بين جدران الدار الهرمة ، لاستمرت حياتى تسير فى اتجاهها المالوف العادى ، ولكنت واصلت دراستى فى المدرسة العائشية حتى نهاية السنة الخامسة ، وعندئذ ما كان ابراهيم ليفكر فى ان يجعل مني تلميذة له .

كان قد علم من امي بسبب قعودى فى البيت . لكنه وهو الانسان الواسع الافق الحنون ، العليم بدخائل النفس البشرية ، نظر الى ذلك الامر نظرة سبقت الزمن خمسين سنة الى الامام .

لم يتدخل ، ولم يفرض ارادته على يوسف العنيف ، لكنه راح يعاملني بالحب والحنو الغامر .

وظلت تتجمع الامور الصغيرة لتصبح جسراً ينقلني من حال الى حال .

كل ما كان منتظرا هو فقط الصدفة العابرة ! ودق جرس الغيب ليعلن قدوم اللحظة ، الصدفة .

● ● ●

● أول قصيدة كتبتها كانت موجَّهة إلى ملهمتي «رباب»

● أخي إبراهيم يفتح لي أبواب الجنّة المفقودة

كان ابراهيم قد وصل لتوه لتناول طعام الغداء ، وشرع يتحدث الى امي بفرح - بينما هو يغسل يديه - عن تلميذين من تلاميذه كانا قد جاءا اليه فى الصباح بقصائد من نظمهما ، خالية من عيوب الوزن والقافية ، وكم كان فخورا ومسرورا وهو يتحدث عن الموضوع .

وبعفوية مطلقة ، وبصوتي الخافت الضعيف قلت : (نيالهم !) وتعنى الكلمة بالفصحى : هنيئاً لهم .

نظر الي ابراهيم وصمت . ثم قال فجاة : ساعلمك نظم الشعر ، هيا معي .

كانت امي قد سكبت له الطعام . ولكنه ترك الغرفة ولحقت به ، وارتقينا معا السلم المؤدى الى الطابق الثاني حيث غرفته ومكتبته .

وقف امام رفوف الكتب وراح ينقل عينيه فيها باحثا عن كتاب معين . اما انا فكان قلبي يتواثب فى صدرى . وقد كتمت انفاسي اللاهثة .

دقيقتان ، واقبل علي وفي يده كتاب « الحماسة » لابي تمام . نظر فى الفهرس ثم فتح الكتاب عند صفحة بالذات .

قال : هذه القصيدة ، ساقرؤها لك وافسرها بيتاً بيتاً ثم تنقلينها الى دفتر خاص وتحفظينها غيباً ، لاسمعها منك هذا المساء عن ظهر قلب .

وبدأ يقرأ :

امراة ترثى اخاها

طاف يبغى نجوة
من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلة
اى شيء قتلك
امريض لم تعد
ام عدو ختلك
اى شيء حسن
لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل
حين تلقى اجلك
والمنايا رصد
للفتى حيث سلك

● ● ●

وشرح لي معني الابيات ، وشعرت بخيط رفيع من السوداوية يحز فى قلبى قال : لقد تعمدت ان اختار لك هذا الشعر لترى كيف كانت نساء العرب تكتب الشعر الجميل .

ونزلنا الى غرفة الطعام وفي قلبي عالم جديد يضطرب بالانبهار والتوقع .

فى المساء اسمعته القصيدة غيبا دون خطا او تلكا فى تلاوتها .

● ● ●

حين أويت الى فراشي ذلك المساء كنت احتضن بين ذراعى دفترا ذا لون « حشيشى » باهت ، وقلما ازرق اللون ، وعيداً من اعياد الشعور !

ها انا أعود الى الدفاتر والاقلام والدراسة والحفظ . ها انا اعود الى جنتي المفقودة .

وعلى غلاف دفتر المحفوظات تلالات هذه الكلمات التى كتبتها بخطى الردىء ، خط التلميذة فى الثالثة عشرة من العمر .

الاسم - فدوى طوقان .

التاريخ - ١١/١١/١٩٢٩ - الاثنين الظهر .

الصف - (شطبت الكلمة وكتبت بدلا منها (المعلم) :

ابراهيم طوقان

الموضوع - تعلم الشعر

المدرسة - البيت .

ولم تكن هذه بعيني كلمات ، بل كانت شموساً واقماراً قبلها كانت حياتى واقفة لا تسير مع الزمن ولا اعرف ماذا افعل بها . اما الآن فها هى حياتى تتحرك ، وها هو

ايقاعها يسرع . وها انا اشعر بتجددي وبعودة الثقة بالنفس من جديد .

• • •

ما أروع الخطوة الاولى ! ما اجملها ! ما أشد سحرها !

اصبحت خفيفة كالطائر لم اعد مثقلة القلب بالهم والتعب النفسي . فى لحظة واحدة انزاح جبل الهوان وابتلعه العدم ، وامتدت مكانه في نفسي مساحات المستقبل شاسعة ومضيئة ، خضراء كمروج القمح فى الربيع .

ويالرهبة الخطوة الاولى !

ان قوى الشر ، الظاهرة منها والخافية ، لا تهادن ابداً . انها تقبع دائما فى زوايا الدروب متربصة بنا . مع الخطوة الاولى يبدأ العراك والصدام بين ارادة الحياة وقوى الهدم ، سواء اكانت عشوائية ام مخططة ومرسومة سلفاً .

• • •

قالت اختي (فتايا) لابي وهى تظن انها تزف اليه بشرى مثيرة : هل تعرف ان ابراهيم شرع يعلم فدوى نظم الشعر ؟

واشاح ابي بيده ، وواصل شرب القهوة المرة . كانت حركة يده حين اشاح بها تحمل كل معاني الاستخفاف والاستهانة .

وانكمش قلبي مع حركة يده ، وتقلص ..

انه لا يؤمن انني اصلح لشيء ـ قلت هذا بيني وبين نفسي ـ انه لا يحمل لى سوى شعور اللا اكتراث ، كانني لا شيء ، كانني عدم وفراغ ، كانني لا لزوم لوجودي اطلاقا .

وازدادت الفجوة النفسية بيني وبين ابي عمقاً واتساعاً .

كما بدأ هذا الحدث فى عيون عمتي وافراد اسرة عمي مثار سخرية بادىء ذي بدء ، ثم تحولوا الى اعداء حقيقيين ، يعملون على قلع الطريق دون مسيرتي الجديدة .

كان عليهم ان يتصرفوا حسب تكتيك خاص وذكي . فلم يكن من الهين اقناع ابراهيم بالعدول عما بداه معي ، اذ لم تكن علاقتهم به علاقة حميمة . فهم بطبيعتهم لا يطيقون رؤية الاشياء تسير على غير هواهم . وهو مستقل التفكير صريح ، جريء ، وصعب الانقياد الى غير ما يؤمن به .

• • •

مضيت فى المسيرة مع ابراهيم والشعر لستة ايام متتالية . وفجاة توقف ابراهيم .

ثلاثة ايام مرت دون ان يدعوني لاسمع له اخر قصيدة طلب الى حفظها وليختار لى قصيدة اخرى للحفظ .

مع هذا الصمت المفاجيء عاد الشعور بالثقل الى قلبي ، وبدات كتفاى تتهدلان من جديد ، وعاد ظهرى يحدودب وانا امشي ، كما فى الأيام التعيسة السابقة .

كنت ذات طبيعة خجولة ، تعوزني الجراة واقحام نفسي على الآخرين حتى لو كان ابراهيم . وانتظرت حتى يقول هو شيئا ما ، وكان انتظارى على هم وقلق .

فى صباح اليوم الرابع كنت قد قررت مبادرته بالسؤال ، مستمدة بعض الجراة من يقيني بمحبته الحقيقية لي ورفقه بى .

وكعادتي كل صباح حملت اليه ابريق الماء الساخن لحلاقته اليومية . وضعت الوعاء الصغير على المغسلة ، ووقف هو امام مرآتها البيضوية الشكل متهيئا للقيام بعملية الحلاقة .

بدأ يمرر الفرشاة والصابون على جانبي وجهه وعلى ذقنه ، اما انا فوقفت بجانبه انظر اليه من خلال المرآة ، وابذل مجهوداً صامتا لابدأ السؤال ، حتى اعانني الله في النهاية وفك عقدة لساني . سالته بصوت مرتعش : هل غيرت رأيك ؟ هل كففت عن ..

وانكسر صوتي وذاب ، رغماً عني ، فى دمعتين . واجابني فوراً وقد اصبحت رغوة الصابون البيضاء تغطي نصف وجهه : كلا لم اغير رايي ، ولكني توقفت لاتاكد من صدق رغبتك فى التعلم . سنواصل اليوم الدرس .

● كنت أشعر أن أبي يؤمن أنني لا أصلح لشيء

● تمكنت من حفظ الكثير من نصوص الشعر والنثر في فترة قصيرة

وهبطت الدرج بقامة منتصبة ، وفتحت لي الدنيا ذراعيها من جديد .

المستقبل ينتظرني .. انه هناك لا ريب فيه ، ولا شك !

وكان هذا كافيا لتبدل احساسي بالوجود .

• • •

وجه بيضوي ممتلىء ، عينان دعجاوان غرة ناعمة سوداء تغطي الجبهة ، وظل ابتسامة يطفو على شفتين مطبقتين مع وضع سينمائي للجسم والراس .

لا تزال الصورة واضحة فى خيالي بكل قسمات الوجه الذى لم تمحه السنون البعيدة من ذاكرتي ، وتحت الصورة ، او فوقها ، او بجانبها ، الاسم المطبوع بخط عريض اسود : « الشاعرة العراقية رباب الكاظمي » .

لقد تخمرت فى نفسي صورة مثالية لرباب ، فاصبحت مثلا اعلى اطمح الى بلوغه . وكان للانطباعات الوجدانية والتاثرات النفسية التى تركتها فى اعماقى تلك الصورة شان كبير فى توجه تفكيري للشعر قبل الحكم على بالاقامة الجبرية فى البيت .

وحين بدات محاولاتي الجادة فى نظم الشعر كانت اول قصيدة كتبتها دون اخطاء عروضية او نحوية موجهة الى رباب الكاظمي .

وحين توفى ابوها الشاعر عبد المحسن الكاظمي بعد ذلك بسنوات رثيته بقصيدة اعزي رباب من خلالها .

الصباح ربيعي دافيء ، شارع فيصل الخالي من العمران انذاك ، يغمره ضوء الشمس . الصبية والبنات يحثون الخطى الى المدارس ـ ابناء الموسرين منهم يحملون حقائب الكتب الجلدية ، واخوتهم ابناء الفقراء يحملون « اكياس » الكتب الصغيرة المصنوعة من القماش ـ وانا ابطىء فى سيرى ريثما تطل على الطريق اجمل معلماتي فى المدرسة العائشية واحبهن الى قلبي .

كنت اتعمد توقيت الذهاب الى المدرسة فى الصباح مع توقيتها الذى لم يكن يخطىء ، فامشي الى جانبها واسعد بحديثها معي فى الطريق ، معتزة امام طالبات المدرسة برفقتي لها وبمبادلتها الحديث ، هي ، اجمل المعلمات وابرزهن شخصية ليس فى المدرسة فحسب بل فى البلدة كلها .

● كان الغناء ووجود آلة عزف في بيتنا من الممنوعات

● امتنعنا عن استخدام الكهرباء لسنوات طويلة لأن صاحب المشروع كان يهوديا

● كنت أغني وأعزف في السر.. وكان إبراهيم هو الوحيد الذي يتعاطف معي

كانت « ست فخرية الحجاوى » معلمة للغتين العربية والانكليزية واختا بالرضاع لشقيقى ابراهيم ، وكانت تسلنى دائما عن اخباره وعن اخر ما نظم من قصائد .

فى ذلك الصباح الربيعي حدثتها عن قصيدة جديدة له كان قد تلاها علينا فى المساء السابق . وهنا قالت لي : لمـــاذا لا تتعلمين منه نظم الشعر ؟ انك تملكين الموهبة ولا ريب فى ذلك ، فالقاؤك للمحفوظات الشعرية يؤكد لي هذه الحقيقة انك تحبين الشعر .

وبالرغم من ان ردة الفعل السريعة لدي كانت التعبير عن استحالة ذلك ، فان عقلي الباطن التقط الملاحظة العابرة بسرعة البرق ، واحتفظ بها فى اعماقه الخفية ، وهذا مما لاشك فيه ، فقد ظلت الفكرة تتحـــرك وتعمل عملهـــا فى (لاواعيتى كدينامو) لا يتوقف . صرت انام واصحو على هذه الرؤيا . ورحت فى يقظتى أرى بعين خيالي قصائدى التي لم اكتبها بعد منشورة فى الصحف ، تماما كما تنشر قصائد ابراهيم وزباب الكاظمي .

وكان هذا الحديث العابر مع « ست فخرية » قبل الحكم على بالاقامة الجبرية فى البيت بفترة قصيرة فقط .

وهكذا فان ما نفكر به ونطمح اليه فى النهاية جزء منا ، والغرابة فى هذه الامور النفسية ان محركها وباعثها من قرارة الاعماق غالبا ما يكون كلمة عابرة او حادثة بسيطة لا قيمة لها .

نسيت شقائي كله ، وانسحاقي كله ، ورحت اعيش المستقبل فى حاضرى الذى جعله ابراهيم مرجا اخضر وحقلا من حقول القمح الواعدة . ورحت ارى الحصاد الاتى فى احلام يقظتي . واصبح بمستطاعي ان اسبق الزمن على جناح الحلم .

اصبح المستقبل هو كل الزمان بالنسبة لي . فهذه الامكانيات التي املكها سوف تصبح محققة فى المستقبل فقط . اما الماضي فقد ذهب بكل تعاساته . لو انني كنت اعرف قبل شهور قليلة ما ينتظرني على باب الغد القريب لما جزعت من الحالة التي وصلت اليها ، وما فكرت بالانتحار . فما كان هذا الحاضر السعيد فى تلك الشهور التعيسة الماضية الا مستقبلا كنت ساضيعه من يدى واقضى عليه لو نفذت فكرة الانتحار .

وخططت لي برنامجا يوميا .

كنت استيقظ مع آذان الفجر او قبله . فاعد قهوتي واخذ مقعدى امام دفتر التمارين وامضي فى العمل . كان هذا العمل الدراسي كل صباح شيئا اتطلع اليه قبل النوم ، وافيق عند الفجر وقد القى التفكير بعملي الدراسى وهجه على ساعات الصباح كلها . فكانت تلك الساعات تزهر بالحيوية والنشاط النفسى ، ولم يكن ينغصها الا استيقاظ افراد الأسرة الواحد بعد الآخر ـ وكانت اسرة كبيرة العدد تزيد على عشرين انســـانا عدا النساء المســـاعدات فى البيت ـ ومع يقظة كل هؤلاء تبدا الحركة والاصوات المختلطة بصراخ الاطفال وضجيج « بوابير » الـــكاز العديـدة والتى كانت تؤدى وظيفتهـــــا فى وقت واحد .

كانت الساعات المكرسة للدراسة فى الصباح الباكر هى التى تجعل يومي كله حافلا بالنشاط والمتعة . واصبح الشعر شغلي الشاغل فى يقظتى ونومي ، فى وجدانى وضميرى ، أصبح حبى الذى ظل طيلة حياتى حبا صوفيا ، ليس بالمعنى الدينى ، بل بما فى هذا الحب من شدة ، وبما يبعثه فى اعماقى من نشوة باهرة .

كان الانكباب على الدراسة هو عالم الخلاص ، لا اذكر من الذى قال اننا لو نظرنا الى مخلوق سعيد لوجدناه اما يبنى منزلا او يضع لحنا او يربي طفلا او يزرع ارضا . ذلك ان تلمسنا للسعادة لا يكون الا خارج نفوسنا .

وفى استغراقى فى عالمى الجديد عرفت مذاق السعادة . كنت مستغرقة فى عملية خلق نفسي ، وبنائها من جديد ، والبحث الطموح عن امكانياتي وقدراتى مما شكل ثروة وجودى .

ان عادة عطاء احسن ما لدينا ، ووعينا بان ايام حياتنا لا تهدر عبثا ، يعطينا شعورا بتلك النفس ، وبالسلام ، والهدوء .

وبالرغم من اننى كنت لا ازال تحت الحكم بالاقامة الجبرية ، فان الدراسة وحفظ آلاف الابيات من الشعر العربي القديم قد غسلت نفسى من العذاب واجترار مشاعر الشفقة على الذات والاحساس بالظلم .

اصبح الشعراء الجاهليون والامويون والعباسيون يعيشون معي ، ياكلون ويشربون ويقومون باعمـــال المنزل ويستحمون ويتحدثون الى واتحدث اليهم .

ولم احبهم كلهم فى وقت واحد ، بل كنت استغرق فى حب شاعر واحد كل مرة ، حتى اذا استنفدت ما عنده شعرت بالاكتفاء والحاجة الى شاعر اخر واكتشاف عالم اخر ، وهكذا .

كان اخر حب لي مع الشعر القديم هو ابو فراس الحمدانى . وقد ظللت احمل حنينه فى الأسر والامه لفترة طويلة ربما كانت أطول فترات الحب السابقة ، كما رحت انسج قصائدي فى تلك الفترة على منوال شعره .

كان علي القيام بمساعدة امي فى اعمال المنزل . « فالسمرة » و « خديجـــــة » الفتاتان المساعدتان فى البيت كلتا قد تزوجتا . وبالرغم من وجود امراة مساعدة دائما فقد كان المنزل كبيرا جدا ، والعائلة كثيرة العدد ، والضيوف من القرى يفدون

يومياً علينا ، ومنهم من كانوا يقضون فى ضيافتنا اياماً . اذ كان لعمي وابي اصدقاء ومعارف من اهالي القرى يتعاملون معهم منذ نظام « الاعشار » فى العهد التركي ، يوم كان للدولة العثمانية اراض واسعة فى فلسطين وهى المعروفة باسم « الجفتلك » اى ارض السلطان . فكانت الدولة تعطيها الاهالى لزراعة الحبوب مقابل دفع عينى بضمان عشرة بالمائة . وكانت الدولة تعلن عن ذلك مسبقا فيتقدم التجار للضمان ومن يقدم سعراً افضل يحال العشر عليه . وكان ملتزم العشر ينزل فى موسم الحصاد الى البيادر ويعين اياما للكيال ، وبحضور لجنة استلام ومخمنين كانت تفرز حصة الدولة على حدة حيث تستلمها إما عينا أو نقداً ، حسب الاتفاق . وقد ارسى الانتداب البريطانى هذا النظام .

كانت المشاغل المنزلية كثيرة يقع معظمها على كاهل امي ، فاختي الكبرى كانت قد تزوجت والتحقت باسرة عمي فى نفس الدار ، وفتايا واديبة كانتا قد التحقتا بمعهد لتعلم فن الخياطة ـ وقد رفضت الالتحاق به حين رغب ابي فى ذلك ، حتى لا اضيع فرصتى الذهبية مع الشعر . فقد كان الشعر أهم عندى حتى من الافلات من السجن الذى كنت لا ازال ضمن جغرافيته التى كان قد حددها لي اخي يوسف .

كنت اقوم باعمال المنزل وبجيبيي دائما قصيدة للحفظ . اكوي قمصان اخوتي وبنطلوناتهم وانا احفظ الشعر ، ارتب الأسرة وانا احفظ الشعر . اغسل زجاجات مصابيح النفط وأملأ المصابيح بسائل الاشتعال وانا احفظ الشعر . لم تكن الاضاءة بالطاقة الكهربائية متوفرة فى نابلس فى تلك الأيام ، بعكس المدن الأخرى فى فلسطين . فقد كان المجلس البلدى بنابلس قد قاطع « مشروع روتنبرغ » اليهودى حين خصت حكومة الانتداب البريطانى شركة « روتنبرغ » بمنح امتياز تُوليد الطاقة وكان ذلك فى العشرينات . وقد بقي سكان نابلس يستضيئون بمصابيح النفط حتى بداية الاربعينات ، وذلك قبل ان قام شخصان او ثلاثة اشخاص من الاهالى بامتلاك اجهزة لتوليد الطاقة وايصال التيار الكهربائي لبعض اجزاء من المدينة ولبيوت الراغبين في الاشتراك . ولم تتم الاضاءة الكهربائية بصورة منتظمة وشاملة الا بعد تولى المجلس البلدى تاسيس المشروع الكهربائى الكبير وانارة المدينة بكاملها فى منتصف عام ١٩٥٧ .

• • •

ارسل استاذ الادب العربى فى الجامعة الامريكية ببيروت ، انيس المقدسي يقترح على ابراهيم التعليم فى الجامعة الامريكية وكان ابراهيم يحب بيروت وكان سعيداً بالعودة إليها .

• • •

خلال العامين الدراسيين اللذين قضاهما فى الجامعة ببيروت عشت على رسائله التى لم يقطعها عني ، والتى كان يوجهني من خلال سطورها ، ويشجعني على نظم الشعر ، وكتابة النثر ، والدراسة

كان قد اختار لي مجموعة من الكتب للمطالعة والتثقيف الذاتي ، ولقد نظمت أوقاتى ضمن برنامج وضعته لنفسي . كرست ساعات الفجر لدراسة قواعد النحو والصرف . وقد اتممت جميع اجزاء « النحو الواضح » تاليف على الجارم ومصطفى امين . اتممتها كلها جزءاً فجزءاً ، من المرحلة الابتدائية حتى اخر المرحلة الثانوية بما فى ذلك « البلاغة الواضحة » لنفس المؤلفين .

واذا كنت قد خصصت ساعات قبل الظهر لحفظ الشعر مع القيام باعمال المنزل فى آن واحد ، فقد كرست ساعات بعد الظهر للمطالعة المركزة .

وكنت شديدة الاعجاب والحب لأدب احمد حسن الزيات وقد تاثرت باسلوبه لفترة زمنية غير قصيرة . وكانت ترجمته « لآلام فرتر » قد اوقعتنى فى شباك اسلوبه

وحفظت عن ظهر قلب كل « نشيد اوسيان » فى تلك القصة الرومانسية المؤثرة . لقد كانت لدي قدرة على حفظ الشعر والنثر . واذكر انني حفظت عدة مقطوعات ادبية مسجوعة لاحمد شوقى من كتابه « اسواق الذهب » كما كنت احفظ خطب اسعاف النشاشيبي والكثير من « نقل الأديب » الذى اختاره من تراثنا الادبى ونشره بالتتابع فى مجلة « الرسالة » الاسبوعية ، تلك المجلة التى اصبحت مع مجـــلة « الثقافة » زاداً روحياً لا غنى لي عنه كل اسبوع .

فاذا شعرت بالحاجة الى الترويح عن نفسي انتهزت فرصة غياب أرباب العائلة وعكفت على العزف على العُود والغناء . وقد تعلمت العزف من احدى قريبات امى ، وذلك حين كنت اقوم بزيارة خالتى ام عبد الله عسقلان . كان الغناء ووجود آلة عزف فى البيت من الممنوعات ، غير ان وجود الفونغراف كان مباحاً . وكثيراً ما كان ابى يمضى اوقات راحته فى الاستماع الى اغانى فتحية احمد وام كلثوم والشيخ سلامة حجازى ، وكانوا من المطربين المفضلين لديه . وكنت أتساءل : ما دام يحب الطرب فلماذا يحرمنا من العزف والغناء ؟

وكنت احتضن العود وقد اتخذت لي مكانا فى الغرفة امام الشباك بمواجهة باب الدار ، حتى لا افاجأ بدخول ابي او احد ابناء عمي ، واشرع فى العزف والغناء بصوت خفيض ، حتى اذا ما برز احدهم بالطربوش الاحمر نهضت مسرعة وخبات العود فى خزانة ملابسنا الكبيرة .

اما ابراهيم فقد كان يطرب لغنائى وعزفى ، وكان يكافئنى احيانا ببعض النقود أو بهدية تفرحني كثيرا . لقد ظل إبراهيم معنيا باعادة بنائي النفسي ، وابتعاث ما لدى من ميل طبيعي الى ابراز امكانياتي وقدراتى الكامنة . لقد ظل طيلة حياته يتغلغل بنظره الثاقب فى تلك المساحات الواسعة الممتدة فى قلبى ، ويلمس عذابي وشقوتي بفراغ تلك المساحات ، ويحس بطموحي الذى كان يغطيها . كان هو وحده الذى يراني ويحس بكينونتى ووجودى .

• • •

بقيـــة المذكـرات
العـــدد القـــادم

في العــــدد القـــادم :

● الحلقـة الثـانيـة من نـدوة الفكر الخليـــجي

وتقـــرأ لهـــؤلاء :

● عبد الـرزاق البصـــير ● عبد القـــادر عقيـــل
● د. عبد الوهاب المسـيري ● عـــلي حمـــد إبراهـيم

رسالة باريس من : مجدي نصيف

العالم يحتفل بالذكرى المئوية للفنان الذي أحدث أكبر ضجة في عصره وكان مجموعة من العباقرة في شخص واحد :

إدوارد مانيه

أبو الفن الحديث

العالم يحتفل بمرور مائة سنة على ذكراه

منذ مائة عام بالضبط ، مات الفنان العظيم إدوارد مانيه . الذى يطلق عليه اسم « ابو الفن الحديث » . لذلك اقيم له بباريس معرض لمعظم اعماله استمر حتى اول اغسطس « بالجراند باليه » . ثم انتقل بعدها إلى متحف المتروبوليتان بنيويورك .

وادوارد مانيه شخصية فنية تاريخية عملاقة ، انه ليس فنانا عاديا ، فلقد رسم اكثر اللوحات الفة فى العالم ، تعلق فى اماكن كثيرة بالعالم مستنسخات لها . انه هو الذى رسم لوحة « النزهة » او « الغذاء على العشب » ، و « اوليمبيا » .. وغيرها من اللوحات الهامة .. لكن المرء يدهش عندما يعرف ان هذا الفنان رغم غزارة انتاجه التى كانت تحتاج الى عمر طويل جدا ، قد مات فى عمر صغير نسبيا ، وذلك بعد ان احتفل بعيد ميلاده الواحد والخمسين .



الفنان ادوارد مانيه

صحيح ان بعض مشاهير الفنانين مثل فنسينت فان جوخ ، وسورا ، وتولوز لوتريك ماتوا فى سن اصغر من مانيه ، لكنهم بدوا وكانهم قد ادوا رسالتهم ، على عكس مانيه .

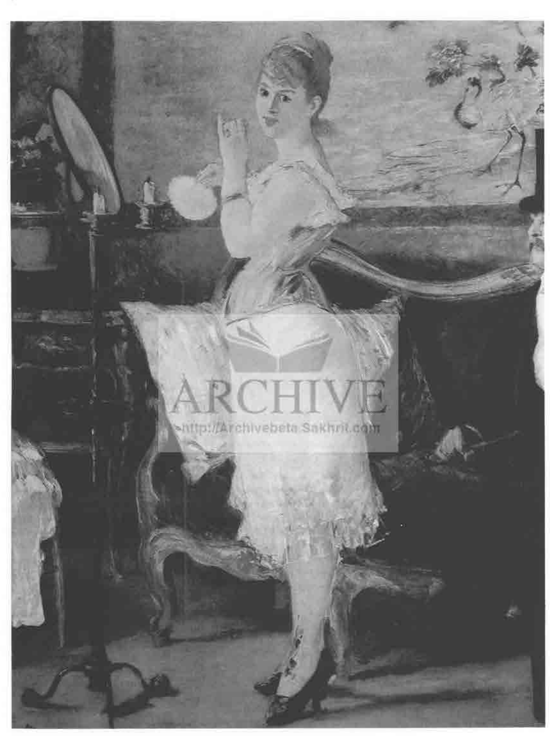
قال مرة عن نفسه :

ـ « كان طموحى دائما ان اتفوق على نفسى ، وليس ان اكرر ما فعلته بالأمس ، بان اوعز إلى نفسى بان ابدا اعمالا جديدة .

ولقد نجح فى تحقيق هذا بالفعل ، فهناك اعمال رائعة انجزها فى كل مرحلة من مراحل حياته . ان كل مرحلة فنية من مراحل حياته مختلفة عن التى قبلها ، من حيث الأسلوب والموضوع ، حتى ان اعماله فى مجموعها يمكن ان تؤخذ على انها اعمال لمجموعة من عباقرة الفنانين وليس لفنان واحد بمفرده .

ومانيه سليل عائلة فرنسية بورجوازية ، مميزة ومثقفة ومحافظة ، فجاءت تربيته ميسورة وصارمة . فوالده اوجست مانيه كان موظفا كبيرا بوزارة العدل ، ووالدته اوجينى ديزيريه فورمييه ابنة دبلوماسى عريق له شهرته الواسعة وعندما شب عن الطريق ارسل إلى مدرسة لتخريج براعم الموظفين العموميين ، كان والده يامل ان يصبح رجل قانون مثله .

لكن مانيه اظهر بالفعل اهتماما كبيرا بالفن ، ورفض دراسة القانون ولكن تحقيقا لرغبة



« نانا » احدى بطلات رواية لاميل زولا كما تصورها الفنان



قبل الاستعداد للصعود للمسرح .. الفنانة « لولا ميليا » بملابسها الزاهية التي كانت تؤدي بها فنونها للجمهور في القرن التاسع عشر

لأبويه تقدم لامتحاني قبول الكلية البحرية ، فرسب في كليهما . ومنذ ذلك الحين ، شجعه أبواه تشجيعا قلبيا في محاولته ليصبح رساما . ولقد ظهر تبجيل مانيه لأبويه دائما ، وعلى سبيل المثال انه عندما كان في العشرين من عمره احب فتاة هولندية كانت تحت رعاية والديه ، وكانت تعمل مدرسة بيانو ، ثم تزوجا رسميا بعد عشرسنوات عندما توفي والده . هذا الاحترام للعرف والتقاليد السائدة كان ينعكس على كل مواقفه ، ولم يكن باقل ظهورا في الفن .

بدأ بان دخل كتلميذ مرسم رسام اكاديمي رائج هو توماس كوتور ، وظل يعمل مساعدا له ست سنوات . وصف انطونين بروست صديقة ، اهدافه في تلك المرحلة المبكرة بقوله :

ـ « كان يبحث دائما عن مسار مباشر من الظلال إلى الأضواء فكانت الظلال اللامعة تملاه بالحماس ».

اما مانيه فكان يقول عن نفسه :

ـ « هناك شيء واحد حقيقي وصادق ، ان تنقل ما تراه ، ويرعبني في نفس الوقت كل ما ليس له فائدة » (١) .

بعد ذلك انتقل إلى مرحلة اخرى ، اتاح له والده ان يدرس لوحات كبار الرسامين عن قرب من خلال سفريات طويلة إلى هولندا والمانيا وايطاليا ، واثناء وجوده في باريس كان يزور متحف اللوفر يوميا . كانت نصيحة كوتور التي اتبعها دائما :

ـ « احترس من الرغبة في ان تبدو اكثر من حقيقتك ، واحترس فوق كل شيء ان تضع مشاعر الآخرين فوق مشاعرك ، فهنا يكمن الخراب والظلام ، حاول بجراة ان تكون نفسك .. فهنا يكمن الضياء » .

وفي عام ١٨٥٩ عندما رسم لوحته « شارب الابسنت » ، ذهب الى استاذه كوتور الذي استمع إلى نصيحته حرفيا ، ليريها له . فتهكم عليه قائلا :

ـ « إن كان هنك من شرب الابسنت فهو انت » !!

كان هناك معرض سنوي مفتوح يعقد بصالون ابو لون باللوفر ، تختار فيه اعمال فنانين لتعرض ، وكان هذا المعرض حدثا فنيا كبير اكل عام في فرنسا . قدم لوحته تلك فرفضها الصالون . وان كان قد قبل بعد ذلك عام ١٨٦١ لوحته « صورة والديه (باريس ـ روار كول) .

كان هذا الصالون هو « الراي الرسمي » في الفن ، لذلك رفضت اعمال كثيرين من الفنانين الذين اشتهروا بعد ذلك ، كانت اللوحات ترفض بعد ان يبدي كبار الاكاديميين رايهم فيها . وعندما ثارت ضجة كبرى عام ١٨٦٣ لهذا السبب امر الامبراطور نفسه ان تعرض اللوحات المرفوضة كلها في معرض منافس اطلق عليه لهذا السبب اسم « صالون المرفوضين » ـ في صالة ملاصقة لصالة الصالون . وكانت لوحة مانيه « النزهة » او « غذاء على العشب » هي اكثر ما اثار ضجة في ذلك المعرض . لكن مما يدعو إلى السخرية ان تلك اللوحة ـ وكل الصالة ـ اثارت عداء المؤسسة الفنية ، مما جعل سلطة الاكاديميين تزداد ، ان بعض الذين اصبحوا من اعظم فناني فرنسا في تلك الفترة وهم ديجا ومونيه ورينوار ، اختاروا في وقت لاحق ان يقاطعوا هذا « الصالون » الرسمي ، ليقيموا عروضهم الخاصة لهم . لكن مانيه رفض ان ينضم إليهم ، احتراما للعرف والتقاليد ، وهي الصفة اللاصقة به . لقد طغت الارتباطات الفنية للصالون والاستمرارية التي يمثلها ، لديه ، على اي نواقص اخرى . (٢)

كان صديقا للشاعر بودلير ، وعندما اعلن بودلير ان الرؤية الفنية يجب ان تكون عصرية وانه لابد من اللجوء إلى الواقع ، وجد صدى مباشرا لدى مانيه . لذلك كتب عنه يقول :

ـ « ان مانيه رسام حقيقي ، انه يقول لنا اننا عظماء في ربطات عنقنا وفي احذيتنا اللامعة » .

وفي عام ١٨٦٠ رسم لوحته « حفلة موسيقية في حدائق تويليرييه (لندن ـ الجاليري القومي) متمشية تماما مع ما قاله بودلير . ثم رسم بعد ذلك اشهر لوحاته على الاطلاق « نزهة على العشب » عام ١٨٦٢ ، ثم رسم « اوليمبيا » . وقد رفض الصالون عرضهما مرة اخرى !

ولكن رغم النظرة « الرسمية » لاعمال مانيه ، كان قد بدا يشق طريقه بل بدا في كسر حدة هذه النظرة الرسمية للفن التي يفرضها « الصالون » . كان يقدم فنا عصريا حديثا بكل ما تحويه هاتان الكلمتان من

لوحة تمثل الحياة العصرية فى عام ١٨٦٤ حيث تصدح الموسيقى وعلى نغماتها يتسامرون فى الحديقة ذات الاشجار الباسقة



فى الحديقة .. احدى اللوحات الشهيرة لمانيه . وقد ظل يعمل فيها لمدة ستة شهور



استهوى وجه هذه السيدة الفنان فرسم لها عدة لوحات ، وكانت « مارجريت » وهذا اسمها من ضمن اقارب مانيه ، ولطالما دعتها زوجة الفنان الى الحفلات الموسيقية التى كانت تقيمها

معنى . (٣)

قبول .. ورفض

ومنذ بدا يرسم ولوحاته تقابل بقدر متساو من القبول والرفض ، وحتى عندما اعلن عن حصوله على جائزة عام ١٨٨١ ، قوبل هذا الاعلان بصيحات احتجاج من بعض الحاضرين . واتخذ نقد لوحات مانيه صوراً عديدة ، فالبعض وصفها بانها مقززة ، والبعض اشتكى من انها ناقصة ، والبعض وصمها ببساطة بانها « مقلب » ! كانت كل لوحة جديدة من لوحاته تثير عاصفة من الجدل والاعتراضات ، لكن بالنسبة لمعظم الناس كان رد الفعل هو الصدمة ، ولم يكن ذلك مدهشا . فبين المساحات الضخمة من لوحات الرسم المعروضة فى « الصالون » والتى كان يغطيها الجنس والعنف متسترا برداء الصراعات البطولية التي تعودناها ووسط الاكاذيب المتهالكة عن السعادة القيمة لحياة الاكواخ الفقيرة ، ووسط كل ذلك اللون البنى والتفصيل المضجر والافكار المستعارة ، فان رؤية مانيه الساطعة المتفردة للحياة كماتعاش فعلا ، كادت لا ترى من جلاء سطوعها . (٤)

ان باقة من زهور البنفسج او قطعة من اللحم او رجلا يشرب من كوبه ، ان كل تلك الاشياء عنده موضوعات جديرة بان ترسم . ومع كل منها كانت استجابته كاملة اثناء ترجمة ما يراه إلى رسم . كان يقول : « هناك شيء واحد حقيقى ، ان ترسم تلقائيا ما تراه » . واذا كانت رؤيته قد تعمقت ، وتقنيته قد ترعرعت بزيادة خبرته ، فان تلقائيته لم تهتز ابداً . كان تجديد مانيه من الناحية التقنية يتمثل فى إلغاء الالوان « النصفية » ولجا بدلا من ذلك إلى الاستعمال الجرىء للالوان النقية ، بدلا من مزج الالوان والتظليل وكل تلك « الصلصة » البنية التى كان الاكاديميون يريقونها على اللوحات . (٥)

وبدلا من المزايدة على التصوير الفوتوغرافى كما فعل الرسامون المهددون بلجوئهم إلى رسم تفاصيل ادق وادق ، فانه تعاون مع التصوير الفوتوغرافى . لقد تفهم ان التصوير الفوتوغرافى قد اراح الفنانين من الاهتمام الزائد عن الحاجة بالتفاصيل وتصغيراتها البيضاء والسوداء . ولعل التسجيل غير المتحيز للتصوير الفوتوغرافى قد دفعه إلى اتباع نفس الاسلوب . (٦)

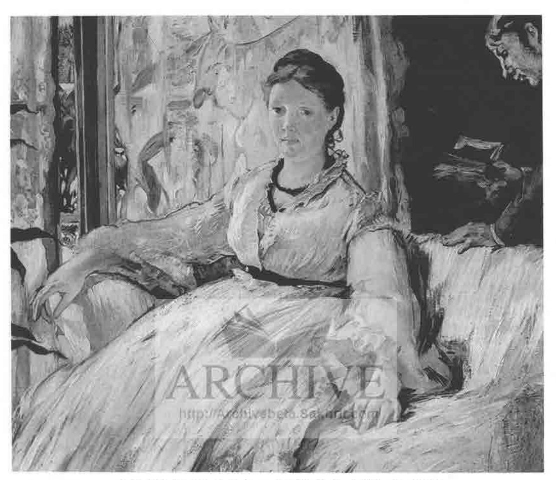
من اجل هذا كله راى فيه الفنانون الشباب علامات الحياة الجديدة التى كانوا ينتظرونها ، لقد جعلوا منه رائد « الثورة التاثيرية » التى كان يشق طريقها بنجاح . (٧)

فبعد « اوليمبيا » اخذ يرسم لوحات فى نواح مختلفة :

- لولا دى فولينس ــ عام ١٨٦٢ ــ (متحف اللوفر) .
- الراقصات الاسبانيات ــ عام ١٨٦٣ ــ (متحف واشنطن) .
- مصارع الثيران الميت ــ عام ١٨٦٣ ــ (متحف المتروبوليتان) .
- مناظر بحرية : معركة السفينة كيرسارج والسفينة الباما ــ عام ١٨٦٤ ــ (فيلادلفيا ــ متحف الفن) .
- مناظر خارجية لونجشامب ــ عام ١٨٦٤ ــ (شيكاغو ــ متحف الفن) .
- رسوم تاريخية معاصرة : اعدام الامبراطور مكسيمليان ــ عام ١٨٦٧ ــ (متحف مانهايم) .
- فى عام ١٨٦٨ اتم لوحة « البلكونة » (متحف اللوفر) التى رسم فيها زوجة اخيه . وفى نفس هذا العام رفض « الصالون » مرة اخرى لوحته « عازف المزمار » (متحف اللوفر) .

استفز هذا القرار صديقه الكاتب الروائى إميل زولا ، فهب مؤيداً مانيه مهاجما « الصالون » فى سلسلة من المقالات المدوية دفاعا عنه فى صحيفة « ليفينيمات » لكن إدارة الجريدة اضطرت لسحب المقالات فلم تنشر .

لكن فى العام التالى ، وقبيل افتتاح « المعرض الدولى » ، كتب زولا دراسة مطولة عن صديقه ادوارد مانيه ، ملفتا



زوجة مانيه « نيا سوزان لينهوف » التى كانت المانية وتعطى دروسا فى الموسيقى وقد تزوجها فى هولندا عام ١٨٦٣

الانظار إلى موهبته ، محللا بالدراســة لوحاته وخصائصها ، وما تقدمه من نظرة جديدة فى عالم الفن .

ورغم ان مانيه كان يرى دائما فى صحبة الفنانين التاثيريين الا انه رفض ان يمنحهم تاييده المباشر . ومع هذا فقد بدا عام ١٨٧٢ يقترب من مونيه ورينوار . ولوحته « المذاق الطيب » التى قبلت فى « الصالون » عام ١٨٧٣ ، كانت اعتذاراً بالغا عن هذا . وفى لوحته « مونيه فى قاربه » التى رسمها فى العام التالى ١٨٧٤ (ميونيخ) ، اتبع خبرة وتقاليد التاثيريين بالرسم فى الخارج ، محققا نتائج عظيمة .

تجديد مانيه

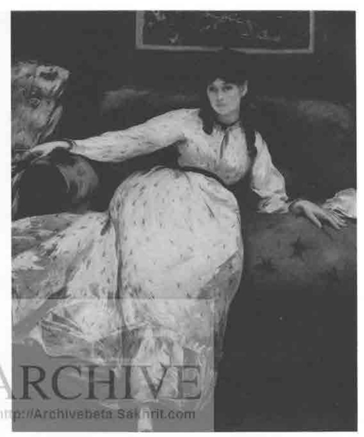
ان تجديد مانيه هو انه جعل المنظــر العادى المعاصر موضوعا لرسوماته . وكانت الاساليب المختلفة التى ابتكرها لتنفيذ ذلك هى تجديد بدورها . لكن تقدمه للناس برسومات مباشرة عنهم للمرة الأولى كان هو الذى سبب ردود الأفعال الفنيــة نحو اعماله .

لم يكن وحيداً فى ابتهاجه فيما عــرف بعد ذلك بانه طبيعي او « واقعي » فان لكل من كورو ودوميه وميليه وكوربيه الذين ماتوا جميعا بعد موته خلال عقد من الزمن ، مكانته ، لكن لم يكن احد منهم يمثل الاخلاص للحياة اليومية كما هى ، مثله . ولم يسجل احد مثله تلك الحياة فى الذاكرة بتلك الصورة التى لا مراء فيها . (٨)

ان كل صورة ملصقة على حائط فى العالم، تدين بشىء لصورتى موديله فيكتورين مورين فى لوحتيه « نزهة على العشب » و « اوليمبيا » . فالاحســاس العام بحب باريس فى الربيع ، وضمنا حب كل متع الحياة فى اى مكان ، يجد إعلانا عنه فى بهجته المعبر عنها فى لوحاته : فى الطعام والحياة والزهور وموضة الملابس والتسلى اللاهى .

نقلت لنا احدى الصحف اقباله هذا على الحياة قبل سنتين من وفاته فكتبت تقول :

« كان يرتدى قفازات صفراء ، وربطــة عنق منشاة ، وحذاء جلديا لامعا انيقا ، وبنطلونا فاتحا ، واضعا وردة فى عــروة الجاكيت ، ويمكنك ان تراه وهو يتمشى هكذا فى بوليفار ديزايتاليان ، يخطو بخطوات سريعة كرجل عنده ميعاد مع امراة جميلة كذلك يمكن للمرء ان يراه وهو مسترخ يدخن سيجارا من النوع الفاخر ، على شرفة كافيه ريش او كافيه تورتونى » .



استرخاء ... هكذا رسم الفنان مانيه السيدة « بيرث موريسو » في عام ١٨٧٣

يقول عنه الناقد جون ماكايوان انه «كان متناقضا في سلوكه ومواقفه ، كما كان في رسوماته ولوحاته . ربما كان انسانا متانقا ولكنه كان ايضا يعمل بنشاط شديد لا يرى في كل الحالات الا ومعه «نوتة الرسم» في جيبه . وربما ينظر اليه كزير نساء ، لكن اخلاصه كزوج وسلوكه القويم يبـــدوان لا مراء فيهما . وربما كان يقدس الزهور والنجاح ، لكن حتى اعداءه لا يمكنهم اتهامه بانه كان يجري وراء الزهو والنجاح .

وفي حدود احترامه للعرف الفني ، كان اكثر الرسامين اكاديمية ، على ان الأكاديمية لم تهن فنانا اكثر منه من قبل . لقد ولد غنيا ، لكن حياته كانت نضالا » .

هناك صورة قلمية اخرى لمانيه وشخصيته كتبها هذه المرة صديقه بيرث موريو في « صالون » عام ١٨٦٩ ، يقول : « وجدت مانيه وقبعته تغطي عينيه ، يبدو مرتبكا . توسل الي ان ادله على لوحته المعلقة ، لانه لا يجرؤ على ذلك . انني لم ار في حياتي مثل ذلك الوجه المعبر لقد ضحك بقلق وهو يصرح لي بان لوحته سيئة ، لكنه يقول في نفس الوقت انها ستلاقي نجاحا كبيرا » .

تقليدي .. ومجدد معاً

كانت تقليديته ـ اعماله الأولى بالذات تدين لجويا وفيلاسكيز ـ يقابلها منذ البداية رغبته العارمة في التجديد ـ فمنذ البداية قبل تقليديته هذه تاثره بالفن الياباني الذي ابرزه الاهتمام باليابان ، ذلك الاهتمام الذي تبع فتح الغرب للتجارة بالقوة مع اليابان عام ١٨٥٤ ، بعد مائتي عام من « عزلتها » عن الغرب . وقد برز ذلك في لوحة السيدة على اريكتها تتباهى بمجموعة رائعة من المراوح اليابانية . وفي لوحته الرائعة « بيرت موريو » تمتزج الاشكال الواضحة لحروف الآيدو اليابانيـــة بحب جويا للون الاسود .

ان عصرية مانيه واهتمامه بزمنه المعاصر وتحلله من الارتباط العاطفي من الماضي ، ومعاصرته ، جعله منفتحا ايضا لتاثير الفنانين الاصغر سنا المعاصرين له . كان اسلوبه المباشر هو التاثر ببعض احسن اعمالهم . على ان مانيه لم يكن ابدا تاثيريا بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فقد كان التاثيريون يرسمون لوحاتهم في تتابع ، ويجرون اختباراتهم للضوء مثل العلماء .

كان مانيه رساما يعتمد على الحدس ويكره التكرار ، ظل هذا اسلوبه حتى نهاية حياته ، حيث لجا الى رسم لوحات صغيرة للزهور عندما لم تعد لديه القدرة الصحية على رسم لوحات اكبر تعالج موضوعات اكبر . كانت الزهور تبدو كما لو كانت زهور الربيع . فقد مات مانيه بالفعل فى الربيع ، وكان الفن الذى تركه خلفـه فى لوحـاته يمثل الربيع النقي للحركة الفنية .

ان تقليدية مانيه هي ارث طبيعي من خلال عائلته . لكننا لا يجب ان ننسى كذلك انه كان مثقفا حساسا يمتلك معرفة حقيقية بالادب والموسيقى ، فلا عجب اذن ان يكون صديقا حميما لاكبر شاعرين من شعراء قرنه ، وهما بودلير ومالارميه ، وصديقا كذلك لاميل زولا الكاتب الروائي وغيرهم . انه سليل العائلات التي كانت تقدم للدولة موظفيها ومثقفيها ، فوالده احد رجال القانون البارزين ووالدته موسيقية هاوية . لقد ورث عن والده « الارتباط القانوني » والشجاعة الاخلاقية والقدرة على مواجهة المحن وهذا ما جعله يتدرب على الرسم لثماني سنوات متوالية دون كلل ودون ياس ومــا جعله بعـد ذلك يواجه تشــدد الاكاديميين وعنجهيتهم في « الصالون » .

هذا عن تقليديته .

لكن هناك الجانب الاخر والتناقض فى شخصيته هو تمرده وثورته ، وهو جانب لا تتحدث عنه الكتب إلا نادرا . قاموس لاروس لم يكتب عنه ودائرة المعارف البريطانية رغم عدد الصفحات التى افردتها له لم تذكر هذا الجانب ايضا . لكن كتاب جون ريتشارد سون الناقد الفنى البارز والمؤرخ المتخصص فى تاريخ الفن ذكره وبالتفصيل فى مقالته التى كتبت فى مقدمة كتاب عنه يقول :

« إن حقيقة ان الفنان عدو للامبراطورية الثانية ، وصديق لرجال من امثال جامبيتا وجول فيرى وزولا ، عادة ما يمر عليها النقاد والمؤرخون فى صمت . ولاشك ان معاملة



لوحة تمثل القارب الذى كان يتخذه الفنان « كلود مونيه » مرسما له فى رحلاته البحرية .. وقد تزامل مانيه ومونيه فترة طويلة وعملا معا فى الحياة الفنية

مستشارى الامبراطور الفنيين له قد قوت من هذه الاتجاهات ، ومن الناحية الاخرى يجب الا ننسى ، انه عندما كان فى السادسة عشرة من عمره هاجم انتخاب نابليون وتاثر إلى حد كبير كشاب باحداث ١٨٤٨و١٨٥١ ، التى تاثر بها ورسمها بعد ذلك . لانه كان لا يحب ان يتعرض مشاعره الخاصة ، فلم تعكس اعماله قناعاته السياسية إلا نادراً . لكن هناك بعض لوحات لا يمكن ان ننظر إليها إلا إذا وضعنا هذا فى اعتبارنا ، وعلى راسها : « إعدام الامبراطور ماكسيميليان » (٩) .

« ان مانيه لم يخف وجهات نظره السياسية ابداً ، لذا فليس هناك ما يدهشنا انه انتخب فى « رابطة فنانى باريس » خلال كوميونة باريس ، مثله مثل زملائه كورو وكوربيه ودوميه . صحيح ان هذا قد حدث ومانيه غائب عن باريس ، ولما عاد فى أيام « الكوميونية » الاخيرة ابتعد بسبب عدم اتفاقه مع العناصر المتطرفة فيها ، لكن بعض رسوماته تحمل هلعه من الاعمال التى ارتكبها الجيش المتقدم لسحقها . وبعد « الكوميونة » كان يامل فى ان يعبر عن اماله وافكاره الليبرالية فى « بورتريهات » لفيكتور هيجو وصديقه وبطله جامبيتا وهو يتحدث فى « مجلس النواب » . واشتكى مانيه لبروست من أن جامبيتا لا يعطيه الوقت الكافى ليرسمه وان هذا يعكس وجهة نظر متخلفة للفن حتى من قبل الجمهوريين » (١٠) .

● ● ●

ومات الفنان العظيم ادوارد مانيه فى ابريل ١٨٨٣ مخلفا وراءه ثروة فنية هائلة .

وفى يناير ١٨٨٤ افتتح معرض كبير فى احدى صالات « معهد الفنون الجميلة » ضم لوحاته . وكتب اميل زولا مقدمة الكتالوج الذى وزع على الزائرين . وبعد هذا المعرض التاريخى بدا مانيه يحتل مكانته الفنية الحقيقية ، واخذ ثمن لوحاته يرتفع (١١) .

مجدى نصيف

المراجع

(١) قاموس لاروس للفنانين

(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) قاموس لاروس للفنانين .
(٤) جون ملكايوان
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) نفس المصدر السابق .
(٧) قاموس لاروس للفنانين ـ مصدر سابق .
(٨) جون ملكايوان ـ مصدر سابق .
(٩) مانيه ـ جون ريتشارد سون .
(١٠) نفس المصدر السابق .
(١١) الموسوعة البريطانية ـ الجزء ١١ .

عرض وتقديم : حسني شحادة



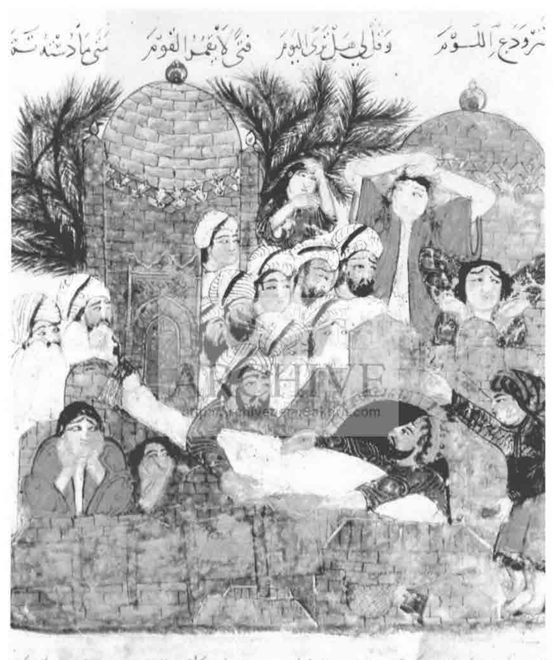


غلاف الكتاب

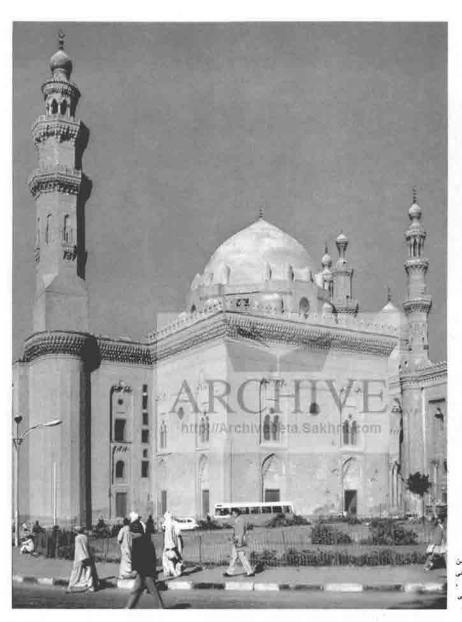
تمتاز الثقافة العربية بالحيوية ، لانها ترفض الجمود والانحسار متفتحة على الآفاق الواسعة ، لا تنكمش ولا تخشى الانغمار ، لأن الذين ورثوا هذه الثقافة ، كانوا جوالين منذ البداية ، الصحراء كانت لهم منطلقا واسعا ، ولكنها لم تقف رغم قساوتها ، وضعف وسائل اجتيازها ، فى وجوههم ، فتعرفوا على جيرانهم ، واجتازوا البحر شرقا وغربا ، وجاء الإسلام بانواره المشرقة ، فدفع بهم الى آفاق ارحب فى الزمان ، والمكان ، فاختلطوا بالروم والفرس ، والآسيويين ، والافريقيين ، ودرسوا ثقافات هؤلاء واولئك ، وحضاراتهم وفلسفاتهم ، ومنطقهم ، وعلمهم ، فهضموا كل ذلك ، واضافوا اليه من إبداعهم وعبقريتهم ، وابتكروا فى كثير من الميادين العلمية والفلسفية ، وظلوا مع ذلك لهم خصوصيلتهم ، التى تميزهم عن الاخرين ، ولا تفصلهم عن العالم الذى قادوه ردحاً من الزمان ، لأن للفكر العربى ، خصوصيات الفكر الاصيل ، يستفيد ويدرس ، ويتفاعل ويأخذ ويعطى ولكنه يبقى الفكر الخاص ، وريث الثقافة المميزة ، التى لا تمحوها مميزات فكر الاخرين .



لوحة فى صفحة من كتاب « الآثار الباقية » للبيرونى ، تصف محاولة هدم بيت المقدس على يد « بختنصر » قبل الاسلام .



صفحة من مقامات الحريرى التى تكشف الكثير عن الحياة العربية فى القرن الرابع للهجرة



جامع السلطان حسن .. من اروع اثار الفن المعمارى فى القاهرة واكثرها شهرة ، وقد بنى بين عامى (٧٥٧ ـ ٧٦٥ هـ)

كتاب عبقرية الحضارة العربية ، الفه نخبة من العلماء النابهين ، ذوى الاختصاص ، ليشمل جميع نواحى الفكر والآداب والعلوم والفنون ، ويعالج بتفصيل دقيق ، أثر العرب فى كل هذه المجالات الحضارية ، التى تدل بصدق على تقدم العرب ونبوغهم وفضلهم على التراث الانسانى ليكون بحق «ينبوع النهضة» .

ويعود الفضل فى إخراج هذا السفر الثمين ، مترجما الى اللغة العربية ، الى دولة الامارات العربية المتحدة ، التى اولى المسئولون فيها هذه الترجمة كل رعاية واهتمام ، لتخرج بالصورة الفاخرة ، وليتعرف ابناء الأمة العربية ، انهم ورثة تراث فكرى وانسانى ، لايزال ينبوعا للنهضة الانسانية .

ليست الغاية من هذا الكتاب ان يكون احكاما براقة ، وكلمات مرصوفة ، وتمدحا بالماضى ، ولكن الغاية منه ، ان يدل على مكانة العرب ، بما يعرضه عن مآثرهم ونظرياتهم ، حتى يتبين للجيل العربى الحاضر والآتى ، المركز الحقيقى لاجدادهم فلعل رؤية الماضى العظيم ، ومدى التاخر فى الحاضر ، يكون حافزا للوثوب الى المستقبل بوثبة إبداعية ، فحياة الأمم رهينة بحياة تراثها الثقافى ، لان الأمة التى لا تراث لها .. لا تاريخ لها .. فهى ليست إلا

كتلا بشرية لا وزن لها فى ميزان الامم .

ارتقاء الأدب العربى

ما يميز اللغة العربية كوسيلة للتعبير الفنى ، انتظام بنائها انتظاما جعلها على مرونة تيسر التعبير السلس المتآلف الايقاع ، فكان احكام القوافى والاوزان ، وكان انتظام الكلمات والجمل ، من جوهر الاسلوب العربى ، والتقاليد الادبية العربية ، مما جعل الشاعر العربى ، هو الناطق الاول باسم قبيلته ، فلم يكن ينظم الشعر للشعر ، بل كان داعية قومه ، وراوية اخبارهم ، ومطرب حفلهم ، بل سما ، فكان المعلم الاخلاقى لهذه الجماعة ، يحمى حقوقها ، ويذود عن شرفها باشعار تخلد مآثرها . فهذا لبيد بن ربيعة العامرى يفاوض عن قومه فيقول :

فابلغ بنى بكـــر إذا ما لقيتهـــا
على خير ما يلقى بـه من تزغمـــا
فان تقبلــوا المعروف نصبر لحقكم
ولن يعــدم المعروف خفا ومنسما
وإلا .. فما بالموت ضر لأهــله
ولم يبق هذا الدهر فى العيش مندما

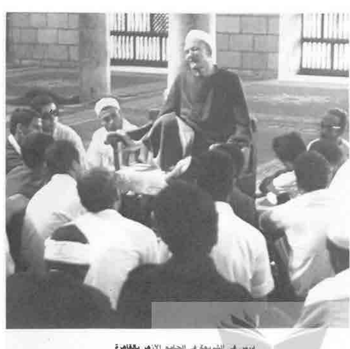
وهذا ما جعل الشاعر احيانا ، بطلا اسطوريا ، كعنترة العبسي ، وهو يقول :

هلا سالت الخيــل يا ابنــة مالك
إن كنت جاهلة بمــا لم تعــلمي
يخبرك من شــهد الوقيعة انني
اغشى الوغى ، واعف عنــد المغنم
ومدجج كره الكمــاة نــزاله
لا ممعن هــربا .. ولا مستسلم
جادت يداي لـه بعاجــل طعنة
بمثقف صـــدق الكعوب مقوم

وعندما جاء الاسلام ، ونزل القران بلسان عربى مبين ، رفع شان اللغة العربية ، ودعم تراثها الادبي ، وجعلها لغة خالدة ، تتميز بالاصالة الجمالية والابداع ، واصبح الادب العربى اوسع مدى ، واوفر حضارة ، نتيجة التوسع الاقليمى للدولة الاسلامية فتطورت الخطابة ، التى اســتهدت خصائصها البلاغية من القران الكريم ، وبرز شعراء مرموقون امثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم ممن اعتنقوا الاسلام ، وازروا النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه ، بمدائحهم المشهورة ، فيقول حسان بن ثابت :

الا ابلغ ابا سـفيان عني
فانت مجـوف نخب هــواء
... هجوت محمدا فاجبت عنــه
وعنــد الله من ذاك الجـزاء
اتهجوه ولســت لــه بكفء
فشركمــا لخيركمــا الفداء
هجوت مباركا برا حنيفــا
امين الله شــيمته الوفـاء
فمن يهجو رسـول الله منـكم
ويمدحـــه وينصره ســواء
فان ابي ووالـــده وعــرضي
لعرض محمـــد منكم وقــاء

وفى صدر الاسلام ، اخذ نهج الحياة العربية يتغير ، من البداوة والصحراء ، الى حضارة المدن المصقولة المترفة فانساق الادب فى هذا الاتجاه ، فكان الغزل ، حيث ازدهرت مدرستان ، المدرسة الحجازية التى تنحو الى النسيب الواقعي الحسي المصقول



درس فى الشريعة فى الجامع الازهر بالقاهرة

مازال قصاصو السير الشعبية فى المغرب يحافظون على هذا التراث الشعبى القديم



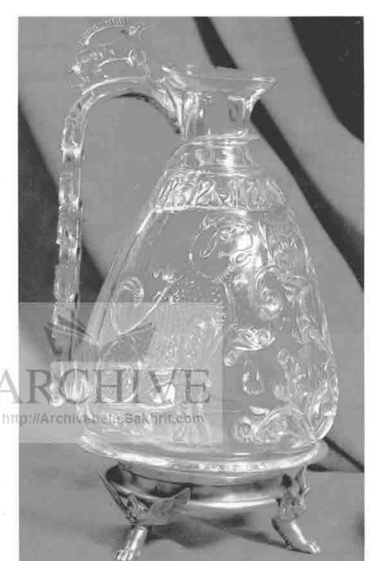
ومن بعد ماكنا نطاقا وفي المهـد
فزاد كما زدنا فاصـبح ناميـاً
وليس اذا متنـا بمنتقص العهد
ولكنه باق على كـل حــالة
وزائــرنا في ظلمـة القبر واللحد

بدا في العصر العباسي، عهد جديد فريد في تاريخ الحضارة الاسلامية، يضم العصرين الذهبي والفضي، فقد امتد الأول حتى اواخر القرن الرابع الهجري، اما الثاني فدام حتى جاء المغول عام ٦٥٦ هـ .

ففي خلال العصر الذهبي، بنى ابو جعفر المنصور مدينة بغداد، فنمت في ظل العباسيين حتى غدت أعظم مركز ثقافي وتجاري في القرون الوسطى، وقد بلغ العصر الذهبي ذروته في عهد هارون الرشيد، وابنه المأمون، حيث استكمل المجتمع العربي الاسلامي تطوره، بعالميته الجامعة، وموارده الاقتصادية الهائلة، وحياته الثقافية الرفيعة، فطرأ على الأدب العربي ما طرأ على سائر اشكال الثقافة، وقد ادى الكتاب والشعراء دورهم، فاسهموا في اشراقة عصرهم، فظهر النثر الفني، وظهر تعريب الآداب المختلفة، مثل عبد الله بن المقفع، الذي ترجم كتاب كليله ودمنه، فذاع صيته، ودخل اوروبا فيما بعد، فكان له صدى في كثير من المؤلفات القصصية كحكايات « لا فونتين » الفرنسي ثم جاء الجاحظ « ابو عثمان عمرو بن بحر »، فارتقى بالنثر الفني الى اوج الدقة فوضع نحو مائتي مؤلف، اشهرها كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، وكتاب البخلاء .. وغيرها، وتضم كتبــه في بحوثها التاريخ وعلوم الطبيعة والفلسفة حتى ليعتبر من أكثر الكتــاب تنويعاً واثارة، باسلوب جعل فيه النثر الفني، اداة للدقة، والرشاقة في التعبير .

ويعد كتاب الاغاني لأبي الفـرج الأصفهاني، نموذجا للنثر الفني الرفيع وهو في جوهره مجموع للاغاني والاشعار الرائجة في بغداد ايام الخليفة هارون الرشيد، ويحتوى إلى جانب ذلك، على معلومات قيمـة، عن حيــاة الشعراء الملحنين والمغنين العرب، وعن الاساطير والآداب والعادات، لدرجة يكاد يعد خلاصة الثقافة العربية كما عرفت في زمانه .

وظهر ادب المقامات، وهي حكايات قصصية قصيرة، موشحة بالمواعظ والملح، وقد ابتكر هذا الفن بديع الزمان الهمذاني، واحترفه ابو محمــود القاسم بن على الحريري البصري، وتكمن جاذبية المقامات في البراعة اللغوية المذهلة، التي تتجلى



ابريق من البللور، وقد كانت اواني البللور الصخري من ابرز الاشياء التي ولع العرب المسلمون باقتنائها

وعلى رأسها عمر بن ربيعه، ومن شعرائها الاحوص العرجي، فهذا عمر بن ابى ربيعة يعتمد الحوار في شعره لاضفاء الحيوية والحركة على ما يصفه من مواقف الغزل :

فقــالت وصدت : ما تزال متيمـا
صبوبا بنجد، ذا هوى متقســم
ولــما التقينـا بالثنية اومضت
مخافـة عين الكاشــح المتنمم
اشارت بطرف العين خشية اهلها
إشـــارة محزون .. ولم تتكلم
فايقنت ان الطـــرف قد قال : مرحباً
واهلا، وسهلا بالحبيب المتيم

اما المدرسة الثانية فهي مدرسة العذريين، التي تقوم على الحب المثالي، بما فيه من عفة وسمو وطهر، ويمثلها جميل ابن معمر « جميل بثينه »، فيقول :

تعلق روحي روحهــا قبل خلقنا

في هندسة الجمل ، مما جعل المقامة النموذج الرفيع ، للنثر الفني .

اما فى ميدان الشعر ، فقد ظهر فى زمن العباسيين اتجاهان رئيسيان ، هما مدرسة المجددين ، ومدرسة التقليديين . اما التجديد فقد انتج نسيب بشار ، وقصائد ابن الرومي التاملية والتحليلية ، وشعر ابى العتاهية فى الزهد والوعظ ، والخمريات الماجنة الساخرة التى جاء بها ابو نواس . فيقول :

دع عنك لومي فان اللوم إغــراء
وداوني بالتى كـــانت هى الـــداء
... وقل لمن يدعى فى العـلم معرفـة
حفظت شــيئا وغابت عنك اشياء

وعلى نقيض المجددين واسلوبهم فى التفكير والتعبير ، كان الشعراء المقلدون ، الذين حافظوا على تثبيت فخامة الشعر العربى القديم ، وعلى راس هؤلاء « ابو تمام » ، وهو شاعر مطبوع فطن ذكي دقيق المعاني . يقول فى بائيته المشهورة فى فتح عموريه ، يصور نخوة المعتصم ، عندما بلغه أن امراة هاشمية ، لطمها رومي على وجهها ، فصاحت .. « وامعتصماه » ! فيقول :

لبيت صــوتا زبرطيا هرقت لـه
كاس الكرى .. ورضاب الخرد العرب
اجبتــه معلنا بالســيف منصلتا
لو اجبت بغير الســيف لم تجب
تسعون الفا كاساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب
فبين ايامك اللائي نصرت بهـــا
وبين ايام بدر اقرب النســب
ابقيت بني الأصــفر المصفر كاسمهم
صفر الوجوه وجلت اوجه العــرب

اما قمة هذه الطبقة ، فهو ابو الطيب « احمد بن الحسين المتنبي » ، فهو فى راى معظم الناقدين ، اعظم شعراء العربية ، اذ مابرحت احلام المتنبى وآراؤه فى الحياة ، ورؤاه البطولية ، تتحدر عبر العصور ، فى ابيات تتداولها الالسن جيلا بعد جيل ، فيقول :

عش عزيزاً ، اومت وانت كــريم
بين طعن القنــا وخفق البنــود

ويقول :

على قدر اهل العزم تاتي العــزائم
وتاتي على قــدر الكرام المكـــارم

ومن كبار شعراء العصر العباسي ، ابو العلاء المعرى ، الذى بالرغم من فقد بصره بالجدري فقد تابع تحصيله الثقافى ، ورحل الى بغداد عام ٣٩٨ هـ ، فلم يعجبه المقام بها ، فعاد الى بلده المعرة ، ولزم منزله حتى مات منقطعا الى التاليف والنظم ، والجود بعلمه وحكمته وادبه ، فيقول :

وزهدني فى الناس معرفتى بهـم
وعلمي بان العـــالمين هبـــاء

ويغالى فى إيثار عزلته فيقول :

ثيــابي اكفاني ، وريسي منزلي
وعيشي حمـــامي ، والمنيــة لي بعث



جامع القيروان الكبير وهو من اقدم الجوامع فى غرب العالم الاسلامي ، وقد اعيد بناؤه عام (٧٦ هـ)



ميناء الإسكندرية فى مصر على شاطىء المتوسط ، مركز التجارة الاستيراد والتصدير خلال القرن السادس

الأدب فى الأندلس

امتد الحكم الاسلامى العربي فى الاندلس من ٩٢ هـ حتى ٨٩٨ هـ ، فانتشرت الثقافة العربية بخاصية فريدة ، حيث تلاقت الآداب العربية ، والآداب الغربية



الصفحة الاولى من نسخة بالعربية من « كتاب الدرياق » تزينه صور لتسعة من الأطباء الاغريق تكريما لهم .

فى الاندلس ، فكان للقائها اثر على الأساليب والمشاعر .

ففى مجال النثر الفنى ، ظهر كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، الذى اسرف فى الاقتباس من المؤلفات الموسوعية التى وضعها الجاحظ وابن قتيبة .

وظهرت اشكال التراث الشعبى ، كالسيرة والقصص التى تروى شفاها مآثر ومغامرات الابطال ، واشهرها « سيره بني هلال » ، التى تحكى قصة قبيلة عربية هاجرت الى شمالي افريقية ، و « سيرة الظاهر بيبرس » التى جمعت فى القرن العاشر الهجرى ، وتقوم على سيرة قائد وسلطان تاريخي حكم مصر والشـام . و « سيرة عنترة بن شداد » فى اقرب الى ملحمة قومية عربية .

وقد ظهر فى هذه الفترة ، اوسع الكتب العربية شهرة ، واوفرها حظا لدى قراء الغرب ، وهو كتاب « الف ليلة وليلة » ، ومن سخرية الاقدار ، والثقافة العربية على كل مالها من عظمة وتاريخ طويل ، أن يكون كتـاب الف ليلة وليلة ، هو الممثل لهذه الثقافة فى العالم الغربى .

كما ظهرت فنون ادبية كالزجل الشعبي ، وخاصة ما نظمه ابن قزمان ، كما ظهر الموشح ، وقد لعبت الموسيقى العربية والاغاني الشعبية الاوربية دورا مهما فى هذا التفاعل ، وكان اعظم الوشاحين الأعمى الطليطلي ، وابن سهل ، ولسان الدين ابن الخطيب .

ومجمل القول ، فان الادب العربى فى تطوره من العصر الجاهلى الى زماننا ، قد سار فى طريقي اتباع وابداع ، والتقى متعاصرا بالآداب العالمية ، لقاء اخذ وعطاء تحد واستجابة ، تاثر وتاثير ، مما اتاح له أن يتكيف تلك المجارى والمشارب فى حضارة عربية اسلامية ، ويفجر بالكلمة المبدعة طاقاتها الخصيبة ، من نتاج ادباء العرب فى الشعر والنثر اروع الذخائر الفنية الباقية على مدى الزمان .

شهد القرن السابع الميلادي ظهور الاسلام ، فامتد السلطان العربى ، امتدادا كتب له ان يشمل فى اقل من قرن ، جانبا كبيرا من العالم المأهول انذاك ، فالقى بين ايدى العرب ، روائع الحضارات السابقة ، وكنوزها ، فوجد العرب انفسهم فجاة امام امهات المعارف القديمة ، من فلسفة اغريقية ، الى حكمة ادبية وسياسية فارسية ، الى طب ورياضيات هندية ، فاستطاعوا بابداعية تدعو الى الاعجاب ، اسـتيعاب جميع هذه المعارف ، وهضمها ودمجها فى حياتهم الثقافية الخاصة ، ورفع مستوى هذه المعارف ، من طب وفلسفة وعلوم دقيقة وفلك الى ذرى لم تبلغها قط ، بل إنهم ظلوا ، الامناء فى العالم على هذه المعارف وتطويرها .

ويرجع الفضل فى الترجمات الاولى للمؤلفات الهندية واليونانية فى الطب والفلك والرياضيات الى عهد المنصور ، غير ان الفضل فى السعي الجاد الى اقتناء امهات الكتب اليونانية وترجمتها يعود الى المامون . وتجسد هذا المسعى عمليا فى تاسيس بيت الحكمة فى بغداد عام ٢١٧هـ ليكون مركزا للابحاث والترجمة ، حيث قام المترجمون بترجمة المؤلفات الطبيـة لجالينوس ، ونقلوا الى العربية مؤلفات افلاطون وارسطو ، كما ترجموا مؤلفات كثيرة فى الفلك والرياضيات ، فنبغ العلماء العرب فى كل علم وفن ، فكان « ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي » المتوفي عام ٢٥٢ هـ ، اول فيلسوف عربى اصيل ، سليل قبيلة كندة ، التى ينتسب اليها الشاعر الجاهلى «امرؤ القيس » ، وكان ابو بكر الرازى علما شامخا من اعلام الفلسفة والطب ، ثم ظهر فى اعقاب الرازى جماعة منظمة من العلماء الذين اعتنوا بالدين والفلسفة ، واطلق اعضاؤها على انفسهم اسم « إخوان الصفا » ، وقد تنـاولت رسائلهم كل العلوم الفلسفية والرياضية التى كانت معروفة فى القرن الرابع الهجري .

اما « الفارابي » « وابن سينا » ، فقد استحدثا نظرة الى العالم فلسفية اخلاقية ومع هذا فقد كان علماء الدين ، ينظرون الى .راسة الفلسفة بكثير من الحذر ، فكانت اشد الحملات على الافلاطونية ، واعمقها اثرا ، حملة الامام ابى حامد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

ثم اسس « عبد الرحمن بن خلدون » التونسي ، المتوفي عام ٨٠٩ هـ علم الاجتماع ، وفلسفة التاريخ ، وكان اعظم ما اسهم به ابن خلدون فى الفكر الاسلامي ، هو فلسفته الوصفية فى التاريخ والتطور الاجتماعي ، وقد مكنه تمسكه باستقراء التجارب الى وضع علم العمران ، الذى

لم يكن له مثيل فى تاريخ الفكر القديم او الوسيط ، فكانت مقدمته لدراسة تاريخ العالم ، كتابا فريدا فى تاريخ الأدب العربى كله .

وقام فى الاندلس علماء امثال ابن سره المتوفى عام ٣١٩ هـ ، والمجريطي ، اما اول كبار المؤلفين الاندلسيين فى الفلسفة ، فكان « ابو بكر بن الصائغ » المعروف « بابن باجه » ، فقد بهر هذا الطبيب الفيلسوف معاصريه ، وتلاميذه بشروحه عن الفلسفة ، التى كان « ابن سينا » و « الفارابى » اكبر اركانها فى المشرق ، وكذلك فعل « ابو بكر بن طفيل » الذى يعتبر من اعلام الفكر العربى فى الاندلس .

وظهر « ابن رشد » فى القرن السادس للهجرة ، فبدا مسيرته الفلسفية ، بعد الأربعين ، عندما قدمه ابن طفيل الى أمير المؤمنين « ابي يعقوب يوسف » فاعجب الأمير المثقف بابن رشد ، وعينه قاضيا لمدينة اشبيلية ، وامره بشرح كتب ارسطو .

فالله در هؤلاء العلماء الافذاذ الذين اسهموا بعبقريتهم اسهاما رائدا فى كل ميدان .

الرمزية والجمال

بينما كان الاسلام يمد ظلاله ، من سهوب اسيا الوسطى حتى جبال البرانس ، كان الصناع اليدويون يستخدمون تقنيات جديدة ، والمعماريون يبتدعون انماطا جديدة من المباني ، واصبح يعم معظم ارجاء الدولة الاسلامية تصور جديد لاشكال التعبير المرئية ، واصبحت الحاجة الوظيفية اساسا لاكثر الابتكارات العربية الاسلامية أصالة ، وهو المسجد ، بسقفه واعمدته المصفوفة ومحرابه ومئذنته واضفى التزيين بالفسيفساء الغالية ، والجص الرخيص معنى بصريا جديدا على سطوح الجدران وعلى السقوف ، فقامت مساجد تجسدت فيها روعة الفن المعماري ، وابداعية التشكيل الجمالي ، وبقيت ماثر على مدى الزمان ، كجامع قرطبة (من القرن الثامن) ، وجامع القيروان (من القرن الثامن) ، والمسجد الاقصى في القدس (في القرن الثامن الى الحادي عشر) والجامع الاموى بدمشق (القرن الثمن) وجوامع سامراء .

كما ظهرت منشات جديدة ذات طابع اسلامي كالرباطات لاقامة الحيذ، والدعاة لحماية دار السلام كرباط سوسة في تونس وهناك الاضرحة ومقامات الانبياء والصالحين كالحرم الابراهيمي في الخليل



جـــزء مـن صندوق للمجوهرات مصنوع من العاج من العصر الاموي في الاندلس

بفلسطين ، ومقام النبي يونس في نينوى .

ثم ظهرت سلسلة من المؤسسات التي تخدم اغراضا اجتماعية مفيدة ، كالمستشفيات ومعاهد العلم ، هذه المؤسسات التي اصبحت في القرن الثاني عشر من ابرز المؤسسات في العالم الاسلامي . وشيدت اسوار المدن وابوابها وقلاعها ، ولم تبق يد الزمان إلا القليل ، كقلعة حلب الشامخة وسور القاهرة ذو الهندسة الابداعية ، وسور القدس ..

اما المنشات المعمارية الخاصة ، فكانت اية في روعة المعمار ، ومراة ناطقة بالجمال كقصر الحمراء في غرناطة .

وقد تميزت العمارة العربية بخصوصية فريدة في البناء والتجميل ، بالاقواس والكتابة الزخرفية والاشكال التزيينية .

العبقرية العلمية

يعتبر العلم العربي فتحا اخر من فتوحات العرب ، رحب الابعاد ، متشعب المسالك ، شجعه الخلفاء العباسيون الأوائل في بغداد ، في بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، موفرين له كل ما استطاعوا من سبل النجاح ، وقد سمي هذا العلم عربيا ، لانه يدين بنشاته الى مبادرة عربية ، ورعاية عربية من جهة ، ولأن اللغة العربية كانت هي الوعاء الذي ترعرع في اطاره هذا العلم ونضج ، كالحساب والفلك والبصريات .

فقد نبغ في علم الحساب « ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي » مبتكر علم الجبر ، فقد اتحف هذا العالم ، علم الرياضيات ببعض قواعد وطرق اكتشفها وحسنها ، كقاعدة الخطائين ، والطريقة الهندسية لحل المربعات المجهولة ، وهو ما يسمى اليوم بالمعادلة من الدرجة الثانية .

أما علم الهندسة العربية ، فلم يقف عند استيعاب المفاهيم والطرق التي تضمنها كتاب الاصول لاقليدس ، فابناء موسى بن شاكر الثلاثة ، عالجوا قضايا هندسية هامة في كتابهم « في مساحة الاشكال المسطحة والكروية » .

وقد برع في علم الرياضيات علماء افذاذ كمحمد بن عيسى الماهاني ، وابو جعفر الخازن ، وعمر الخيام ، وابن الهيثم ، والعباس بن سعيد الجوهري ، ونصير الدين الطوسي ، ومحيي الدين المغربي ، واثير الدين الابهري .

وكانت ذروة منجزات البحوث العربية في علم الفلك ، فقد حظيت عمليات الرصد بدفعة قوية الى الامام في عهد الخليفة المامون ، الذي امر باعداد جداول فلكية جديدة ، فكان حصيلة ذلك «الزيج المأموني»

الذي اعتمد وضعه على ادوات الرصد والحساب « كالاسطرلابات » وهي اجهزة قياس الوقت وابعاد النجوم وحركتها ، «والارباع» وهي الات قياس « الارتفاع الزاوي » ، « وذوات الحلق » وهي الالات الكروية ذات الحلقات التي تمثل الدوائر الرئيسية في الكرة السماوية ، وقد وضعت هذه الالات في مختلف مراكز البحث الفلكي في العلم الاسلامي ، من قبل العلماء امثال « عبد الرحمن الصوفي » و « ابن يونس » و « البيروني » والطوسي . ولقد كان من ثمرات الفلكيين العرب ادخال مزيد من الدقة في حساب المثلثات ، والجيوب ،وحساب اوتار الدوائر .

حقق العرب تقدما كبيرا في علم البصريات ، فكتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم ، مصنف شامل ، لا يقتصر على ايراد نظرية جديدة في الابصار ، بل يقدم دراسات مهمة في انتشار الضوء واللون والانعكاس والانكسار .

ان ما سلف من الامثلة ، يعطي فكرة عن ابعاد البحث العربي في حقل العلوم الدقيقة في العصر الوسيط . فكانت ابحاثنا لها اهمية كبرى في الحضارة اللاحقة .

علوم الحياة

لقد استطاع العرب بفضل انتشار الاسلام ، وهيمنتهم على رقعة واسعة الارجاء ، عديدة الثقافات ، ان يستقوا من ينابيع متنوعة ، ليزدادوا معرفة نظرية وتجريبية في فنون العلاج والشفاء .فبلغت اسهاماتهم في علوم الحياة الصحية اعلى درجات نموها في القرنين الثالث والخامس للهجرة ، وشهدت عدداً من مراحل الانتعاش خلال القرنين السادس والسابع ، ونبغ عدد من العلماء العرب في الطب الباطني والسريري ، امثال الطبيب ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، اول من وضع



الإسطرلاب المسطح ، الذي كان من اهم الاجهزة التي استخدمها الفلكيون في العصر الوسيط ، وهذا الاسطرلاب يحمل توقيع ابن الحسين احمد البغدادي .

رسالة في الجدري والحصبة ، ومن كتبه مؤلف من عشرة اجزاء في الطب السريري والباطني وهو « الكتاب للتصوري في الطب » اما موسوعته الطبية التي سماها « الحاوي » ورسالته في « الطب الروحاني » فقد شكلتا مصدراً غنيا لعلوم الطب .

وكان العرب المسلمون اول من انشأ المستشفيات في ظل ورعاية الخلفاء ، وكانت تسمى « البيمارستان » اي « دار المرضي » ، وكانت منتشرة في شتى امصار العالم الاسلامي .

وقد بلغ العرب شاوا عظيما في طب العيون ، فقد وضع « حنين بن اسحق » كتابا منهجيا في طب العيون ، وفي اواخر القرن الحادي عشر بلغ طب العيون العربي ذروته ، بدراسة وضعها طبيب العيون البغدادي ، « علي بن يوسف » في كتابه « ذخيرة الكحالين » ثم جاء « الحلبي خليفة ابن ابي المحاسن » فوضع كتابا في جراحة العين هو : « نور العيون وجامع الفنون »

اما الجراحة والتشريح وعلم وظائف الاعضاء ، فقد كان « ابن رشد » الطبيب الفيلسوف العربي يقول : « من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله» . فكانت اعظم منجزات الجراحة العربية في العصور ، تنتسب الى الطبيب الاندلسي « ابي القاسم خلف بن عباس الزهراني » وفي خلال حكم المماليك بمصر ، الف « ابن النفيس » كتابا بالغ الاهمية في التشريح وعلم وظائف الاعضاء ، وهو شرح لكتاب ابن سينا « القانون في الطب » ، وهو يضم اول وصف واضح ومفصل للدورة الدموية ، وقد وصف « ابن القف » العمليات الجراحية ، وعلاج الاصابات الجسدية في كتابه « عمدة الصلاح في صناعة الجراح » .

اما في علم الحيوان والطب البيطري ، فقد ارتفع الاهتمام بتربية الحيوانات الداجنة ، فكانت اول مدرسة عربية جامعة « كتاب الحيوان » للجاحظ ، وكتاب « حياة الحيوان » للفليسوف كمال الدين الدميري ، ويعتبر كتاب « محمد بن حزام » الذي وضعه عام ٢٤٦ من اعظم مؤلفات العصور الوسطى في الطب البيطري وهو كتاب « الفروسية والخيل » وكذلك كتاب « الصناعتين » من تاليف ابي بكر البيطار المتوفي عام ٧٤٠ هـ

اما الصيدلة وعلم الادوية ، فلم تصبح مهنة معترفاً بها الا في العصر الاسلامي العربي الذين جعل منها علما مستقلا ، فكان «سابور بن سهل » المتوفي عام ٢٥٦ هـ ، مؤلف اول موسوعة للعقاقير الطبية ومنافعها ، ثم ظهرت دساتير وكناشات اخرى عديدة ، من بينها رسالة في الصيدلة «للرازي» وقد عرف «ابو الريحان البيروني» المتوفي عام ٤٤٣ هـ في كتابه «الصيدلة في الطب اكمل تعريف للصيدلة ومهنة الصيدلي ، وكان الاهتمام بالنباتات الطبية وفن العلاج ، وفي علم الزراعة وتربية الدواجن ، لدرجة ان بعض المؤلفات الزراعية تضم نصائح تنجيمية بشان الايام والفصول والمواقع ، التي يفترض ان تكون اكثر ملائمة من سواها لبذر الحبوب ، ولجني المحاصيل .

وقدمت السيمياء وعلم الهيئة كثيراً من الخدمات لعلم الكيمياء باختراع العلماء العرب الكثير من اوعية المختبرات ، وطوروا بعض الاساليب والعمليات الكيميائية ، كالتقطير ، والترشيح ، والتصفية ، والتكليس ، والبلورة ، وتحضير العناصر والمركبات الكيميائية .

وبعد ..

إن هذا الكتاب جدير بالمطالعة ، لان في فصوله ما يثبت ان الاسلام بعث في العالم العربي وعيا ونشاطا خلاقاً ، واسبغ عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقريات اقامت حضارة ، قدمت للانسانية كل وسائل التقدم والازدهار ، لتكون حافزاً لربط الحاضر بالماضي ، ليعطي في المستقبل وثبة ابداعية تجعلنا في مقدمة مواكب الحضارة

حسني شحادة

بدلاً من التمرّد واللجوء إلى المذاهب الفنية الغريبة!

بقلم: يوسف الشاروني

إن عمر الفنون التشكيلية فى عمـان لا يزيد عن ثلاث سنوات حين افتتحت المديرية العامة لشئون الشباب بوزارة التربية المرسم العمانى عام ١٩٨٠ للشباب من الجنسين فى العاصمة مسقط وزودته بالخامات والأدوات الفنية التى يتطلبها كل مرسم متطور.

وتختلف مستويات المترددين على المرسم ما بين مبتدئين ومتوسطين وممتازين. كما يختلف نظام ترددهم **فبعضهم منتظم لاسيما المبتدئين منهم، وبعضهم منتسب لحرية اختيار وقت تردده. كما أن التدريب يتراوح ما بين الممارسة** العملية والدراسة النظرية.

وقد اشترك المرسم فى سبعة معارض خارجية كان اخرها معرض الفنانين التشكيليين فى الدوحة بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى نوفمبر ١٩٨٣. كما اشترك المرسم فى سبعة معارض محلية كان اخرها، معرض عام الشبيبة العمانية للفنون التشكيلية الذى اقيم فى نوفمبر ١٩٨٣ أيضا بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطنى الثالث عشر لعمان واشتركت فيه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وأندية السلطنة **بالاضافة الى المرسم العمانى. وقد اشتمل على ١١٠ لوحة من بينها ٩٧ لوحة للفنانين** العمانيين والباقى لوحات لفنانين من كل من البحرين وقطر والكويت والمملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة.

وقد تناولت اللوحات المقدمة فى المعرض الحياة الانسانية فى منطقة الخليج ما بين المناظر الطبيعية والعادات والشباب والشيخوخة والريف ومراكب الصيد والمبانى التاريخية كالقلاع .. الخ.

ومعظم اللوحات تنتمى الى المدرسة الواقعية، بينما قلة منها تنتمى الى المدرستين التجريدية والسريالية.

وقد كتبت رابحة محمود ـ وهى احدى الفنانات المشتركات فى المعرض ـ كتبت فى جريدة عمان تقول انه منذ المعرض الأول فى العيد الوطنى العاشر (اى عام ١٩٨٠) والشباب العمانيون التشكيليون فى سباق مع أنفسهم ومع الزمن للوصول الى الاحسن. وقد اخذت شخصياتهم تتبلور وتتميز حتى لتستطيع ان تتعرف على كل فنان من أسلوبه وألوانه واختياره موضوعاته وطريقة تنفيذها، ولعلها تتحدث عن لوحاتها أيضا التى يمكن تمييزها بسهولة.

ومن الفنانين العمانيين الذين اشتركوا فى هذا المعرض الفنان محمود يوسف ال مكى المولود عام ١٩٥٨ والذى سبق ان اشترك فى معرض التصوير الفوتوغرافى مع اثنين من زملائه هما انور خميس سونيا وموسى صديق المسافر والذى سبق ان اقيم قبل أسابيع من اقامة هذا المعرض (فى اكتوبر ١٩٨٣). وهو ما يزال هنا ينتمى الى المدرسة الواقعية. اما ياسمين محمد سالم التى ولدت عام ١٩٥٧ فقد التحقت بالمرسم عام ١٩٨٠ وحصلت على كثير من الجوائز واشتركت فى المعرض بلوحتها «تحت الظلال» التى نجحت فيها فى خلق علاقات هادئة بين الألوان والخطوط، ورغم ما فى الصورة من واقعية الا ان ألوانها التى تتكون أساسا من تدرجات



ياسمين محمد سالم .. احدى المشاركات في معرض عام الشبيبة العمانية وهي تضع اللمسات الاخيرة للوحتها : تحت الظلال



محمود يوسف ال مكي .. امام لوحته : راحة بعد عناء

ظلال واضواء .. لوحة للفنان غصن منصور

الأزرق الفاتح تضفى عليها جوا غريبا . وغصن منصور الريامى المولود عام ١٩٦٠ والملحق بالمرسم عام ١٩٨٠ يتناول التاريخ العمانى ممثلا فى القلاع العمانية الشهيرة مثل قلعة سليمان بن حمير التى رسمها تحت عنـوان « ظلال واضـواء » . ومن النحاتين العمانيين المشتركين فى المعرض سليم سالم عبيد المولود عام ١٩٦٣ فى تنزانيا بافريقيا وايوب ملنج اللند المولود عام ١٩٥٥ بالبحرين ومن اعماله : المعلم ـ القلعة ـ حصان ـ تيقظ ، ومن الواضح انها اعمال مستوحاة من البيئة العمانية .

ومن الجدير بالذكر ان معظم العمانيين الذين شاركوا فى المعرض تتراوح اعمارهم ما بين السادسة عشر والسادسة والعشرين الا فيمـا ندر وهذا امـر طبيعى لحداثة حركة الفنون التشكيلية فى عمان . ومعظم الأكبر سنا ممن سبق لاهلهم ان هاجروا الى ساحل افريقيا الشرقى الذى كان تابعا لعمان فيما مضى حيث ولد الفنانون هناك ، ثم عادوا باولادهم الى عمـــــان بعـد انتفاضة عام ١٩٧٠ . ولاشك ان فترة قضاء طفولتهم فى ساحل افريقيا الشرقى قد اضفت عليهم مؤثرات ثقافية وانطباعات بيئية انعكست على اتجاههم نحو هـذه **الهواية اوتنمية هذه الموهبة وعلى مستواهم** فيما يقدمون من اعمال . وان لم ينعكس كثيرا على موضوعاتهم .

أما شباب دول مجلس التعاون الذين شاركوا باعمالهم فى المعرض فمنهم الفنان الكويتى حميد خزعل من مواليد ١٩٥١ وهو حاصل على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٨٠ قسم التصوير واسلوبه سريالى . ومن دولة قطر شارك الفنان سلمان ابراهيم المالكى من جمعية قطر للفنانـين التشكيليين وهو من مواليد

قريتي .. الفنانة نادية سالم عبد الله الحارثي



وقفة .. لوحة للفنان عبد الله ناصر الحنيني

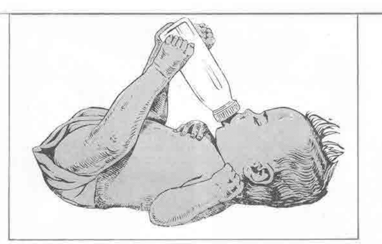
شميم محمد سالم .. امام لوحتها : القلعة

١٩٥٨ وانهى دراسته للفن فى القاهـــرة وتخصص فى ممارسة فن الكاريكاتير فى الصحف ، وتناولت لوحاته موضوع اشتعال لهيب الحرب اللبنانية الطائفية التى اتت على كل شىء . وقد صرح لجريدة عمان ان اقامة هذا المعرض كان استجابة لاحد اقتراحاته التى تقدم بها ، وانه كان للاخوة المسئولين فى سلطنة عمان فضل السبق فى تحقيق هذه الفكرة ، وهو يامل ان يتكرر مثل هذا المعرض مرة اخرى ، بل ان يخرج من إطار دول الخليج الى الدول العربية ثم الدول الأوروبية ، بمعنى أن يكون معرضا متنقلا تحت راية مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

كما شارك فى المعرض الفنان السعودى ناصر عبد الله الموسى وهو يمارس الرسم التعبيرى لجريدة الرياض السعودية ، ويتميز باستخدامه للحرف والرقم العربى . وقد عرض احدى لوحاته الحديثـــة فى المعرض .

بقيت كلمة أوجهها للأخوة العمانيين الذين يحاولون التمرد على الواقعيـــة فيلجأون الى مذاهب يشعر المتذوق انها غريبة عن بيئة الفنان وانها مصطنعة ، بينما هناك منهل تراثى عظيم يستطيعون ان ينهلوا منه وهو فن النقش على صخور عمـــان ، وهو فن بـــدائى عظيم يمكن أن يستلهم منه فنانو اليوم العمانيـون اساليب تلبى حاجاتهم الى التمرد على الواقع ، وهى فى الوقت نفسه اساليب ضاربة بجذورها فى اعماق التراث العمانى .. بل فى صخوره . ولكن موضوع فن النقش على الصخور فى عمان يحتاج الى حديث آخر .

يوسف الشارونى



بين لبن الأم.. واللبن الحليب

● كلما اقتربنا من الطبيعة كلما كانت الصحة أفضل والعمر أطول

● شلل الأطفال كان مرضاً قليل الوجود في الماضي بسبب انتشار الرضاعة الطبيعية!

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

عرف اللبن الحليب من آلاف السنين، وكان فى بداية الحياة الأولى – منذ اقدم العصور – يقدم قرباناً وكان الكهنة يصفونه دواء لبعض المرضى.

وعرف الناس من قديم الزمن ان اللبن الحليب غذاء هام للاطفال، وذلك نتيجة مشاهداتهم للصغار وهم ينمون به ويكبرون.

ويمتاز اللبن الحليب بسهولة هضمه، إذا ما قورن بغيره من الأطعمة، ولهذا كان من الاطعمة التى تقدم للشيوخ والمرضى والناقهين.

ويحتوى اللبن الحليب على المركبات النشوية والسكرية والدهنية المولدة للنشاط والحركة والعمل، كما يحتوى على المركبات البروتينية وهى مركبات النمو وبناء الخلايا والانسجة داخل الجسم الضرورية، لتعويض ما تهدم فى الجسم من خلايا ولبناء انسجة جديدة.

وتمتاز المركبات البروتينية الموجودة فى اللبن بانها كاملة التكوين، ومن بروتينات الدرجة الأولى.

واللبن الحليب غنى فى مركبات الجير الضرورية لتكوين العظام والاسنان، الا انه فقير فى مركبات الحديد التى تدخل فى تكوين الدم.

واللبن الحليب فقير فى مركبات الحديد الضرورية لتكوين الدم، ويمكن تعويض نقص هذه المركبات بتناول بيضة أو بيضتين يوميا.

وعموماً يمكن لن نقول إن اللبن الحليب يقوى عظام الاطفال، ويطيل قامتهم، ويمنع الكساح عنهم، ويقوى اسنانهم، لما يحتويه من مركبات الجير والفوسفور، بقدر وافر وبصورة سهلة الامتصاص.

ويحتوى اللبن الحليب على كثير من الفيتامينات الواقية من بعض الامراض الا انه فقير في فيتامين ج. ولهذا فاضافة عصير البرتقال يعوض نقص الفيتامين.

ويحتاج الطفل منه ثلاثة اكواب يوميا.. اما الكبير فيكتفي منه بكوب او كوبين في اليوم.. هذا بالاضافة الى الاطعمة الاخرى.

كيف يتكون اللبن الحليب ؟

يتكون اللبن الحليب داخل ضرع البقرة أو الجاموسة او غيرهما. ويتكون الضرع من الداخل من عدة اجزاء نسميها فصوصا وكل فص من هذه الفصوص يتكون من فصوص اصغر فاصغر، بداخلها خلايا تكون اللبن الحليب وتفرزه.

في هذه الخلايا تتحول المركبات الغذائية الاتية اليها مع الدم الى مركبات اللبن الحليب نفسه، وتتجمع المركبات وتتحد فيما بينها مكونة اللبن الحليب الذي نشربه.

وتتمزق اطراف هذه الخلايا فينزل ما تكون فيها من لبن حليب، وليسير في قنوات صغيرة، ثم الى قنوات اكبر فاكبر.. وتسمى هذه بالقنوات اللبنية.

ويتجمع اللبن الحليب الذي نزل في هذه القنوات في فراغات او تجاويف في اسفل الضرع.

وتتصل كل حلمة من حلمات الضرع الأربع ، بفراغ أو تجويف من هذه التجاويف ، وبين الحلمة والفراغ أو التجويف صمام يمنع نزول اللبن الا بالضغط عليه وجذبه .

وعند عملية الحلب يضغط الحلاب على الحلمة ويجذبها الى اسفل بحنان ، فينفتح الصمام ، فينزل اللبن الحليب في الاناء النظيف الموضوع لهذا الغرض .

ومن المعروف ان الدم وما يحمله من مواد غذائية يعتبر المصدر الاساسي لاعداد الحويصلات بحاجتها لصنع قطرة الحليب . غير ان هذه الحويصلات تلعب دوراً عظيماً في عملية انتقاء تلك المصادر الغذائية . ونظرة بسيطة الى المحتويات الكيميائية لمصل الدم والى المحتويات الكيميائية لقطرة الحليب يتضح لنا الفرق الشاسع والبون الكبير فيما بينهما .

وهكذا نجد ان هناك مركبات موجودة في الحليب لم تكن موجودة اصلا في الدم . على الرغم من ان هذا الدم بالذات هو الذي يمد الغدة اللبنية بالمواد الضرورية لتكوين الحليب ، ومثال تلك المركبات (اللاكتوز والكازين وغيرهما) . وكذلك فان الحليب يفوق مصل الدم في سكر الحليب (اللاكتوز) بمقدار ٩٠ ـ ٩٥ مرة و ٢٠ مرة في الدهن و ١٤ مرة في الكالسيوم و ٩ مرات في البوتاسيوم و ١٠ مرات في الفسفور الا ان الحليب يتقهقر امام الدم في كمية البروتين بمقدار مرتين وبالكلـور ٣ مرات والصوديوم ٧ مرات .

واذن فقد حصل اختلاف في التركيب الكيماوي للحليب من مصدره الاساسي الا وهو الدم . وهو ليس اختلافاً عشوائياً تابعاً للصدفة العمياء البحتة ، وانما هو امر موجه بقدرة عظيمة ، كي تصبح قطرة الحليب مستساغة الطعم لذيذة النكهة مقبولة القوام والمظهر واللون ، وغنية بالقيمة الغذائية العالية . وعند النظر في خلايا الحويصلات في الثدي تقوم بعمل خارق للغاية عند صنعها لقطرة الحليب ، اي كما يقال تعمل على مصفاة واعية منتقية اي انها تنقي تلك المواد الضرورية انتقاء وانتخاباً ، ولا تسمح بمرور بعض المواد الاخرى .

والآن يسال كيف يسيل الحليب خارج الثدي ؟

لاشك ان سيلان الحليب خارج مكان افرازه عملية معقدة مرتبطة بظروف بيئية وهرمونية وعصبية يجب توفرها بشكل ملائم ومواتٍ كي يتم بصورة سهلة وطبيعية ففي الابقار والاغنام والماعز والحيوانات الثديية المنتجة للحليب تبدأ الافعال الانعكاسية لادرار الحليب بتوفر الشروط التالية :

١) اقتراب موعد عملية الحلب في زمن محدد ثابت .

٢) دخـول الحلاب الذي اعتـادت عليه الحيوانات الى الحظيرة بشكله ولبسه ورائحته المميزة وقرقعة اوانيه .

٣) تناول كمية من العليقة المركزة المحتوية على الاعلاف الجاهزة والمخلوطة بنسب معينة في عملية ادرار الحليب .

٤) تدليك الضرع وعمل مساج له مع قليل من الماء الفاتر .

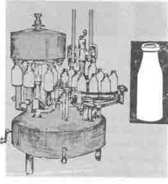
في الميزان

واذا اردنا ان نضع لبن الأم واللبن الحليب في الميزان ، فسنكتشف التالي :

لبن الأم :

يتناسب اللبن من حيث صفاته الطبيعية والكيماوية مع احتياجات الطفل النامي ، إذ يولد الانسان عديم الاسنان . ولذا يلزم ان يبدأ حياته بتناول الاطعمة السائلة او نصف السائلة ، كما يجب ان يكون غذاؤه سهل الهضم والتناول حتى لا يؤثر على الجهاز الهضمي ، كذلك يجب ان يتناول مواد غذائية خاصة لازمة للحياة والنمو

ويعتبر لبن الام افضل انواع الالبان في تغذية الطفل حيث الخثرة تكون دقيقة مفككة ، ويظهر أن لبن الام يعطي الطفل مناعة ضد بعض الأمراض .



الحليب يعبأ الياً « اتوماتيكيا » دون ان تلمسه يد

ولو تاملنا تركيب لبن الام أو حليب الام في اشهر الرضاعة المتوالية ،لوجدناه في بداية فصل الرضاعة اكثر احتواء على مركبات بناء الانسجة وتكوينها ونموها . ولو تاملنا تركيبه في نهاية فصل الرضاعة وجدناه اكثر احتواء على المركبات السكرية والدهنية المولدة للنشاط والحركة ، لأن الطفل في نهاية فترة الرضاعة يكون اكثر نشاطا وحركة .

ومن الحقائق العلمية الجديدة ما اثبته العلم اخيراً من ان لبن الأم او حليب الأم يقاوم شلل الاطفال .

لقد ثبت بصفة قاطعة ان مرض شلل الاطفال كان قليل الوجود في القرون الماضية لا لشيء الا لان الامهات كن يرضعن اطفالهن رضاعة طبيعية . وهناك ادلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة نذكر منها :

اولا : عندما حل مرض شلل الاطفال بحالة وبائية في شمال كندا ، نجا الاطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية من الاصابة بهذا المرض .

ثانيا : مرض شلل الاطفال كان اكثر انتشاراً في البلاد المتمدينة التي اهملت الرضاعة الطبيعية .

اللبن الحليب :

• وقد يحل لبن الابقـار محل لبن الام إذا تعذر وجوده لتغذية الاطفال ، ونظراً لوجود فوارق في التركيب في كل من اللبنين فتجري بعض التعديلات .

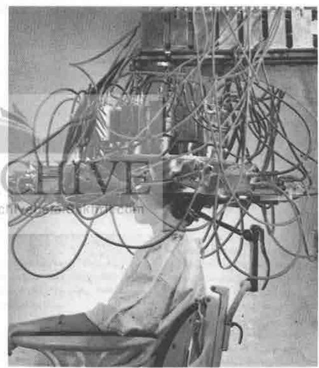
والتعديلات على لبن الابقار ليتشابه مع لبن الام من حيث التركيب والقوام .

ولاستكمال النقص الموجود في لبن الابقار او الجاموس يعطى معه او يضاف اليه عصير البرتقال او عصير المانجو .

وقد اجريت تجارب على عدد من الاطفال تتراوح اعمارهم بين ثلاثة اشهر ونصف واربعين شهراً .. فاعطوا في فترة معينـة غذاء صناعياً يحوي البروتينات والمعادن والمواد السكرية والفيتامينات ، اي جميع العناصر الغذائية المعروفة اللازمة للجسم ولكنهم منعوا من شرب اللبن الحليب . وقد احب الاطفال هذا الغذاء الصناعي ، واطرد نموهم طبيعياً بعض الوقت ، ولكن مالبث أن توقف . وعبثاً حاول الاطباء علاج هذا التوقف الى ان سمح لهم بشرب اللبن الحليب فزاد وزنهم جميعاً بنسبة كبيرة ، وبعد فترة عاد نموهم طبيعياً .

د. عبدالمحسن صالح

أسواق متطورة لقطع الغيار البشرية



هذا الجهاز المعقد الذي يحيط برأس الفتاة هو التعبير المجسد على دخول العلوم الهندسية والذرية والاليكترونية في مجال العلوم الطبية . فيحدد مواقع الأورام السرطانية من خلال امتصاصها لذرات مشعة .



شكل توضيحي يبين مواقع قطع الغيار الخرفية

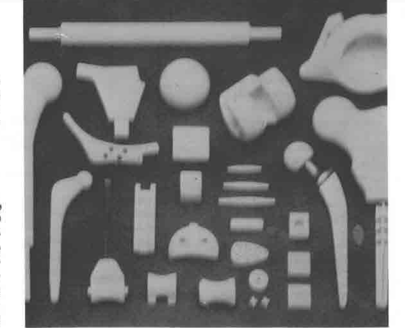
هب أن انسانا قد تعرض لحادث مفجع ، وخرج منه مجدوع الأنف ، مقطوع الأذن ، مكسور الراس ، مبتور الذراع او الساق ، مفقوء العينين ، مهشم الاسنان والفكين ، مشلولا فى احد الطرفين ، فاقدا لبعض دمائه وجلده وعظامه .. الى آخر هذه العاهات التى تترك بصماتها وتشوهاتها على الضحية ، ولنفرض أن هذا الانسان قد قدر له ان يعيش ، عندئذ سيكون اشبه بحطام كائن حي لا فائدة فيه ولا مارب !

هذه الصورة المأساوية قد تكون كذلك بالنسبة لما مضى من ازمان ، لكنها لن تكون كذلك فى وقتنا الحاضر ، او فيما يلى من اعوام ، اذ من الممكن ان تعالج عيوبه ، ويرمم ما هدم منه ، وتختفى كل اصابة قد حلت به ، فيعود الى الحياة بدون عاهات !

قد تكون هذه اضغاث احـــلام ، أو شطحات خيال ، لكن ذلك ليس كذلك ،

بفضل التقدم المذهل التى تحققه العلوم التجريبية ، خاصة فيما يتعلق بقطع الغيار البشرية التى بدات تغزو أسواق العالم ،

وتنتشر فيها كتجارة رابحة تدر الاف الملايين من الدولارات كل عام !



سبعة وعشرون قطعة غيار من الخزف (السيراميك) لاصلاح ما يتهشم من الهيكل العظمي وحده .ولقد عرضتها احدى الشركات اليابانية التي تخصصت في انتاج قطع الغيار البشرية



طابور من مرضى الفشل الكلوي المزمن وهم يلازمون الكلى الصناعية ساعات قد تصل الى خمسة او ستة ، ولابد من العودة اليها لنفس الفترة مرتين او ثلاثة اسبوعيا ، ليخلصوا دماءهم من النفايات . ولولا ذلك لكان هؤلاء في عداد الاموات .

علوم هجينـــة

فلم يعد الطبيب او الجراح او الصيدلى هو المسئول الوحيد عن مشاكل الجسم البشرى . بل دخلت فى ميدانه تخصصات اخرى جديدة لم يكن احد يسمع عنها من قبل ، ذلك ان الجسم البشرى ينطوى على اسرار مذهلة ، واحكام متقنة ، وكأنما هو قد جمع فى داخله كل اساسيات العـــــلم والتكنولوجيا الحديثة ، ولكى ندرك كيف يشتغل ، فلابد ان نتعلم منه الشرائع والاحكام والقوانين التى تهيىء له من امره رشدا .. ولاشك ان ذلك يستلزم جيشا متكاملا من العلماء ومن كل التخصصات ، حتى لكأنما هذا الجسم قد اصبح كونا قائما بذاته ، او كأنما ينطبق عليه قول المتصوف الاسلامى محيى الدين ابن عربى :

اتحســـب انك جرم صغير
وفيك انطوى العـــالم الأكبر

وتلك نظرة تصوفية شاعرية صحيحة ، ولاشك انها قد سبقت زمانها ، ذلك ان البعض ينظر الى الجسم كآلة حية على درجة هائلة من التعقيد والكفاءة والتنظيم وبحيث يتعلم منها العلماء كل يوم جديداً ، فيرون فيها ايات من الخلق المذهل الذى يستحق الاعجاب والتأمل والدراسة ، ولا يختلف فى ذلك المتخصصون فى العلوم الطبية او البيولوجية ، عن علماء الكيمياء والفيزياء والهندســـــــة والكهربـــاء والاليكترونيـــــات والمـــــواد واللدائن والاتصالات ، وايضا علماء الرياضـــيات الذين يحولون استنباط المعادلات ، علهم يدركون بمعادلاتهم التنسيق المتقن ، والتوازن المقدر ، وبهذا يضعون امـــــام التخصصات الاخرى نتائج معادلاتهم التى قد تنبئهم بما خفى عليهم من اسرار فى داخل جسم الانسان .

لا غرو اذن ان تظهر فى عصرنا الحديث علوم هجينة ، اى علوم يجتمع فيها اكثر من تخصص ليخدم بعضه بعضا ، وبهذا تتجزأ مالا يمكن ان يتجزأ تخصص واحد .. فخرجت الى الوجود تخصصات جديدة نعرفها باسماء شتى ، لكن هدفها واحد ، وهدفها أن تخدم الجسم البشرى فى امراضه وعاهاته وتشوهاته ، وبهذا أصبحنا نسمع عن درجات علمية تمنحها المعاهد والجامعات لخيرة ابنائها .. فالهندســـــة الطبية Medical Engineering او الحيويـــة Bio-engineering ، او البيولوجيا الاليكترونية Bio-electronics او الفيزياء الحيوية Bio-physics ، او التكنولوجيـــــا البيولوجيــــــــــة Bio technology او الرياضة الحيوية Bio-mathematics ، او الميكانيكـــا الحيوية Bio-mechanics .. الخ .. الخ . كل هذا وغيره يكون فيما بينه فريقا متآلفا من العلماء ليتعاونوا فيما بينهم ، فتاتى ثمرات هذا التعاون بتطورات طبية عظيمة لم تكن تحلم بهـــا الانسانيـــة من قبل . وتمخض عن ذلك قطع غيار بشرية ، لتحل محل الاجهزة الطبيعية التى توقفت عن العمل ، فاصبحنا نسمع عن عدسات وعيون صناعية او تليفزيونيـــة ، وقلوب

أسواق متطورة لقطع الغيار البشرية

وركّبت وكلى صــناعية ، وتوصـيلات اليكترونيـة ، ومفاصل واطراف صناعية ، ولدائن وسبائك معدنية ، وغير ذلك من اجهزة ومواد تدخل في الجسم كبدائل لتحل محل اعصابه ولحمه وعظامه ومرافقه الحيوية التي يؤدي عطبها الى موت اكيد ، لكن قطع الغيار البشرية او الصناعية التي جاءت هذه المرة من اسلاك ومعادن ولدائن واجهزة كهربية او اليكترونية ، قد تقوم بوظيفة الجزء المعطوب ، وتدفع الجسم لمواصلة الحياة ، وتبعث الامل في نفوس الملايين من المرضى والمعذبين .

اسواق رائجـة

ولا شك ان كل شيء يبدا متواضعا ، ثم يتطور الى الاحسن دائما ، وذلك بفضل الافكار الخلاقة ، وتقدم فروع العلم المختلفة ، والتعاون المثمر بين علماء من تخصصات متباينة .. ففي بداية هذا القرن ظهرت محاولات جادة لانتاج اسنان صناعية ، وعيون صناعية وارجل صناعية وما شابه ذلك ، الا ان النوعيات كانت متواضعة ، ثم تطورت الامور إلى الاحسن ولكن بخطوات جد بطيئة ، اذ تحولت اهتمامات العلماء الى انتاج قطع غيار للاعضاء الحيوية الداخلية ، وتم بالفعل انتاج اول كلية صناعية في الاربعينات من هذا القرن ، وتبعها في اوائل الخمسينات انتاج اول قلب ورئة صناعية يستخدمان اثناء اجراء العمليات الجراحية في القلب (اي لفترة محدودة) ـ ثم الاستعاضة عن المفاصل الطبيعية التالفة باخرى معدنية او خزفية (سيراميك) .. الخ .

من اجل هذا ، تكونت اول جمعية علمية طبية في الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ ، وهي التي لازالت تعرف باسم الجمعية الامريكية للاعضاء الصناعية ، كان السبب في انشائها ان الامور قد بدات تتطور بسرعة ، مما يستلزم وضع المعايير والتشريعات لهذه الصناعة الجديدة ، ثم حذت اليابان ومعظم الدول الاوربية حذو الولايات المتحدة ، وكونت فى السنوات القليلة الماضية مؤسسات وجمعيات للاشراف على تقنين وانتاج قطع الغيار البشرية ، ولقد بدات الشركات الطبية في التنافس لتطوير تلك الاعضاء ، وجعلها اكثر كفاءة ، واطول عمرا ، واقل تكلفة ، واتقن اداء .

ويبدو ان هذه الصناعة لاقت رواجـا ، خاصة بعد ان اثبتت شيئا من الكفاءة ، فاصبح لها الآن سوق تجارية تدر الاف الملايين من الدولارات سنويا ، فعلى سبيل المثال يوجد الآن في العالم اكثر من ٣٠٠ مليون شخص مصابون بالتهاب المفاصل ، وحوالي ٨٪ من هذا العدد في حاجة ماسة الى تغيير مفصل في اصبع قدم او ركبة او كوع .. الخ ، ولقد اصبحت هذه العمليات متاحة لكل من استطاع ان يدفع تكاليفها .

ان مفصل اصبع القدم مثلا يبلغ ثمنه حوالي خمسين دولارا ، ومفصل اصبع اليد اغلى قليلا ـ اي في حدود ستين دولارا ، وثمن مفصل الكتف ٣٧٠ دولارا ، ومفصل الفخذ ٤٥٠ دولارا .. ولا يدخل في هذه الاسعار ـ بطبيعة الحال ـ اجر العملية ، لان الاجر يتفاوت بين جراح وجراح ، وبين قطعة واخرى ، وهي ـ على اية حال ـ تتراوح ما بين عدة مئات من الدولارات ، الى الفي دولار او يزيد .

بين الطبيعي والصناعي

والواقع ان بحوث قطع الغيار البشرية تسير في طريقين ، لكنهما ـ في النهاية ـ يخدمان نفس الهدف ـ اي تغيير المعطوب باجزاء سليمة ـ فطريق منها يستخدم الانسجة والاعضاء الطبيعية السليمة من انسان لزرعها في انسان اخر يحتاج اليها ، والطريق الآخر يعتمد على تصنيع قطع الغيار من خامات مختلفة ، بحيث تؤدي نفس الهدف ، ولاطول فترة ممكنة .

وطبيعي ان الطريقين اللذين يسلكهما العلماء في التعامل مع قطع الغيار الطبيعية والصناعية تعترضهما عقبات شتى وعويصة ، فاكبر مشكلة تجابه زراعة الاعضاء الطبيعية هى مقاومة الجسم الحي لاي نسيج او عضو غريب ، ولا يزال الجسم يستخدم اسلحة المناعة في ضرب الجزء المزروع ، حتى يلفظه او يبيده من ميدانه ، ولم يتغلب العلماء على مقاومة الجسم ، او تعطيل اسلحته الدفاعية ، وقد حققوا بعض النجاح في هذا الميدان ، خاصة في زراعة الكلى وصمامات القلب وبعض الانسجة ، لكن ان يعيش الانسان بعضو غير عضوه ، انما يعتمد على من يعطي هذا العضو او يهبه ، فالعقبة هنا هو عدم توافر هذه الاعضاء الطبيعية لكل من يطلبها .

من اجل هذا لجا العلماء الى فكرة تصنيع بدائل عن الانسجة والاعضاء البشرية ، ورغم انهم قد حققوا في هذا المجال اهدافا رائعة ، رغم ذلك فان الشيء الصناعي لا يقارن بالشيء الطبيعي .. لا في كفاءته او تحمله او حجمه ووزنه وتكلفته .

خذ على سبيل المثال الكلية الصناعية .. فالمصاب بالفشل الكلوي المزمن ترتبط حياته بجهاز معقد وكبير ومكلف ، ويحتاج لرعاية طبية طالما كان اسير هذا الجهاز الذي يزوده مرتين او ثلاثا في الاسبوع ، وتظل دورته الدموية تدور في هذا الجهاز لمدة تتراوح ما بين ٤ ـ ٦ ساعات في كل مرة ، حتى يمكن تخليص دمه من السموم والنفايات التي تجمعت فيه !

اعرف صديقا ميسر الحال بعض الشيء كان يدفع ما بين ثمانمائة والف جنيه شهريا تكلفة لتلك الكلى الصناعية ، بعد ان اصيب بفشل كلوي مزمن ، ولقد افلس نتيجة لذلك ، ولو لم تتكفل الدولة بهذا الامر لاصبح الآن في عداد الاموات .. وهناك بطبيعة الحال الاف مثله على مستوى الدولة ، ومئات الالوف على مستوى العالم ، اذ لولا هذه الكلى الصناعية ، لودعوا الحياة من زمن .

قارن ذلك بالكلية الطبيعية التي لا يزيد وزنها عن ١٥٠ جراما ، وهى مزودة بحوالي مليون وحدة ترشيح دقيقة ، وكفاءتها لا يعلى عليها ، لدرجة ان نصف او حتى ربع كلية طبيعية سليمة تكفي لتخليص الجسم من نفاياته الذائبة في دمائه ، وتلك نعمة كبرى لا يشعر بها حقا الا كل من افتقدها ، وما اكثر النعم التي زودت اجسامنا ، ولا نقدرها حق قدرها لكن مما لا شك فيه ان هناك محاولات جادة ومضنية لتطوير وانتاج كلية صناعية مصغرة يمكن حملها وتشغيلها بواسطة المريض ، وقد حقق

العلماء في ذلك بعض النجاح . لكن الأمر لا زال يحتاج الى تطوير اتقن ، وكفاءة احسن وحجم اصغر ، والايام والجهود والافكار كفيلة بتذليل الصعاب رحمة بالذين اصابهم هذا المرض العضال .

ما يمكن تغييره

وبحوث قطع الغيار البشرية لازالت تقدم لنا كل عام جديداً ، وبحيث قد يصبح الانسان في المستقبل القريب او البعيد انسانا هجينا يجمع في تكوينه اجهزة طبيعية من شحم ودم وعظام ، واخرى من بلاستيك ومعادن وخزف وتوصيلات كهربية واليكترونية .. الخ ، فهناك الآن عشرات من قطع الغيار البشرية الصناعية التي يمكن ان تحل محل الأجهزة التالفة .

فالقلب وحده له اكثر من قطعة غيار ، وهناك الآن مئات الالوف من البشر او ربما الملايين قد عطبت اجزاء من قلوبهم لسبب او لآخر ، وهم يعيشون الآن بعد تغيير الاجزاء المعطوبة باخرى طبيعية او صناعية .. فالمنظم الطبيعي لنبضات القلب (عقدة عصبية صغيرة) قد يفشل في امداد القلب بالشحنة الكهربية التي تجعله ينبض باستمرار وانتظام ، وبمعدلات اكبر عند بذل المجهودات الجسدية ، وقد امكن احلاله بمنظم صناعي صغير يزرع تحت الجلد ، ويشتغل ببطارية دقيقة ، هناك الآن عشرات الالوف يعيشون بمنظمات قلوب صناعية ، ولسنين طويلة ، خاصة بعد ان ادخل العلماء تحسينات اساسية على البطارية لتعيش لاطول فترة ممكنة ، وحدثت ايضا تطورات في التوصيلات الكهربية الدقيقة التي تصل البطارية بعضلة القلب ، اذ كانت في الماضي تنهار بفعل التاكل والتفاعل الحادث بينها وبين الجسم ، لكن الانهيار الآن غير حادث بعد تخليق مادة جديدة من المطاط السيليكوني (الرملي) الذي يستخدم الآن كثيرا في اغراض طبية شتى .. اضف الى ذلك تحسينا اخر حديثا قد اضيف الى هذا المنظم ، اذ اصبح مبرمجا عن طريق حاسب اليكتروني دقيق ، فباشارة لاسلكية يمكن تحسين ادائه عندما يتطلب الجسم مزيدا من الدم والاكسوجين كلما تعرض لأحد المجهودات البدنية المفاجئة .

وكثيرا ما تنهار صمامات القلب الطبيعية ، فتؤدي الى عجز حقيقي في قدرة الانسان ، واصبح تغيير هذه الصمامات الآن من الأمور الميسرة نسبيا ، وهناك من يعيشون بثلاثة صمامات صناعية ، ولا شك ان من وراء ذلك بحوثا كثيرة قد اجريت لتحسين اداء هذه الصمامات ، حتى لا يحدث بينها وبين الدم تفاعل قد يؤدي الى تجلطه ، ولابد كذلك ان تكون من مواد مقاومة للتاكل حتى تتحمل الضغوط الواقعة عليها ، والتيارات السارية حولها ، نتيجة لنبض القلب مئات الملايين من المرات في كل عام (حوالي ٤٠ مليون نبضة سنويا) .. احسبها بعد ذلك بالسنوات التي قد يعيشها من حملها في قلبه .. ولا يزال العلماء يطورون هذه الصناعة ، رغم ان لديهم الآن مادة جديدة باسم الكربون البيرولي قد اثبتت كفاءة عالية في هذا المجال !

وليست عملية زراعة قلب صناعي لطبيب الاسنان الأمريكي بارني كلارك ببعيدة ، وبه استطاع ان يواصل الحياة لعدة أسابيع ، ثم حدثت مضاعفات ادت الى موته ، لكن هذا القلب الصناعي كان محصلة سنوات طويلة من البحوث الجادة والعميقة ، ولقد سبق ان جربت قلوب صناعية كاملة فى الحيوانات ، بعد ان حلت محل قلوبها الطبيعية ، واستطاعت ان تعيش بها لاسابيع او شهور .. لكن القلب الصناعي الذي عاش به كلارك لم يكن قلبا كاملا ، بل كان جهازا مزروعا ليساعد عضلة القلب على ضخ الدم ، ومع ذلك فليس الفشل فى اول محاولة دعوة للياس ، بل العكس هو الصحيح ، لان دراسة العوامل التى أدت الى الفشل ، تستلزم بحوثا لتجنب هذا الفشل فى المستقبل ، او هى بداية حقيقية لحث العلماء على الدراسة والبحث والتطوير ، حتى تتوج هذه الجهود فى السنوات القليلة المقبلة بقلب صناعى متكامل يعيد الحياة الى اصحاب القلوب التى تكاد تنهار

والحديث عن القلب قد يتشعب ويطول ، لكن يكفي ان نذكر أن لحام جدار القلوب ممكن الآن بواسطة مواد لاصقة مثل الداكرون، وتغيير الشرايين بشرايين صناعية من لدائن مناسبة قد صار عمليات روتينية .. حتى تغيير الدم نفسه قد اصبح من الأمور العادية التى يمارسها الاطباء والجراحون منذ بداية هذا القرن .

ولمعظم اجزاء الجسم التالفة الآن قطع غيار كثيرة تم تصنيعها من مواد مختلفة لا تهمنا هنا فى هذا المجال ، لكن يكفي ان نقدم صورة توضيحية لما يمكن تغييره ، بداية من عظام الجمجمة ، الى الفكين والأسنان والعينين والانف والحنجرة والاذان والرئة والمفاصل والاوعية الدموية واجزاء من الجهاز البولى .. الخ .

المستقبل يحمل امالا كبيرة

والواقع ان احلال عضو صناعى محل اخر طبيعى هو الهدف الذى يركز عليه العلماء والأطباء من كل التخصصات فى وقتنا الحاضر .. ذلك لان الاعضاء الطبيعية التى يمكن زرعها ليست متاحة فى كل الاوقات ، لكن ان نستنبط قطع غيار صناعية لزرعها بدل التالفة هو الامل الذى تنتظره البشرية ، خاصة وان هناك الآن عشرات الملايين من المعذبين فى الارض نتيجة لامراضهم المزمنة والمستعصية ، ثم ان ما نفشل فيه اليوم ، سوف ننجح فيه غداً ، خاصة وان الافكار والبحوث والكشوفات تتطور الآن بسرعة مذهلة .

لكن مما لاشك فيه ان هناك اولويات يركز عليها العلماء فى بحوثهم ، فقطع الغيار البشرية تختلف باختلاف اهميتها للجسم ، فالأطراف أو الجلود الصناعية او المفاصل والعظام ليست ذات دور هام وخطر مؤثر فى حياة المخلوق إذا ما قورنت مثلا بقلب معطوب ، او عصب مشلول ، او كبد متوقف ، او كلية مصابة بالفشل .. الخ ، فعطل مثل هذه المرافق قد يعطل الحياة ذاتها ، ما لم يحل محلها ما يقوم بوظيفتها ، ولهذا فان الامل معقود بالفعل على انتاج هذه الاعضاء الاساسية ، وهناك بشائر تشير الى امكان تحقيق ذلك فى السنوات المقبلة ، وما أن ينتهى القرن العشرون ، الا ويحقق العلماء انجازات هائلة ما كنا لنحلم بها فى ايامنا الحاضرة .

وليس معنى ذلك ان البحوث لن تتناول مرافق الجسم الحيوية الاخرى ، بحيث لن يكون لمن قطعت يده او ذراعه او ساقه .. الخ ، امل فى استعادة ما فقد ، بل هناك الامل ، واكثر من ذلك انه امكن التوصل الى انتاج بنكرياس صناعى ليمد الجسم بالانسولين ، وبداية كبد صناعى ليقوم بكثير من وظائف الكبد ، واذن صناعية تسمع الأصم ، ونواة عين صناعية تجعل الاعمى بصيرا ، وطرف يتحرك بايحاء من المخ .. الى اخر هذه الانجازات الهامة والمثيرة التى قد نتعرض لها فى دراسة قادمة ، لندرك ما يجرى فى عالمنا المعاصر من تطورات مذهلة ، لاشك انها تعود على البشرية بفوائد مباشرة .

د . عبد المحسن صالح

المكتبات والندوات والثقافة المسرحية

في حياة الجيل الجديد:

ثقافة أبنائنا من أهم أهدافنا في التعليم

أجرى الحوار: يوسف الحرمي

عبد الرحمن نعمة جابر
مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم

● وافقت وزارة التربية والتعليم هذا العام على خطة التربية المسرحية لأهميتها في التربية الحديثة

● أصبح في كل مدرسة مكتبة مزودة بكافة المراجع العلمية والكتب الثقافية الهامة

تشكل الثقافة رافداً هاماً ورئيسيا في حياة كل انسان، فهي تقوم بدور فعال في النهوض بالأوطان والمجتمعات الى المستوى الرفيع والمرموق بين كافة الامم ومن هذا المنطلق حرصت وزارة التربية والتعليم وسعت جاهدة بكل الوسائل والامكانات المتاحة لها الى ايصال الثقافة العامة الى ابنائها الطلبة، سواء كان ذلك عن طريق انشاء المكتبات المدرسية التي تضم العديد من الكتب الثقافية والعلمية او القاء المحاضرات او اقامة الندوات الفكرية والعلمية او تنظيم المهرجانات والمسابقات الثقافية والمسرحية.

وحول مدى اهتمام وزارة التربية والتعليم بالثقافة العامة كان اللقاء مع عبد الرحمن نعمة جابر مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم..

التربية والثقافة

قلت لعبد الرحمن نعمة جابر:

● لا شك ان الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم تضم العديد من الأجهزة المتخصصة ... فهل لكم ان تحدثونا عن مدى اهتمام الوزارة بربط التربية التعليمية بالعملية التثقيفية وكيف يتم ذلك ؟

وقال لي:

ـ من اهداف التربية والتعليم في دولة قطر تشجيع نشر الثقافة في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفنية والتوسع في اجهزتها ومراكزها وانشطتها بصورة مستمرة وتعمل الشئون الثقافية بالوزارة على تحقيق هذا الهدف من خلال اجهزتها وادارتها واقسامها المختلفة.

وفي مقدمة الانشطة الثقافية تنظيم محاضرات في المدارس وهو ما اصطلح على تسميته / بالموسم الثقافي / .. وهناك اقبال هائل من الطلاب والطالبات على دعوة اهل العلم والمعرفة ليقدموا لهم الوانا من الثقافة ومزيداً من المعارف لتنمية مواهبهم وتوسيع مداركهم في مختلف الفروع.

ويضم الموسم الثقافي محاضرات متنوعة دينية وادبية وعلمية وفنية وطبية وغيرها.

ومن بين اهتمامات الوزارة بالنواحي الثقافية ياتي الاهتمام بالمكتبات المدرسية فهناك مكتبة في كل مدرسة في جميع المراحل الدراسية بمدارس البنين والبنات مزودة بكافة المراجع العلمية والقواميس اللغوية والكتب الثقافية التي تشتمل على اهم روافد الثقافة والعلوم.



هناك اجماع من جانب المسئولين على ان التربية المسرحية كجهاز ثقافي يؤدي عملا تربويا تعليميا

تنمية المواهب الفنية لدى الطلاب واشراكهم في المعارض الفنية الداخلية والخارجية



لقطة من مسرحية قدمها الطلاب في النشاط الصيفي

احد طلاب المدارس اثناء اندماجه في رسم اللوحة باقلامه الملونة

كما تزود هذه المكتبات بصفة مستمرة بالدوريات المحلية والعربية لكي يطلع الطلاب على كل جديد في عالم المعرفة .

كذلك هناك جهاز التربية المسرحية الذي حقق الكثير من الاهداف المرجوة ، منها الكشف عن قدرات الطلاب وتقويم نطقهم ولسانهم العربي من خلال الاعمال المسرحية والتربوية والمنهجية .. وكذلك نشر الوعي الفني الخلاق والتذوق الادبي وتنمية حصيلتهم من الثقافة والعلم والمعرفة .

ولا يقتصر النشاط الثقافي على المدارس النهارية فقط وانما تعداها الى المدارس الليلية ومراكز محو الامية .

ويهمني في هذا المجال ان اوضح ان وزارة التربية والتعليم قد اقرت هذا العام الخطة التي اعدتها التربية المسرحية بالوزارة باعتبارها وسيلة من وسائل التربية الحديثة .

وتقوم هذه الخطة على نوعين من النشاط : الاول هو التركيز على مسرحة المناهج على اساس تقديم بعض المناهج الدراسية بشكل مسرحي يعاون الطالب في تحصيل دروسه حيث يستوعب الطالب ما يدرسه بطريقة محببة الى النفس وبوسيلة افضل ترسخ في ذهنه المعلومات شكلا وموضوعا.وهذا النوع من النشاط المسرحي يفضل في المرحلتين الابتدائية والاعدادية وقد حقق نجاحا طيبا في مرحلته التجريبية في العام الماضي .

اما النوع الثاني فهو النشاط العام ويتضمن التطبيق العملي العام للانشطة المدرسية التربوية من خلال المسرحيات الدينية والاخلاقية والتاريخية والاجتماعية التي تقدمها جماعات التربية المسرحية ولا يقتصر هذا النوع على مرحلة معينة .

المبعوثون القطريون

وعـدت اسـال مدير الشئون الثقافية بوزارة التربيـة والتعليم :

● وماذا عن الانشطة التي تقوم بها ادارة البعثات نحو المبعوثين القطريين وما الخدمات التي تقدم لها ؟

ـ تولي دولة قطر البعثات الدراسية الخارجية للبلاد العربية والاجنبية الاهمية والعناية اللازمة بهدف اعداد الشباب القطري لكي يكون على مستوى الدراسات العليا في مختلف التخصصات ولمواكبة التطورات العلمية والتقنية على المستوى العالمي .

وتبدا جهود ادارة البعثات نحو رعاية وتوجيه المبعوثين من المرحلة الثانوية حيث يقوم وفد من المسئولين بالوزارة وبعض الوزارات الاخرى وجامعة قطر بزيارة المدارس الثانوية والالتقاء بطلابها وتوجيههم نحو الدراسات المفيدة والجامعات ذات المستوى الرفيع وترغيبهم

ثقافة أبنائنا من أهم أهدافنا في التعليم

● فزنا بـ ٢١ ميدالية في المعرض الدولي الثالث عشر لرسوم الأطفال بطوكيو

● التعاون الثقافي بين دول الخليج يهدف إلى توحيد السلم التعليمي والمناهج ونظم الامتحانات

بدراسة تخصصات تتطلبها المرحلة التنموية الحاضرة في قطر .

وبعد ظهور نتائج الشهادات الثانوية العامة تعلن ادارة البعثات عن خطتها للبعثات في الخارج والداخل .. وتقوم لجنة البعثات بتوزيع الطلاب على التخصصات المختلفة والبلدان في الخارج .

وبعد توزيع البعثات الجديدة تعقد الادارة ندوات للطلاب الموفدين للبلاد الاجنبية وخاصة الولايات المتحدة حيث يحضر الندوة الطلاب الجدد وبعض الطلاب القدامى وبعض الخريجين من امريكا ويفتح باب النقاش لمعرفة نظام التعليم وطريقة العيش هناك .

وتبقى الادارة على صلة مع الطالب لتقويم نتائجه وتتابعه من الايفاد حتى التخرج وفى كل صيف تصرف له تذكرة سفر الى قطر وتزوده بالتوجيهات اللازمة .

وتضم ادارة البعثات اقساما مختلفة منها قسم المنح والدورات التدريبية حيث يقوم هذا القسم بتقديم منح دراسية لابناء موظفى الدولة للدراسة فى الجامعات فى الخارج .. كما يقدم منحا دراسية للدول والهيئات الرسمية فى الخارج للدراسة فى مدارس قطر .

كما ان قسم الدورات التدريبية يقوم بايفاد موظفى الدولة والمؤسسات الرسمية فى دورات تدريبية فى الخارج .

ومن هنا نرى ان جهود ادارة البعثات فى رعاية وتوجيه المبعوثين تبدأ من المرحلة الثانوية وتستمر طيلة المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا حتى الدكتوراه .

المسابقات الثقافية

● وماذا عن المسابقات الثقافية التى تولونها الاهتمام ، ومتى تقام مثل هذه المسابقات ؟

ـ لم يقتصر اهتمام الوزارة على متطلبات التحصيل العلمى فقط ، وانما امتد إلى امور كثيرة منها تنمية الهوايات لدى الشباب وتوسيع مداركهم وثقافتهم سواء خلال العام الدراسى او خلال العطلة الصيفية .

ولما كان الاهتمام بالانشطة الثقافية هو اهتمام ببناء الانسان وتكوين بنيته الفكرية وبلورة شخصيته لذلك اهتمت الوزارة بالمسابقات الثقافية الطلابية للبنين والبنات حيث تشارك الوزارة بتقديم البرنامج الاذاعى « اوائل الطالبات » وتشارك فيه طالبات المرحلة الثانوية وكذلك البرنامج التليفزيونى « مسابقات طلابية » يشارك فيه طلاب المرحلة الاعدادية .. ويتضمن اسئلة فى بعض المناهج الدراسية واخرى ثقافية وعلمية وفنية متنوعة .

كما تقوم الوزارة بدور فعال فى تنمية المواهب الفنية لدى الطلاب واشراكهم فى المعارض الفنية الداخلية والخارجية ، وقد حقق طلابنا فوزاً كبيراً فى هذه المعارض وخاصة فى مجال الرسم واللوحات الفنية .

واود ان اشير هنا الى ان طلاب مدارس قطر قد حققوا نتائج طيبة فى المعرض الدولى الثالث عشر لرسوم الاطفال فى طوكيو عام ١٩٨٣ فقد شاركت الوزارة بعدد ٣٠ لوحة من رسوم تلاميذ وتلميذات المرحلتين الابتدائية والاعدادية فازت احدى وعشرون لوحة ، احداها بجائزة ذهبية ممتازة و ٣ بميداليات ذهبية و ٦ بميداليات فضية و ١١ بميداليات برونزية .

التربية المسرحية

● ولكن مما لاشك فيه ان التربية المسرحية تشكل جزءاً مهما فى تطوير الحركة المسرحية القطرية .. ما مدى اهتمام الوزارة بها ، وما الانجازات التى حققتها منذ انشائها ، وهل هناك اهتمام بمسرح العرائس ، وهل لديكم النية لانشاء مسرح خاص للاطفال ؟ .

ـ لاشك ان التربية المسرحية جهاز ثقافى تربوى تعليمى له بصمات ايجابية كثيرة فى خدمة الناحية التعليمية .. فمنذ انشائها عام ١٩٧٥ م وحتى الآن تقوم بدورها وتطور منهاج واسلوب العمل فيها سنة بعد اخرى وبالشكل التربوى الملائم والذى يتحقق معه الغرض المنشود منها كجهاز ثقافى يعمل جنبا الى جنب مع المدرسة لخدمة الطالب والارتقاء به علميا وتربويا وثقافيا ، وهذا يدعو الى اهمية دورها وبالتالى الاهتمام بها حيث تقوم الوزارة بتوفير كل ما من شانه الارتقاء بدورها وتوفر لها المختصين الذين يجمعون خبراتهم التربوية الى جانب خبراتهم الفنية فى مجال المسرح بصفة عامة والمسرح المدرسي بصفة خاصة .

اما عن الانجازات التى حققتها التربية المسرحية ومنذ انشائها فمن الانصاف ان نشير الى النجاح المشرف الذى تحققه كل عام من خلال العروض التربوية والتعليمية والتثقيفية التى يقدمها ابناؤنا الطلاب . فقد كان هناك اجماع من جانب المسئولين والمهتمين بالحركة المسرحية على نجاح التربية المسرحية كجهاز ثقافى يؤدى عملا تربويا تعليميا .

ومن ناحية اخرى فقد حققت التربية المسرحية نجاحا كبيرا عندما قدمت عروضها فى العام الماضى بدولة الكويت الشقيقة وذلك فى اطار التبادل الثقافى والتعاون بين دول المنطقة، وكذلك قدمت التربية المسرحية عروضا فى دولة الامارات العربية المتحدة، وقبلها قدمت عروضا فى سوريا وقد نالت هذه العروض اعجاب المسئولين فى هذه الدول مما دعاهم الى المطالبة بتطبيق التجربة القطرية باعتبارها تجربة فريدة من نوعها .

ومن بين هذه الانجازات ايضا انها تقدم للطالب المادة العلمية فى قالب فنى محبب

على خشبة المسرح يربط الطالب بالمدرسة وبالمنهج العلمي الذى يدرس له .. كما تعطى الطالب القدوة الحسنة من خلال اعمال تربوية مسرحية يقدمها الطلاب انفسهم وبذلك تجمع بين ثلاث وظائف فى وقت واحد التربية والتعليم والتثقيف .

وتطويراً للدور التربوى المهم الذى تقوم به التربية المسرحية فقد تم منذ سنتين ادخال نشاط مسرحى من نوع اخر هو مسرح العرائس الذى يعمل جنبا الى جنب مع المسرح الطلابى لتحقيق الاهداف التربوية .

ويعتبر مسرح العرائس الخاص بالتربية المسرحية أول مسرح من نوعه فى دولة قطر .

اما مسرح الطفل فحتى الآن نعتبر انه موجود فعلا فى نطاق العروض التى يقدمها الطلاب على خشبة المسرح أو تلك التى يقدمها .. مسرح العرائس . ولكن لم يسمح الوقت وان كنا نرى ان فى عروض التربية المسرحية ومسرح العرائس ما يفي بنفس الغرض فى الوقت الراهن .

تعليم الكبار

● اذن وماذا عن خطتكم بالنسبة لتعليم الكبار ومحو الأمية وماذا حققت الوزارة فى هذا المضمار وما الأسس التى يقوم عليها التعليم فى هذه الادارة ؟

ــ يمكن القول ان تجربة دولة قطر فى مجال تعليم الكبار ومحو الأمية تجربة مميزة وتبذل الوزارة جهوداً كبيرة فى هذا المجال لاتاحة فرصة التعليم لمن فاتتهم هذه الفرصة فى المدارس النظامية الصباحية .

وقد قررت الوزارة هذا العام افتتاح ١٦ مدرسة لمحو الأمية للنساء بالدوحة والمناطق ..

كما قررت افتتاح ٢٦ مدرسة ليلية ومركزاً لمحو الأمية بالدوحة والمناطق / للرجال / .

وقد بلغ عدد الدارسين والدارسات فى المرحلة الابتدائية فى العام الدراسى الماضى ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ الموافق ٨٢ / ١٩٨٣ م . ٥٧٥٠ دارساً ودارسة .

وفى المرحلة الاعدادية ٢٤٦٥ دارساً ودارسة .

وفى المرحلة الثانوية ١٣٩١ دارساً ودارسة .

اما الأسس التى يقوم عليها التعليم فى ادارة تعليم الكبار ومحو الأمية فتستند الى مرتكزات التربية الثلاثة فى منطقة الخليج وهى : المرتكز العربى والمرتكز الاسلامى ومرتكز البيئة الخليجية .

التعاون الثقافى الخليجى

● وماذا ايضا عن التعاون التربوى والثقافى القائم بين دول مجلس التعاون الخليجى ؟

ــ التعاون التربوى والثقافى بين دول مجلس التعاون قائم سواء كان ذلك على المستوى الثنائى وهو ما تنظمه الاتفاقات الثقافية أو على المستوى الجماعى وهو ما ينظمه مكتب التربية العربى لدول الخليج العربية والذى حقق انجازات عظيمة فى هذا الشان .

وبالاضافة الى ذلك فهناك تنسيق بين دول المجلس فى مجال التعاون الثقافى الدولى مع منظمة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

ويهدف التعاون الثقافى بين دول المجلس الى تهيئة المناخ الملائم لتنشيط التفاعل التربوى والثقافى بين دول المجلس عن طريق تبادل الكتب والمطبوعات والبحوث والوثائق التربوية .. وتبادل الزيارات واللقاءات الودية بين الفرق الشبابية وتنظيم الرحلات العلمية والثقافية وتنسيق الجهود فى مجالات التاليف والنشر واحياء التراث الاسلامى والتعاون فى مجالات المكتبات الوطنية والمدرسية .. وكذلك الى توحيد السلم التعليمى والتقريب بين اسس المناهج ونظم الامتحانات ووضع نظام موحد لمعادلة الشهادات .

وتاتى هذه الاتفاقات تاكيداً للمبادىء والأهداف التى نص عليها النظام الأساسى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية . واستمراراً لسياسة توطيد التعاون بين الأجهزة التربوية فى دول المجلس فيما يعود بالخير على الجميع ..

المكاتب الثقافية

وهنا قلت لعبد الرحمن نعمة جابر مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم :

● ما هو الدور الذى تقوم به المكاتب الثقافية فى الخارج وما حققته حتى الآن من خطط واهداف ؟

ــ يقوم السادة الملحقون الثقافيون بترشيح الطلاب لأفضل الجامعات فى البلاد التى يعملون فيها لايجاد قبول لهم وتقوم سفارات قطر فى الخارج بهذه المهمة فى البلاد التى لا يوجد بها ملحق ثقافى .

وانتهز هذه الفرصة لاعرب عن شكرى وتقديرى للسفراء القطريين فى الخارج لما نلقاه منهم من تعاون كامل ومثمر فى هذا الصدد .

ويوجد لدولة قطر ملحقون ثقافيون فى كل من الرياض وبيروت ودمشق ودولة الامارات العربية المتحدة والاردن والقاهرة وباريس ولندن وايرلنده وواشنطن .

وتقوم مكاتب الملحقين الثقافيين باستقبال الطلاب ومساعدتهم فى الانتظام بدراستهم وتغطية الرسوم الدراسية والتامينات المختلفة ، ودفع مخصصاتهم الشهرية ومتابعة نتائجهم السنوية وحل مشاكلهم مع الجامعات مباشرة او عرضها على الوزارة للبت فيها وابداء الراى .

وبتوجيهات من سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم تعقد الوزارة اجتماعا سنويا بالدوحة للملحقين الثقافيين لدولة قطر فى الخارج بهدف تدارس امور المكاتب الثقافية والطلاب المبتعثين فى الخارج على الطبيعة علما بان الاخوة الملحقين الثقافيين يقومون بكل طاقاتهم لخدمة الطلاب القطريين المبتعثين وغير المبتعثين .

الثقافة الصحية

● وما دور ادارة الصحة المدرسية فى مجال الرعاية الصحية والثقافة الصحية ؟

ــ ايمانا باهمية التكامل التربوى والصحى وانطلاقا من ان الطالب السليم صحيا اكثر قدرة على الاستيعاب والتحصيل فقد حرصت وزارة التربية والتعليم على دعم وتطوير جهازها الصحى المدرسى بمختلف السبل .

وقد ساعد كل ذلك على ايجاد برنامج صحى مدرسى متكامل ، وتطورت الخدمات الصحية المدرسية من مجرد خدمة تتاح للمرضى من التلاميذ الى رعاية صحية شاملة تستهدف الاصحاء منهم بهدف رفع مستواهم الصحى بالاضافة الى العناية التامة بالمرضى منهم .

وتشمل برامج الصحة المدرسية برنامج تطوير البيئة المدرسية بهدف وقاية التلاميذ من التعرض للاخطار الصحية مثل الحوادث والامراض المعدية واعداد برنامج متكامل فى التربية الصحية المدرسية يستهدف غرس وتنمية السلوك الصحى القويم بين التلاميذ والتركيز على الخدمات الوقائية من خلال احكام الرقابة الصحية على ما يقدم للتلاميذ من طعام بالمقاصف والتوسع فى برامج التحصين .

يوسف الحرمى



الجدارية الكبيرة التي قام بها الفنان في مستشفى دبي ، وتبين طريقـة الطب القديم في الخليج والطب الحديث بادواته المعاصرة .. وقد احاط رسوماته بايات من القرآن الكريم .



فنـــان من الإمارات

يبدع في الكتابة بالخط العربي على جدران مسجد بالهند

الفنان العربي محمد مندى

بقلم : يوسـف احمـــد

سيظل الفن الاسلامى وتاثيره الى ما شاء الله فى بقاء واستحداث مدارس فنية حديثة .. سيقف شامخا بين المدارس الاوروبية الحديثة التى دخلت على ثقافتنا وتاريخنا القومى ، كما دخلت غيرها من الفنون نتيجة لغرابة هذا العصر السريع الهش !

سيصمد فننا الاسلامى متحديـــا تلك المدارس التى افرزتها مجتمعات اوروبا نتيجة لظروفها البيئية والنفســية والاقتصادية ، وسيكون للتجـــارب والدراسات الجادة فى مختلف معاهد الفنون العربية شأن كبير فى الرجوع الى المنابع الأصلية للفن الاسلامى ، إذا ما اولت هذه المعاهد كل اهتمامها للتراث الاسلامى بعناصره التشكيلية القيمة وفى مقدمتها الخط العربى الذى يعتبر المحور الاساسى الذى قام عليه الفن الاسلامى بجميع أشكاله وانماطه سواء فى الفنون الجميلة او التطبيقية .

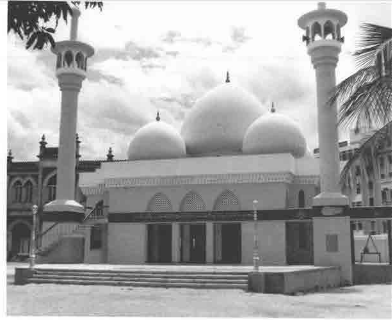
فالكتابة العربية التى تتميز بحـروف طيعة ولينة فى تعاملها مع الخطاط ، هى بالطبع طيعة فى تعاملها مع الشعوب التى اتخذت من اشكال الكتابة العربية منهجا ثقافيا لها ، والذى عزز ذلك اتخاذهـــا الاســلام دينــا تهتدي به ، فكــان ان ابتدعت هذه الشعوب خطوطا خاصة بها مثل الخط الفارسي ، والنسخ تعليق .

وفى خضــم هــذا العصر بـدات الاكاديميات العربية تتناسى هذا الفن الجميل ، ولولا وجود بعض المعاهد المتناثرة على خريطة الوطن العربى لانتهى هذا الفن منذ زمن بعيد ..

ولقد مس الاهتمام الشخصي للخط العربى **الخطاطين** العرب **المتناثرين** هنا وهناك ، وكان فناننا هذا واحدا من هؤلاء المهتمين بهذا النوع من الفن الرفيع ، واستطاع هذا الفنان واسمه محمد مندى



المسجد من الداخل ، وقد زينت جدرانه ايات من القران بخط الفنان محمد مندي



مسجد « كيرلا » بالهند وعلى واجهته خطوط فنان دولة الامارات العربية المتحدة ..



جانب من داخل مسجد « كيرلا » في الهند .. ونرى على جدرانه خطوط الفنان

ـوهو من دولة الامارات العربية المتحدة ـ ان يتعلم الخط العربي منذ صغره نتيجة لتقليده لاحد افراد اسرته وتقليده للافتات المعلقة على واجهة المحلات فى الاسواق القديمة ، واستهوته تلك الهواية فعقد العزم على دراستها دراسة اكاديمية ، وذهب فى بعثة من قبل دولة الامارات العربية المتحدة الى القاهرة ليطلع لاول مرة على كتب الخط العربى ومنها « الخط وقواعده » لسيد ابراهيم » وقواعد الخط العربى » للخطاط العراقى الراحل هاشم البغدادى و « بدائع الخط » للمهندس المعمارى ناجي زين الدين و « القصيدة النونية » لفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي ..

وهنا تفتحت عينا الفنان على تلك الابداعات ، وتعلق بأسلوب استاذه الفذ الخطاط سيد ابراهيم ، الذى اخذ بيده ليوصله الى الطريق الصحيح مع عالم الخط العربى واشكاله وقواعده المتنوعة ، واخذ فناننا يتعمق مع استاذه عن طريق التقليد والتكرار ، من أجل الالمام بكل ما خفي من تفاصيل ..

هكذا عاش فناننا اربع سنوات فى هذا الجو ، حتى حصل على شهادة مدرسـة تحسين الخطوط من القاهرة بدرجـة امتياز وكان ترتيبه الاول على دفعته التى ضمت مجموعة كبيرة من الطلبة العرب .

وعـاد الفنـان الى ابو ظبي وفي ذهنه افكار ومشاريع عديدة يمكن عملها عن طريق الخط العربى وتشكيله ، وكان اول هذه المشاريع التى قام بها هى عمل جدارية كبيرة لمستشفى في دبي وتبين هـذه الجدارية طريقة الطب القديم الذى كان يزاول فى الخليج العربى والطب الحديث بادواته المعاصرة ، وزين هذه الجدارية من جهاتها الاربع بايات من القران الكريم تبين مدى انتفاع الانسان بالطب القديم ومواصلة البحث عن كل اسباب الامراض والتصدى لها .

ولم يحدد فناننا نشاطاته فى دولـة الامارات ، بل تعداها الى مناطق عديدة من بينها الهند حيث كلفه احد ابناء الخير بعمل كتابات حول المسجد الذى اقامه فى مدينة « كيرلا » هناك ، وقام الفنان بالكتابة على هذا المسجد بانواع الخط العربى المعروفة الثلث والديواني والفارسي ، وجاء عمله هذا ابداعا متميزا فى الخط العربى .

وقد كان لفناننا بعض المحاولات فى الرسم الزيتي ، تعبر عن موضوعات شعبية مثل مناظر الجمال والنخيل ومراكب الصيد معالجا اياها باسلوب تاثيرى بسيط ، يجعلك تعيش مع العادات والتقاليد وتتفاعل معها من خلال تاثير اللون والشكل ومعالجة الموضوع .

بسم الله الرحمن الرحيم



نتيجة مسابقة تصميم شعار "مركز التراث الشعبي"

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ان يعلن عن نتيجة مسابقة تصميم الشعار حسب الشروط والمواصفات المعلن عنها سابقا .

● تقدم للمشاركة في هذه المسابقة الفنية اربعة وستون متسابقا من انحاء الوطن العربي .

● شكلت ادارة المركز لجنة تحكيم للنظر فى التصاميم الفنية المشاركة ، كان من بينها الفنان التشكيلي العربي جمال قطب والفنانين التشكيليين القطريين جاسم زيني ومحمد علي عبد الله .

● وقع اختيار لجنة التحكيم على تصميم فني مميز اجتمعت فيه اغلب الشروط والمواصفات المعلنة ، واحتوى على اقرب الدلالات الفنية المراد التعبير عنها في الشعار المطلوب .

● صاحب الشعار الفائز هو السيد / فؤاد الشبيني ، فنان تشكيلي من جمهورية مصر العربية تخرج عام ١٩٦٤ من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية تخصص فنون زخرفية ، عمل بالتليفزيون العربي بمصر كمهندس ديكور ، ثم انتقل عام ١٩٧٠ للعمل بدولة قطر كمهندس ديكور ومصمم رسوم بالتليفزيون القطري ، وقد سبق له أن صمم شعار دولة قطر وشعارات البلدية والتليفزيون والاذاعة .

● يرمز الشعار الفائز الى المكونات الاساسية للتراث الشعبي في البيئات الاجتماعية الثلاث : البرية ، البحرية ، والزراعية وهو عبارة عن هيكل للبيت الشعبي فى طرازه الاسلامي الخليجي القديم ، حيث تمثل فنون العمارة والزخرفة جانبا مهما في التراث المادى لهذه المنطقة ، كما يعتبر البيت الخليجي اقوى رمز لوحدة الأسرة فى مجتمعنا منذ القدم . كما ضم الشعار شكلا هندسيا دائريا يرمز الى اللؤلؤة كما يرمز الى الشمس ، وكلا الدلالتين تحملان معان خيرة من بيئة الخليج . فالشمس رمز النور والاشعاع وقوة الطبيعة التى ساعدت الانسان بالبيئة الزراعية فى ابتكاراته واعماله اليومية . كما أن اللؤلؤة عنصر من عناصر الخير الذى دفع ابناء البيئة البحرية الى ارتياد المجهول والأخطار للحصول عليها من اجل لقمة العيش والكسب الحلال . إن ابرز ما فى الشعار هو (المرش) . وهو الاناء الخليجي الجميل الذى لا يخلو منه بيت لرش ماء الورد فى مناسبات الفرح واكرام الضيف ، وهو يحمل دلالة الفرح والخير والطيب ، وهو كشكل زخرفي يشكل عنصر ربط لجميع البيئات التى استخدمت المرش لمناسبات موحدة منذ اقدم العصور ، ويتميز الشعار الفائز الى جانب ذلك بثلاثة الوان رئيسية شائعة ومنظورة فى البيئة هى لون الماء والسماء والذهب موزعة بشكل مناسب . لذا وجدته اللجنة شعارا مناسبا جديدا فى فكرته وغير مكر ر .

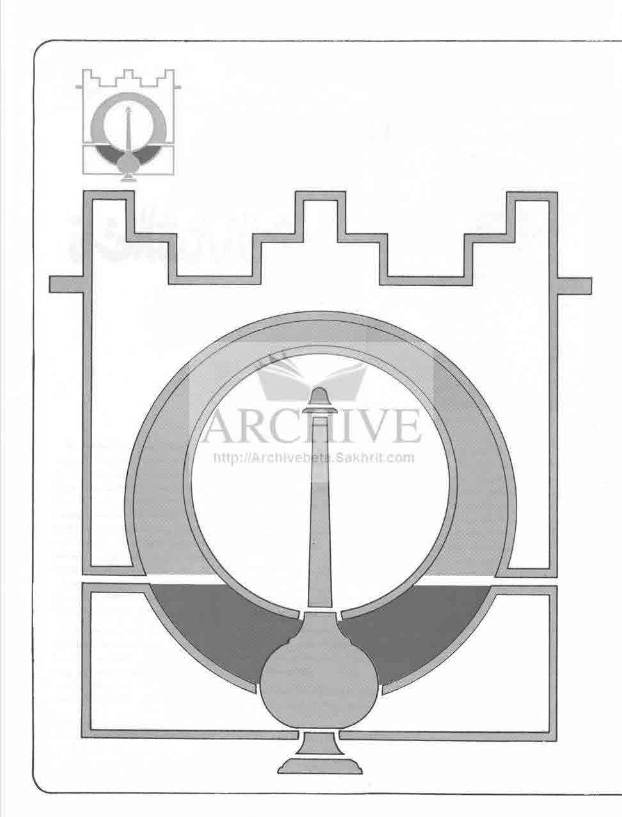
● تفضل سعادة الاستاذ / عيسى غانم الكوارى ، وزير الاعلام بدولة قطر ، ورئيس مجلس ادارة مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية باعتماد التصميم الفائز شعارا رسميا للمركز يعبر عنه ويدل عليه .

● يتقدم مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية بالتهنئة الى الفنان / فؤاد الشبيني لفوز تصميمه في هذه المسابقة الفنية ، ويدعوه الى الاتصال بوحدة الشئون الادارية والمالية لاستلام الجائزة المقررة ، كما يسر المركز ان يتقدم بخالص الشكر والتقدير الى كل الفنانين الذين تقبلوا دعوته وبادروا الى تلبيتها متجشمين عناء المشاركة ، ونخص منهم بالذكر الفنانين :

١ ـ السيد / زكريا يوسف أحمد ـ قطـــر
٢ ـ السيد / جون لوباجو استيفن ـ السودان
٣ ـ السيد / طه محمود احمد مراد ـ مصـــر
٤ ـ السيد / أحمد حسين يحيى ـ مصـــر

الذين كانت اعمالهم محل تقدير واعجاب لجنة التحكيم بعد التصميم الفائز .

● يحيى مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية الجهد الفني الرفيع الذى بذله اعضاء لجنة التحكيم ، ويقدر اهتمامهم البالغ وحرصهم الدقيق فى فرز التصاميم واختيار الشعار المناسب .



بقلم : جمال قطب

ذات الشعر الأحمر



هكذا رسم الفنان - تولوز لوتريك - نفسه (١٨٦٤ ـ ١٩٠١)

كان شخصية مثيرة ، يمزق اقنعة البشر .. ويرسم الانسان على سجيته دون زيف او افتعال ، تنقض خطوطه كالصواعق .. وينثر الوانه على لوحاته في عصبية لاذعة المذاق .. في عام ١٨٩٣ اقام (تولوزلوتريك) معرضا خاصا لاعماله .. وانتقى من مئات اللوحات التي رسمها في سرعة جنونية ، ثلاثين لوحة تمثل ـ في معظمها ـ حياة الناس وعوالم البيوت المغلقة البائسة التي كانت تزخر بها باريس .. وقوبل المعرض بالحماس والترحيب ، وكتب اشهر النقاد الفرنسيين في مجلة الفنون الجميلة انذاك يقولون :

« اننا منذ زمن طويل لم نلتق بفنان له من الموهبة الفذة مالدى فناننا تولوز لوتريك وربما كان سر استاذيته أنه يجمع على وفاق بين ملكتين متكاملتين ، هما نفاذ التحليل النفسي الى اعماق شخصياته ، وسيطرته التامة على وسائل التعبير » .

كان تولوز .. يعيش في بوهيمية وتشرد وفوضوية غريبة .. افنى حياته القصيرة كمن يعتصرها اعتصاراً بين الانتاج المتدفق وحياة الفوضى الغريبة في حي (مونمارتر) الاسطوري !

كان كثير التردد على هذا الحي ولا يسمع بمغن جديد فيه حتى يهرع اليه محاطا بحاشيته ، ووجدناه في عام ١٨٨٩ .. عندما كانت باريس تحتفل بافتتاح برج إيفل ، كانت مونمارتر (حي الفن في العاصمة الفرنسية)

ومن يومها .. لم يبرحه الفنان ، فقد وجد فيه نماذجه التي شغف بها واوقف فنه على تسجيلها في لوحاته . ولم يدخر سكان الحي وسعا في إغرائه وتشجيعه بشتى الوسائل ليطيب له المقام بين اروقته وفي دروبه المليئة بالنماذج الانسانية .. وبفضل لوحاته ومعارضه عن ملهماته الشهيرات من فتيات حي مونمارتر ، صارت بعض اماكن هذا الحي تملأ اسماع اوروبا كلها .. بل لقد سجل في التاريخ كعلامة بارزة في ابداعات الفنان العالمي الكبير .

وربما كانت حياة الصعلكة هذه شيئا منطقيا مع طبقة الفنانين البائسين من الفقراء ..

ولكن الامر يختلف بالنسبة لفناننا .. اذ أن اباه هو الكونت الفونس دي تولوز لوتريك ، وامه الكونتيسه اديل من اعرق الاسرات الارستقراطية .. وكان هو ابنهما الوحيد المدلل ولكنه نشا قزما ضعيف البنية الى حد الهزال .. وحدث وهو في سن الثالثة عشرة ان زلت قدمه فسقط على الأرض وتهشمت عظمة فخذه اليسرى .. وبعد نحو عام وقع ـ من فرط هزاله ـ مرة اخرى فتهشمت عظام فخذه اليمنى .. وبعد علاج طويل يئس الاطباء من شفائه ، ظل لوتريك قعيد البيت منزويا عن اعين الناس . ولكن .. سرعان ما تبدل الى انسان جديد ثار على انطوائيته وتحول من النقيض الى النقيض .. انكب على الرسم والقراءة وتعلم اللغات .. واحب السفر والترحال .. بل وتولد فيه حب الزعامة والسيطرة والتمرد على الواقع والسخرية من كل شيء حتى من نفسه !

ومن هذا المنطلق .. ولاحساسه بان حياته قصيرة ، نراه وقد استهلكها بسرعة جنونية .. وصارت مغامراته على كل لسان ..

ونلاحظ في هذه اللوحة (ذات الشعر الأحمر) اسلوبا يميل الى التاثيرية .. خلافا عما عرف به تولوز لوتريك في اعماله الفورية الساخنة .. ولكن الفنان قد جمع بين الاسلوبين بثقة واستاذية هو جدير بها .. كاحد شوامخ الفن في التاريخ .



ذات الشعر الأحمر : لوحة للفنان العالمي : تولوز لوتريك : رسمها عام ١٨٨٩

نـادية يوسـف

خطـر اجتـماعي جديـد يهـدد العـالم الحديـث :

أطفال مفتاح الشقة!

تقول المجلة .. إن مفتاح الشقة في الزمن القديم .. كان من المحرمات التي يجب اخفاؤها عن اعين الأطفال .. وحتى النسخة الزائدة منه كنا نجتهد في ان نخفيها ربما تحت وسادة في حجـرة نومنا او فوق رف بعيد في الحمام .. ولكن مفتاح الشقة فقد مكانته في السنوات الأخيرة .. واصبح من المناظر المألوفة .. رؤية مفتاح الشقة مربوطا بسلسلة معدنية او قطعة من الدوبارة المتينة وملفوفا حول رقبة اطفال المدارس فيما بين السابعة فما فوقها .. وذلك زيادة في الحذر .. وحتى لا يتوه مفتاح الشقة في زحمة الكتب والادوات المدرسية ..

نماذج للمشكلة

واليك عدد من نماذج « اطفال مفتاح الشقة » :

هيثر .. طفلة في العاشرة .. من هؤلاء اللاتى تعمل امهاتهن خارج المنزل ..

تقول : إنني اعود الى المنزل مبكرة عن والدي بما يوازي اربع ساعات تقريبا .. لذلك فقد سمحت لي امي ان احمل مفتاح الشقة حول رقبتي منذ عامين فقط .. احيانا احس بنوع من الملل لأن المنظر الذي اراه يوميا وانا ادير مفتاح الشقة في « كالون الباب » لا يتغير .. لا احد يستقبلني بترحيب سوى كلبي الصغير الذي يهز ذيله طربا عندما يراني .. بفتور القي الكتب على منضدة صغيرة موجودة بالصالة .. ثم اخلع ملابس المدرسة .. لاتجه راسا الى المطبخ .. يا الهي حكاية كل يوم .. حوض مليء بالأطباق .. علي ان اغسلها كلها اولا .. ثم اقوم باعداد الطعام لوالدي المتعبين .. احيانا يكون لدي الوقت الكافي لمداعبة كلبي الصغير .... جبرا لخاطره فقط .. احرص على الا تستغرق مداعبته وقتا طويلا .. فامرر ضفيرتي الشقراوتين على

عرفت كل الأسر في جميع انحاء العالم .. ظاهرة جديدة .. بدت ملامحها مع خروج المراة الى العمل .. ونقصد بها السماح لأطفال المدارس « بحمل مفتاح باب الشقة » حتى يستطيعوا الدخول الى المنزل والجلوس فيه لمدد تتراوح بين ساعتين واربع ساعات لحين عودة احد الوالدين من العمل ..

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل يدعو الى التفكير فيها حتى أن بعض الولايات الامريكية استحدثت تسمية جديدة لهؤلاء الأطفال وهي « طفل مفتاح الشقة » .. وهذه التسمية إن دلت على شيء فهي تدل على انتشار هذا النوع من الاطفال .. في جميع انحاء العالم .. مما دعا احدى المجلات النسائية في امريكا وهي مجلة « المراة الجديدة » الى بحثها ومناقشة كل المنغصات والمتاعب التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال ..



يظل الاطفال وحدهم في البيت بدون رعاية .. يقضون وقتهم في محاولة صنع اي شيء .. وتظل اذانهم طوال الوقت في انتظار صوت مفتاح الباب الذين يعلن دائما عودة احد الابوين

انفه .. واتركه لانجز اعمال المنزل .. وعلى شفتي اغنية احبها كثيرا .. كنت قد سمعتها من اعضاء فريق الكشافة بالمدرسة .

اقول لكم الحق ـ الكلام ما زال لهيثر .. طفلة العاشرة ـ انا لا اريد ان اضيع وقتي في اللعب .. ليس لانني لا احبه .. ولكنني اريد ان يشعر والداي بالانبساط والسرور عندما يعودان من عملهما .. فمنظر البيت المرتب والاطباق المغسولة .. والطعام المعد .. يشعرهما بالفخر .. وانا احس به من نظرتهما إلي ..

وهيثر .. « طفلة مفتاح الشقة » .. تستطيع ان تعد كل انواع الطعام من اللحم « الرستو » الى المكرونة الاسباجتي .. وتفضل ان تطهو طعام الاسرة بطريقة جديدة كل يوم .. وخصوصا «الهامبورجر» والدجاج المحمر مع الصلصة البنية ..

ولكن هيثر .. ليست النموذج الشائع بين اطفال « مفتاح الشقة » .. فهناك « بوبي » .... ٨ سنوات .. هو ايضا يعود من المدرسة الى منزل خال تماما .. ولكنه لا يشارك هيثر كل صفاتها من حيث الاعتماد على النفس والتعاون مع والديها .. بصدق شديد.يصف مشاعره :

إنني احس بالخوف الشديد عندما اعود الى البيت حتى وصول امي اليه بعد ثلاث ساعات كاملة ..

وبوبي يلقي بحقيبة المدرسة على مائدة المطبخ .. ثم يدير ازرار التليفزيون .. ويرتمي على مقعد امامه .. ثم يغير القنوات ثم يعود لاغلاق الجهاز .. ليذهب الى المطبخ .. ليضع كتبه وكراساته على المنضدة .. كما لو كان يستذكر بالفعل .. ثم لا يلبث ان يتسلل الى البدروم حيث يظل هناك واذناه مع مفتاح الباب .. حتى يحضر احد والديه .. فيجري الى المطبخ ويتظاهر باستذكار دروسه ... ! !

والمشكلة ليست مشكلة هيثر او بوبي وحدهما .. ولكنها مشكلة ملايين الاطفال فيما بين السادسة والثالثة عشرة .. انهم يظلون بدون رعاية والديهم لفترات طويلة .. لقد عرفوا جميعا مكان النسخة الزائدة من مفتاح الباب .. وبموافقة والديهم .. عرف هذا المفتاح كيف ياخذ طريقه الى رقبة هؤلاء الصغار دون استعداد نفسي لهذه المهمة الخطرة ..

إن بعض هؤلاء الاطفال مثل « هيثر » وهم عدد قليل جدا .. استطاع بتدريب منذ الصغر على تقدير المسئولية والاعتماد على النفس .. بل إن غياب والديهما اعطى فرصة للتدريب على بعض مسئوليات الأسرة واعبائها ..ولكن اطفالا اخرين امثال بوبي يشعرون طوال الوقت .. بالخوف او في احسن الاحوال بالوحدة والاهمال من جانب والديهم ..

وفي لقاء مع اكثر من طفل من « اطفال مفتاح الشقة » اكتشفت « لا نيت لونج » وهي استاذة التربية بكلية « لويولا » الامريكية ان هؤلاء الاطفال .. يخافون بشكل علم من الظلام والنار والاهمال ايضا .. والمؤسف حقا ان كل هؤلاء الاطفال يحاولون اخفاء مشاعرهم عن والديهم ...

متظاهرين بالشجاعة الكاذبة .. فمثلا بوبي يقول : « عندما تصل امي استطيع ان اعرف ذلك من صوت ادارة المفتاح في «طبلة» الباب .. اتسلل على اطراف اصابعي الى المطبخ .. وانتظاهر بالاستذكار .. »

لماذا يفعل بوبي ذلك ؟ ..

يقول هو : « اسمع امي تردد عبارة واحدة كل صباح .. فتقول وهي على مائدة الافطار .. تبتلع بضع لقيمات وهي واقفة .. إن رئيسي سيفصلني اليوم بسبب التأخير » .. وعندما تعود من عملها .. تحكي لأبي ماذا فعل بها رئيسها في العمل .. حتى انني كثيراً ما اتخيل رئيسها هذا .. انسان متوحش واتعجب من شجاعة امي .. لانها تذهب الى العمل كل يوم رغم ان هناك وحشا يهددها كل يوم بالفصل ..

ويتساءل بوبي .. هل بعد كل الذي تتحمله امي من اجلنا .. تاتي الى المنزل لاحكي لها عن خوف من وجودي بالمنزل بمفردي ؟ .. لا استطيع وخاصة انها تشعر دائما بالذنب ناحيتي .. فتقول لي قبل ان تنزل كل صباح : انا حزينة لانني ساتركك وحدك بالمنزل ثلاث ساعات .. وحزينة اكثر لانني ساذهب الى العمل رغم انفي ..

والعكس تماما .. يحدث مع هيثر .. إن والدتها ليست مطمئنة فقط لكونها اعطت المفتاح لابنتها .. لكنها دائما تردد .. على مسمع من افراد اسرتها وخاصة هيثر .. ماذا تم في العمل من تقدير الرؤساء لها واعجاب زملائها بها .. ولكن هيثر بفطنتها .. تعرف أن والديها تصادفهم اياماً حلوة واخرى ليست على ما يرام .. تماما مثلما يحدث في مدرستها .. اما زوج امها .. فدائما يقول : إن الأيام لابد وان تاتي يوما بما نشتهي .

إن هيثر ـ في رايي ـ تعد نموذجا فريداً لأطفال المدارس الذين يحملون مفاتيح لمنازلهم .. انها نموذج لا يتكرر .. ذلك لأن معظم الأطفال يشعرون بحنق شديد تجاه هذا المفتاح الذي يلتف حول رقبتهم .. انهم يلجاون الى طرق ليست جيدة تماما .. مع شلة من الاصدقاء .. او انهم في احسن الاحوال يقفون بلا هدف في الشوارع الرئيسية .. اكثر من هذا فانهم يقعون فريسة لعوامل خارجية منها تعرضهم الدائم للانحرافات الملخصة في امرين : إما تعاطي انواع المخدرات او المعاناة النفسية المتنوعة .. وتعد اتلانتا وبرمنجهام وميتشجان من اكثر الولايات التي يتعرض فيها الأطفال لحوادث مختلفة في اعمار مختلفة .. ولسوء الحظ .. ان هذه الحالات لا تتحسن بمرور الوقت ..



قالت التقارير ان ٢٠ فى المائة من اطفال مفتاح الشقة يحملون فى صدورهم مشاعر الخوف

المفتاح وعدم الأمان

إن التقارير المطولة .. تقول إن ٢٠٪ من هؤلاء الأطفال يحملون فى صدورهم مشاعر الخوف .. وفي بعض الحالات يحول عدد من هؤلاء الأطفال وخصوصا صغار السن الى العيادة النفسية .. لقد افضى احدهم الى طبيبه المعالج .. بكل ما يؤرقه من مشاعر مضطربة .. عبر عنها ابلغ تعبير حين قال : إن امي تتركني مع اخي الاكبر .. انها تفترض انه يقوم برعايتي اثناء غيابها .. ولكنه مشغول دائما بتدريبات « كرة السلة » .. وحتى لو ذهبت اليه في النادي لاقول له إنني خائف من وجودي

بالمنزل وحدي .. ينهرني قائلا : انك صبي في السابعة من عمرك .. كيف تخاف ؟ .

لذلك .. فانه من الطبيعي .. ان الاغلبية العظمى من الأطباء والخبراء النفسيين .. يقفون ضد هذه الظاهرة .. ويؤكدون ان التفاف المفتاح بسلسلة حول رقبة الصغير .. يخلق نوعا من عدم الامان .. كما يشجع على العزلة التي تعوق الطفل عن نموه الاجتماعي السليم .. ولكن الأمر ليس بهذا الحسم في كل الأحوال .. إن هذه الظاهرة يمكن ان يكون لها من الجوانب الايجابية اكثر من السلبية .. فهى تخلق من الطفل شخصا يعتمد عليه .. وعلى كل حال فان تقبل الطفل لوجوده بمفرده في المنزل يعتمد كثيراً على سن الطفل .. ونوعية الجيران المحيطين به .. ودرجة نموه النفسي والاجتماعي .. وعلى سبيل المثال .. فان طفل الثالثة عشرة .. قد يكتسب من وجوده بمفرده خبرات نافعة .. تفيده في نضجه العاطفي ونمو شخصيته .. ولكن ابن الثامنة .. اعتقد انه لن يكون مستعداً للاستفادة من هذه الخبرات .. والمهم في كل هذا .. هو نوع العمل الذي يكلف به الطفل حسب قدراته وسنوات عمره .. فاذا كان فوق هذه القدرات حتما سيفشل الطفل .. اما اذا كان مناسبا لها فان النجاح سيكون حليفه .. وسيدعم هذا النجـــاح ثقتـــه بنفسه .

إن هذه الظاهرة .. ترتبط اساسا بظروف كل طفل على حدة .. إن هيثر .. النموذج الفريد للاطفال الذين يحملون مفتاح الشقة تساعد والديها على انجاح نظام « مفتاح الشقة » .. بحيث لا يمثل بالنسبة لها اية مشكلة .. فمثلا نرى هيثر غير مسموح لها بالرد على جرس الباب .. عندما يكون الابوان بالخارج .. كما انه غير مسموح لها ان تستقبل زوارا حتى لو كانوا من صديقاتها بالمدرسة .. وبالمثل فانها لا تستطيع الخروج للعب في النادي حتى ياتي أبواها من الخارج .

ورغم انها قوانين صارمة بالنسبة لطفلة مثل هيثر .. الا ان الفتاة تعرف ان هذه الممنوعات وضعت خصيصا لحمايتها .. وهي تقول مؤكدة : الى جانب ما اقوم به من اعمال المنزل والواجبات المدرسية .. فانا اقضي ما تبقى من وقت في التريكـــو والبرودريه والكورشيه وأحيانا انشغل في قراءة كتاب حتى يعود احد والدي ..

إن موقف هيثر الفتاة النموذجية .. لا يمنع ابواها من الشعور بالذنب .. لانها كثيراً ما تهرع الى الجيران الموثوق بهم .. عندما ينقطع التيار الكهربي من المنزل .. او تسمع صوت المطر والرعد ..

اثبتت الدراسات العلمية ان مشكلة ترك الاطفال بمفردهم في البيت تؤدي الى العزلة التي تعوق الطفل عن نمـــوه الاجتماعي السليم

وعلى العكس من ذلك .. فان أسرة بوبي .. يعيشون وسط جيران من الغرباء .. انهم لا يعرفون اسماءهم فحسب .. ولكن وجوههم ايضاً غير معروفة تماما لهم .. بالاضافة الى ان المنطقة التي يقطن فيها بوبي .. تعاني نسبة عالية من الجرائم .. انها الحقيقة التي ترعب والدة بوبي .. وتعتبرها السبب في مخاوف طفلها ..

الوحدة القاتلة

إنه امر مرعب حقا .. تقول والدة بوبي : ولكن ماذا افعل وانا مشغولة تماما .. بمشكلة عدم انسجامي مع العمل لدرجة انني لا استطيع ان اتعهد مخاوف بوبي .. انني اتجنب حتى مجرد سؤاله اسئلة صريحة عما يفعل عندما لا اكون بالمنزل .. كما أن ميزانيتنا لا تسمح باحضار « بيبي سيتر » للجلوس معه .. لاننا نريد شراء اشياء كثيرة في المنزل .. مثل غســالة اتوماتيكية للاطباق .. إن بوبي رغم كل شيء من الاطفال المحظوظين .. لا يشبه اطفالا كثيرين على الاقـــل ، فمخـــاوفه ننظر اليها بعين الاعتبار ..

وتقول طفلة لمفتاح الشقة «سابقة» وعمرها الآن ٢٨ سنة .. عندما كنت اعود من المدرسة الى المنزل الخالي .. اشعر انني يائسة .. لقد كنت في الخامسة عندما قررت امي أن تعمل نصف الوقت ، كجليسة للاطفال .. بينما اجلس انا مع جدتي في المنزل .. وكم كنت اشعر بالغيرة الشديدة .. لمجرد احساسي بان امي تداعب طفلة اخرى في بيت اخر .. بينما اجلس انا في انتظار حضورها كل يوم ... ولكن عندما تغير العمل بعد ذلك الى ممرضة في المستشفى ثم سكرتيرة .. خفت مشاعر الغيرة الى حد كبير لتحل محلها مشاعر الوحدة القاتلة .. لان امي تغيب عن البيت طوال اليوم .. وعندما كانت كاندي ـ وهذا هو اسمها ـ في التاسعة .. ماتت جدتها التي كانت تقوم بدور « البيبي سيتر » وتصف كاندي مشاعرها قائلة : كنت ارتعد من مجرد وجودي بالمنزل بمفردي خوفا من ظهور شبح جدتي .. لان موتها كان صدمة قاسية لي .. ايضا كانت وفاتها اول تجربة لي مـــع فكـرة الموت .. لم اكن اعـــرف كيف اتقبل فكرة اختفائها او اتلاءم معها .. وعلى سبيل المثال عندما كنت اريد الذهاب الى الحمام .. كنت امسك نفسي بالساعات لانني قد تعودت ان اذهب اليه مع جدتي العزيزة ..

الصراحة في المناقشة

وعلى كل حال .. ومهما كان الامر .. فان هذه حال الاطفال الذين ينتمون لآباء من طبقة اجتماعية متوسطة .. يكدح فيها الابوان لكسب العيش وزيـــادة دخلهما الشهري .

والملاحظ انه فى بعض المناطق يستطيع الاطفال ان يبقوا فى المدارس حتى عودة الاب او الام من اعمالهم لاصطحابهم .. وفى مناطق اخرى .. تقوم الشركات باعداد مكان يذهب اليه الابناء بعد انتهاء اليوم الدراسي .. يقوم بالاشراف عليه الموظفون والموظفات بالتناوب ..

ولكن فى معظم الحـــالات نرى اطفالا يعودون لمساكنهم عقب الدراسة .

معنى ذلك ان نظام مفتاح الشقة اصبح ضرورة .. ولانه كذلك فلابد لكل ابوين .. كما تقترح « لي سولك » الخبيرة السيكولوجية ان يناقشا الامر بكل صراحة مع الصغير .. ولابد من معرفة ما اذا كان الطفل مستعداً لقبول هذا المفتاح ام لا .. ولابد من ان يفهم الطفل بطريق غير مباشر .. انه ليس عيباً ان يطلب جليسة للاطفال للجلوس معه .. واذا طلب ذلك منك فلا تشعريه بانه لا يحس بالمسئولية .. ولا يعتمد عليه ابداً .. ولكن قولى له : انه امر طبيعي فى مثل سنك .

اما اذا تاكدت ان طفلك قادر على الجلوس بمفرده لحين عودتك بدون اية مشاكل نفسية او غيرها .. فلابد من وضع قواعد ثابتة ومتفق عليها لحمايته حتى تعودين ... وحيث تكون الفرصة متاحة امامك لتنمية شخصيته وزيادة قدراته ونضوج عواطفه ..

نادية يوسف



الفنان عبد الغني أبو العينين



الفنان أبو العينين

رائد تصميم أزياء الفرق الشعبية

بقلم: صبحي الشاروني



لوحة تمثل تصميم ملابس الرقصة الشعبية : أفراح العرب


نماذج من الأزياء العربية البديعة التي صممها الفنان

كريستيان ديور .. وبيير كاردان .. ونينا رينشي .. وايف سان لوران .. وامثالها من الاسماء التى استمدت شهرتها من تاثيرها على ازياء النساء فى العالم الغربى .. إن التصميمات التى يبتدعونها تنتشر فى اقل من شهور بجميع العواصم الغربية ، وبهذا يفرضون ذوقهم على معظم الانيقات ..

وفى العالم العربى عندنا فنان خاض ميدان تصميم الأزياء وتفوق فيه ، لكنه لم ينافس بيوت الأزياء العالمية ، بل تخصص فى نوعيات محددة الى جانب اوجه النشاط الأخرى التى تفوق فيها .. لقد اصبحت له بصمة واضحة فى ميدان تصميم الازياء لفرق الرقص الشعبى وملابس الافلام السينمائية وازياء العاملين بالفنادق الكبرى ، وايضا لبيوت الأزياء المحلية ولكن فى حدود التطوير للأزياء الشعبية والتاريخية مثل تصميم الجلابية والشال وما شابه ذلك .

إنه الفنان الرائد عبد الغنى ابو العينين الذى يوقع أعماله باسم ابو العينين ، كما ان أصدقاءه وأقاربه ينادونه بهذا الاسم الذى اشتهر به . لكن تفوقه وريادته لم تقتصر على تصميم الأزياء بل امتدت الى الاخراج الصحفى واللوحات الزيتية وفنون الديكور وغيرها .

أول عرض للفن الشعبى

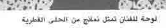
ولد الفنان في مطلع عام ١٩٢٩ ، وكان ابوه يعمل في وظيفة حكومية ، يتفرغ بعدها لاشباع هوايات التصوير الضوئي وكتابة لافتات الخط العربي والرسم والعزف على الكمان وغيرها من الهوايات .. كان يسكن في فيلا هادئة بمنطقة مصر الجديدة ، كان الابن يلذ له ان يراقب أباه وهو يمارس الهوايات ، بالاضافة الى استمتاعه بمراقبة الدواجن التي تربيها امه في حظيرة بحديقة المنزل .. كما يذكر الفنان انـه كـان يتـابع بشغف الحرفيين في حوانيتهم الصغيرة وهم يشكلون منتجاتهم .. وينتظر عازف « البيانولا » في المساء ليصغي الى نغماته ويتابع رقصات ابنته وهي تدق على دف تحمله طوال المقطوعة



ازياء رقصة عمال الميناء لفرقة سلطنة عمان



ازياء رقصة فرح ريفي



لوحة للفنان تمثل نماذج من الحلى القطرية

الموسيقية التي تنبعث من الة « البيانولا » التي يديرها والدها .. ثم تقترب منـــه بملابسها الفضفاضة المزركشة لتجمع القروش من المتفرجين .. وكان هذا هو اول عرض للرقص الشعبي يشاهده ابو العنين في طفولته المبكرة ...

تحت اضواء المسرح

تعرف ابو العينين على عالم المسرح

في المدرسة الثانوية ، حيث شارك بالتمثيل في الفرقة المدرسية التي يتولى تدريبها الاستاذ محمد يوسف والد الاذاعي الراحل عبد الوهاب يوسف ، وكان الفتى متفوقا وموهوبا في هذا الميدان حتى كان محمد يوسف يستعين به في اداء الادوار الصعبة بالمدارس الاخرى التي كان يشرف على تدريب فرقها التمثيلية .

وقد استولت عليه هواية التمثيل المسرحي في وقت كانت فرقة يوسف وهبي قد ذاع صيتها وملا الاسماع والاذهان ، فقام بتكوين فرقة تمثيلية وهو ما يزال طالبا في المدرسة الثانوية ، وكانت هذه الفرقة تقدم المسرحيات الكوميدية وعلى راسها مسرحيات « نجيب الريحاني وبديع خيري » على مسرح « كازينو » بمصر الجديدة .

وما إن انتهى من دراسته الثانوية عـام ١٩٤٦ حتى تقدم للالتحاق بكلية الفنون الجميلة بتشجيع من استاذه « محمـــد

لبيب » وهو الفنان المزخرف الراحل الذى كان يتولى تدريس مادة الرسم بمدرسة مصر الجديدة الثانوية .. وقد تقدم ضمن ٢٨٥ طالبا الى اختبار القبول لم ينجح منهم سوى ٢٦ طالبا وكان ابو العنين من بينهم .. وخلال دراسته بالسنة الاعدادية التى تسبق التخصص كان يحرص على التجول في مختلف اقسام الكلية ليتعرف عن قرب على طبيعة الدراسة في كل قسم ، قسم التصوير (الرسم) ـ النحت ـ الحفر (الجرافير) ـ الزخرفة ـ والعمارة .. وعندما اتم السنة الاعدادية اختار قسم الزخرفة ليتخصص في هذا الميدان ، وهكذا التقى بالاساتذة من كبار الفنانين الذين تتلمذ على ايدي بعضهم : عبد السلام الشريف ، مفيد جيد ، احمد مظهر ، حسين بيكار ، احمد صبري ، البابلي ، الحسين فوزي ، والايطالي « بيبي مارتان » .

لقد اختار هذا التخصص ليكون فنه في خدمة الحياة اليومية ، فدراسة فنون الزخرفة والديكور كانت هي مدخله لتوصيل فنه الى الناس ، اما الرسم والنحت فهي تظل ـ في نظره ـ حبيسة المعارض والمتاحف حتى يسعى الناس اليها أو يعجب بها كاتب فينشر صورتها .. ولهذا اتجه الى الفن المرتبط بالناس والى الوسائل والوسائط التي تجعل فنه جماهيريا .

العمل في السينما

وخلال سنوات الدراسة بكلية الفنون الجميلة بدأ يتطلع الى ميدان اخر من ميادين الفن ، فكان يذهب في أوقات الفراغ الى « استديو مصر » عند سفح الاهرام حيث يلتقي بالفنان .. « محمد خورشيد » صديق والده ، في هذه الفترة راح يتابع انتاج فيلم « السبع افندي » عام ١٩٤٨ .. وقد اهتم بمتابعة الديكورات الضخمة التي تقام بالحجم الطبيعي لتصور بعض مشاهد الفيلم ثم يهدمها العمال في اليوم التالي لتقام في مكانها الديكورات الجديدة وراح يتامل التصميمات المصغرة التى رسمها مهندس الديكور بمقياس مناسب ، محاولا استيعاب الطريقة التي تتحول بها هذه التصميمات المرسومة الى انشاءات ضخمة مجسمة عالية .

وخلال التصوير افتقد المخرج دور بائع العقاقير الشعبية في الريف ، وكان قد اختار لهذا الدور شابا من خريجي معهد التمثيل ، وحاول المخرج أن يحصل من الشاب على الأداء المطلوب دون جدوى ، فاستغنى عنه وصرفه .. وتلفت حوله فوقع نظره على أبو العينين وطلب منه أن يتقدم لأداء هذا الدور ، وبلا تردد اندفع في التمثيل بنجاح شهد له كل من حضر تصوير هذه اللقطة .

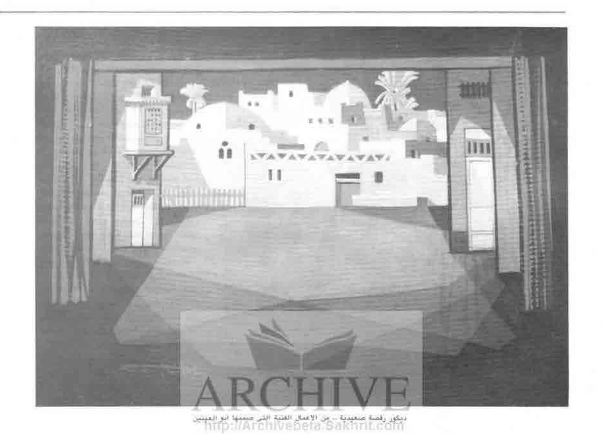
ورغم هذا فان العمل السينمائي لم يلبث ان فقد بريقه عند ابو العينين ، لكنه لم يتخل عن اهتمامه بالعمل المسرحي ، فالى جانب دراسته التي كان يجتازها بتفوق ، كان ينظم الحفلات ويشارك في التمثيليات ويقدم المنوعات في حفلات الكلية السنوية التي حظيت باهتمام الاساتذة والطلبة واقبالهم .

من الصحافة الى الفن الشعبي

حتى منتصف الخمسينات كان الديكور المسرحي في مصر مهنة لا يعمل فيها الا



ازياء رقصة منفردة في زفة حي الحسينية



ديكور رقصة صعيدية .. من الاعمال الفنية التي صممها ابو العينين

الاجانب وخاصة الايطاليين ، فاقتحم ابو العينين هذا الميدان واثبت قدرة الفنان العربي الذى يتميز بالاحســـاس المحلي ، وهو مالايتوفر للفنـان الاجنبيي ، فقام بتصميم ديكورات مسرحية « قهوة الملوك » تاليف لطفي الخولي عام ١٩٥٧ ، ومسرحية « سيما اونطة » لنعمان عاشور عام ١٩٥٨ .. ثم المسرحية الاستعراضية « وداد الغازية » عام ١٩٦٤ للفرقة الاستعراضية الغنائية ... ثم تدفق مهندسو الديكور المصريون على المسرح .

وفي عام ١٩٦٢ عرض عليه منصب مدير مركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة . وتردد ابو العينين طويلا في قبول هذا المنصب ، فقد كان يعمل في اسرة تحرير مجلتي روزاليوسف وصباح الخير وكان قد حقق نجاحا ملحوظا في عمله كمخرج فني لمجلة روز اليوسف .. ولهذا لم يكن من السهل عليه ان يهجر حياة الصحافة وبريقها ، لكن من جانب اخر كان الفن الشعبي يجتذبه لما فيه من قيم زخرفية اصيلة ، فقبل المنصب حيث كانت مهمته هي تجميع وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية ، مما اتاح له ان يعيش في عالم يهواه ويحبه ، وفي نفس الوقت تقرر تكوين الفرقة القومية للفنون الشعبية واسندت اليه مهمة تصميم الديكورات والازياء للرقصات الشعبية ، فتحمس لهذا العمل اكثر من حماسه لوظيفته الاصلية لانها جمعت اهتمامه بالفن الشعبي من جانب وهوايته للمسرح من جانب اخر .

وعلى مدى عشرين عاماً من ١٩٦٢ حتى ١٩٨٢ نجح ابو العينين في انتزاع اعجاب الجماهير في مصر وخارجها ، واستطاع ان يصنع من الزي الشعبي بطلا يصفق له الجمهور .. ولم يترك الفنان هذا العمل الا عندما زارت الفرقة القومية الشعبية دولة العدو فاستقال من عمله بدافع وطني رافضا هذا الموقف .

وخلال هذه السنوات العشرين لم يستمر طويلا في عمله مشرفا على مركز الفنون الشعبية اذ تولى عام ١٩٦٧ منصب مستشار فني « دار التحرير للطبع والنشر » وهي التي تصدر جريدة الجمهورية وجريدة المساء وعدداً من المطبوعات الدورية الاخرى وخلال توليه هذا المنصب لم يقطع صلته بالفرقة القومية الا مؤخرا .

تصميم الازياء

لقد اصبح اسم ابو العينين في البلاد العربية علما في ميدان تصميم ازياء وملابس الراقصين والراقصات في فرق الفن الشعبي .. فقد وضع تصميمات ملابس فرقة الرقص الشعبي في سلطنة عمان وفي دولة قطر والجزائر الى جانب فرق الاقاليم في مصر مثل فرقة طنطا وبورسعيد وذلك اضافة إلى الفرقة القومية .

لقد اتجه في البداية الى دراسة الفن الشعبي استمرارآمع فكرة توظيف الفن في خدمة الجماهير ، وبحثا عن صيغة تشكيلية مناسبة لتوصيل فنه لاكبر عدد من الناس .. وادت هذه الدراسة المتصلة الى ان اصبح اسمه اشهر الاسماء في ميـدان تصميم هذا النوع من الازياء .





زي حارس بـاب الفندق ، يحتـاج إلى الذوق والغرابة ولفت الانتظـار !

بعض الأزياء العملية التي صممها الفنان وراعى فيها حرية الحركة التي يستخدمها رجال الفنادق

لقد طاف بكل البلاد العربية وزارها جميعا في رحلات للتسجيل والدراسة والملاحظة ، توصل من خلالها الى المميزات الخاصة لكل قطر ، وكان يسجل ملاحظاته بالكلمة والرسم ، ثم يعود الى المراجع التاريخية التي تناولت العادات والأزياء . كما قرأ وتأمل دراسات ورسم المستشرقين الذين عاشوا في المنطقة العربية وسجلوا تفاصيلها ، وفي النهاية كان يعود دائما الى ارشيفه الخاص المكون من التخطيطات والرسوم السريعة « الاسكتشات » التي رسمها عن الطبيعة .

ان تصميم الأزياء لفرق الرقص الشعبي تسبقه عدة دراسات حول طبيعة المجتمع التاريخية والمعاصرة ثم الهجرات التي أثرت في هذا المجتمع ، وكذلك الفنون التقليدية او القومية ، ثم التعرف على البيئة الجغرافية ودراسة العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والمناسبات الاجتماعية المختلفة بطقوسها ، ذلك لان الملابس لا تنفصل عن الحياة .. وبعد كل هذا يتم اخضاع التصميم لضرورات المسرح حتى تكون صالحة ولا تعوق حركة الراقص او الراقصة .

وعند العمل يضع الفنان امامه التصميم الدرامي او الشكل المسرحي للرقصة ، تماما كما يفعل المخرج ، فتصميم ملابس الادوار الفردية يختلف عن تصميم ملابس المجموعات المتماثلة ، ويراعي الاستفادة الى اقصى حد من حركة الالوان وتنقلها على المسرح ، مع التنويع وتوسيع امكانية الاستفادة منها باضافة قطعة ذات لون مميز يمكن خلعها او التلويح بها اثناء الرقص مما يفيد في الانبهار الناتج عن حركة الالوان وايقاعها - ويراعي ايضا انه عند القيام بتصميم الملابس لرقصتين مختلفتين ينتميان الى مكان واحد ، فهو يفضل عدم استخدام زي واحد في الرقصتين رغم انهما تؤديهما نفس الفرقة ، فيصمم الازياء مرتين مع استمرار التعبير عن نفس المكان وهذا هو عنصر الابتكار الذي يميز الفنان الموهوب عن الصنايع الماهر .

ويقول الفنان : « خذ مثلا فرقة بورسعيد للرقص الشعبي ، هذه المدينة تعتبر مدينة جديدة نسبيا بين المدن المصرية فقد قامت بعد حفر قناة السويس ، وسكانها الاوائل هم بعض الذين ساهموا في حفر القنال ، كل واحد منهم جاء اليها بملابس منطقته ، فلما تعاملوا مع البحر بدأ يفد عليهم الزي الأوربي ، وهكذا جمعوا بين المحلي والمستورد : بنطلون افرنجي ، وصديري بلدي ، وقبعة ولكنها محلية الشكل ... وهكذا توضع الفكرة الاولى للتصميم ، ولا يمكن التعرف عليها او التقاطها قبل التعرف على الجذور . »

ديكور المسرح .. والفن الشعبي

اما بالنسبة لتصميم الديكور ، فان الفنان عند تصميمه ديكورات فرق الرقص الشعبي يراعى اتساع خشبة المسرح وعدم وجود عوائق او ارتفاعات تعوق الحركة الا في اقل الحدود التي يتطلبها العرض .

بينما في المسرح الدرامي لا يلتزم المصمم للديكور بهذا الاتساع ، بل على



عاملة الخزينة والمضيفة كما صممها فنان الأزياء الشعبية

العكس ان قطع الديكور والاثاث المنتشرة على المنصة قد تعاون في التعبير عن النص ، هذا ويراعى ان الرقص الكلاسيكي له متطلبات تختلف عن الرقص الشعبي .

فى المسرح الدرامى يوضع التصميم وفقا لزمن العرض اذا كان تاريخيا او معاصرا ، ومصمم الملابس يقرا نص المسرحية ويضع لكل دور الزى الذى يناسبه ، فالشرير غير المهرج غير البرىء .. الخ وهكذا ، لكل زيه والوانه المعبرة عن الدور الذى يؤديه .. ويراعى عند اختيار الالوان اختبارها فى الضوء الصناعى لأن اضاءة المسرح تغير درجات اللون وتغير بالتالى من تاثيرها على عين المشاهد ، لذلك يشترك مصمم الأزياء فى اختيار الاقمشة والتعرف على الوانها تحت ضوء المصباح الكهربائى لكى يتاكد من الدرجة اللونية التى حددها فى تصميمه .

هذا وتختلف الأزياء المسرحية الدرامية عن ازياء الراقصين رغم المظهر الواحد فى بعض الاحيان ، لان ازياء الراقص يراعى فى تنفيذها وزنها الخفيف ، وان تسمح بالحركة العنيفة للاطراف دون ان تعوقها ، مع اظهار تشريح الجسم والجذع بشكل خاص ، فتكون مريحة وغير قابلة للتفكك او التمزق اثناء القفز والحركة .

ولعلنا جميعا نذكر الازياء التى صممها الفنان من وحى بورسعيد فى رقصـــة البمبوطية .. وكذلك رقصة افراح العرب التى يشارك فيها الزى المصرى والسورى والليبى والسودانى والعراقى .. حتى تعرفنا على كل منهم من خلال ملابسه .

أزياء المسرح والسينما

وهناك فروق بين ازياء المسرح وازياء السينما ، فالمتفرج فى المسرح لا يقترب من الممثل بينما فى السينما تقترب العدسة من الممثل فى اللقطات المقربة حتى تظهر تفاصيل الرداء ، ويستطيع المشاهد أن يتعرف على ادق التفاصيل حتى نوع الخياطة إذا كانت يدوية او الية ، لهذا عند تصميم ملابس ممثلي السينما لابد من الالتزام الى اقصى حد بالدقة والامانة فى التنفيذ .. وعلى سبيل المثال : فى المسرح يمكن استبدال الخرز بشبيهه المصنوع من البلاستيك ولكن فى السينما لابد من استخدام الخرز الحقيقى .. وهذا ينطبق بالأخص على الأزياء التاريخية .

اما الأزياء المعاصرة فتحددها عوامل كثيرة مثل المناسبة التى تستخدم فيها ، ثم الوقت إذا كان صباحا او مساء او ليلا ثم السن فلكل عمر ما يناسبه ، وايضا المركز الاجتماعى فالرجال ذوى المكانة الاجتماعية لا يتبعون بدقة صيحات الموضة التى يرتديها عامة الشعب ، ولكن يختارون من الموضة ما يلائم موقعهم الاجتماعى ، وعلى سبيل المثال لم نر زعيما او قائدا يرتدى بنطلون « رجل فيل » ! .. اضف الى هذا كله مشكلة الزمن المتوقع لانجاز الفيلم مما قد يؤدى الى تغير الموضة إذا تاخر عرض الفيلم ، لهذا يقوم المصمم باستقراء موضة المستقبل حتى إذا عرض الفيلم لا تكون الملابس قد فات اوانها

أزياء العاملين بالفنادق

وبالنسبة لأزياء العاملين بالفندق فيحددها الاقليم الذى يقام فيه الفندق ،فهو فى مصر غيره فى السعودية غيره فى المغرب .. كما تحدد الوظيفة شكل الزى لمن يرتديه ، فالحمال فى الاستقبال غير عامل التليفون غير الجرسون ، أو مدير الكازينو .. وهكذا .

وأهم من كل هذا ان يكون الزى عمليا ومناسبا للمهنة ، فالذى يقدم الاطعمة بيديه لا تكون اكمامه واسعة او ضيقة الى حد يعوق حركة الكوع بل يراعى حرية حركة اليدين فى حمل الاطباق والصواني .. كما ان الذى يعمل فى مكان مفتوح مثل المشرف على ضفاف حمام السباحة غير الذى يعمل فى مكان مغلق ومكيف الهواء .. ولهذا يراعي فى اختيار الخامة الملائمة والعملية أن تكون سهلة التنظيف وقابلة للغسل والكى وغير قابلة للكرمشة بسرعة .

يراعى المصمم طابع المكان الذى يعمل فيه العاملون : ابتداء من الطراز المعمارى وطراز الاثاث ، والوان الحيطان والستائر والسجاجيد او الموكيت ، ثم نوع الاضاءة إذا كانت اضاءة صناعية او إضاءة طبيعية او ضوء فلورسنت او الضوء المتغير الالوان مثل قاعات الديسكو ، فلكل ضوء الالوان التى تلائمه .

ياتى بعد ذلك موضوع « التميز » ، فالجمهور فى الفندق يرتدى كل الأزياء المستعملة فى الوقت الحاضر وعلى المصمم ان يميز موظف الفندق بملابسه عن الجمهور ، حتى يكون من السهل التعرف عليه ولا يحدث اى خطا او لبس فى هذا الامر .

صبحى الشارونى

الذين يقومون بالأبحاث الروحية..

غشّاشون أم علماء؟

إعداد: محمد الغرب موسى

بدا البحث المعملي فى ظواهر الباراسيكلوجى ، او ما وراء علم النفس ، فى جامعات اوربا وامريكا خلال ثلاثينيات هذا القرن ، وتولى هذه الابحاث علماء يضعون فى تقديرهم بالكامل حجم المتشككين والرافضين ، وهم كعلماء دربوا على المنهج العلمى يفهمون بوضوح ان اى قدر من الادلة التلقائية او الشواهد الشخصية لا يمكن ان يقنع العلم بقبول صحة ظاهرة تتعارض اساسا مع قواعده ، ان شعور شخص مثلا بسقوط الطائرة التى يركبها ابن عمه ، او تنبؤه فى حلم بوقوع زلزال مدمر ، ليس بالدليل الكافى الذى يمكن ان يقنع العلماء ، وانما يجب ان تدخل مثل هذه الظواهر الى المعمل ، حيث يمكن ملاحظتها وقياسها ، واخضاعها للتجربة .

ويعتبر دكتور ج . ب . راين رائدا فى هذا المجال . ففى عام ١٩٢٧ كان هو وزوجته لويز قد حصلا على درجة الدكتوراه وذهبا الى جامعة « ديوك » بولاية نورث كارولينا الامريكية لاجراء ابحاث تكميلية على الظواهر النفسية . وقد اختارا هذه الجامعة بالذات لان استاذ علم النفس بها ويدعى ويليام مكدوجال ـ وهو رئيس سابق لجمعيتى الابحاث الروحية فى بريطانيا وامريكا ـ كان من المنادين علنا بضرورة دخول الابحاث الروحية فى الجامعات ، وكان فى استطاعته ان يقدم لهم خبرته الشخصية ، ويتيح كل الامكانيات والتسهيلات .

وبعد مرور ست سنوات نشر الدكتور راين كتابه « الادراك خارج نطاق الحواس »

ويحوى تجارب السنوات الاولى التى اجراها على الباراسيكلوجي فى جامعة ديوك ، واحدث هذا الكتاب فى الدوائر العلمية فرقعة لا تقل عن تلك التى احدثها

كتاب داروين « اصل الانواع » فى القرن الماضى . واثار مناقشات وخصومات علمية لا يزال صداها يتردد حتى الآن .

● ●

كانت المشكلة الرئيسية التى تواجه التجارب المعملية على الباراسيكلوجى ، ان هذه الظواهر تلقائية بصفة اساسية ، وغالبا ما ترتبط بالمحن والازمات مثل الكوارث والموت ، وإذا كان الأمر كذلك فان من المستحيل اخضاع هذه الظواهر للتجارب المعملية ، ولكن ذلك لم يثن الباحثين عن عزمهم ، فان من المبادىء الاساسية فى البحث العلمى ان الاحداث الصغيرة التى تصنع فى المعمل يمكن ان تضع المبادىء النظرية لاحداث اكبر تقع فى خارجه . فمثلا لم يفهم الناس ظاهرة البرق والرعد إلا بعد ان اكتشفوا فى المعمل امكان اطلاق شرارة نتيجة التقاء شحنتين كهربيتين ، موجبة وسالبة ، وكذلك فان التفاعلات النووية المحدودة التى تجرى فى المعمل تشير الى القوة التفجيرية الهائلة التى يمكن ان تنتج من القنابل النووية . ففى الحالين ، لسنا بحاجة الى ادخال البرق السماوى او التفجير النووى فى المعمل كى نفهم طبيعتهما ، بل تكفينا النماذج المعملية البسيطة ، وكذلك الحال فى ظواهر الباراسيكلوجى ، ليس المطلوب احداث ظاهرة كبرى من هذا النوع فى المعمل ، بل يكفى التاكد بواسطة امثلة صغيرة ، فمثلا إذا كان فى المستطاع تخمين أوراق الكوتشينة تخمينا صحيحا مرات عديدة على نحو يستبعد احتمال الصدفة فان ذلك يمكن ان يكون دليلا على حالات التليباثى الاكثر قوة التى تحدث خارج المعمل .

بهذا المفهوم بدا دكتور راين ابحاثه فى جامعة ديوك ، ليس من المهم أن تكون الظواهر التى تجرى فى المعمل صغيرة او تافهة الشان ، وانما المهم ان يكون فى الامكان قياسها وتكرارها ، وان لا يكون هناك اى تفسير آخر لها سوى الادراك خارج نطاق الحواس .

أوراق زينر

استخدم دكتور راين فى تجاربه ما يسمى بأوراق زينر ، وهى أوراق تشبه أوراق الكوتشينة تحمل كل منها احدى هذه العلامات الخمس : دائرة ، ونجمة ، وصليب ، ومربع ، وثلاثة خطوط متعرجة ، وهى من ابتكار دكتور زينر وسميت باسمه . وتتكون مجموعة هذه الأوراق من ٢٥ ورقة ، خمس أوراق من كل نوع ، وإذا حاول اى شخص ان يخمن هذه الأوراق فانه قد يحصل طبقا لقانون الصدفة على خمسة تخمينات صحيحة ، اما إذا استطاع ان يسجل اكثر من خمسة تخمينات صحيحة عبر سلسلة طويلة من التجارب فانه يصح عندئذ علميا افتراض ان هناك عاملا آخر غير عامل الصدفة يتدخل لاحداث هذه النتيجة . وبالطبع فان هذا العامل

تجربة داخل احد مراكز الابحاث الباراسيكلوجية فى امريكا . يحاول الشخص المختبىء وراء الستار ان يختار واحدا من المربعات الخمس والعشرين التى على المائدة بينما تقوم الفتاة ، الموجودة فى حجرة اخرى ، بمراقبته بواسطة دائرة تليفزيونية مغلقة وتحاول ان تؤثر فى اختياره عن طريق تركيزها الذهنى .



تجربة على البعد فى الادراك خارج نطاق الحواس فى معهد فريبورج بالمانيا الغربية ، تحاول الفتاة اختيار « الكارت » الذى يوحى به اليها الراسل الذى يجلس فى غرفة اخرى ثم تعلن اختيارها فى الميكروفون كى يتم تسجيله ومراجعته على الرسالة

الاستثنائي يمكن ان يكون نوعا من الغش ، او التواطؤ مع الممتحن ، او قد يرجع الى خطا فى تصميم التجربة ، او الى حصول الفاعل على ارشادات ما ، ولو بطريقة لاشعورية ، ولكن إذا امكن الاحتياط ضد هذه الاحتمالات جميعا واستبعادها ، واستمر الفاعل يحقق نجاحا فى تخميناته فوق حد الصدفة ، فانه يمكن علميا ارجاع هذه النتيجة الى عامل اخر هو الادراك خارج نطاق الحواس .

التجارب على بيرس

اجرى دكتور راين تجاربه فى جامعة ديوك والتى اوردها فى كتابه الخلاقى « الادراك خارج نطاق الحواس » على ثمانية اشخاص ، سوف نسمى الواحد منهم بالفاعل ، وهؤلاء الاشخاص او الفعلاء هم الذين اثبتوا قدرتهم عبر اختبارات كثيرة متصلة على تسجيل اجابات صحيحة فوق حد الصدفة ، ويبرز منهم بصفة خاصة هيوبرت بيرس وهو طالب صغير فى الكلية الدينية بجامعة ديوك .

كانت طريقة دكتور راين فى اجراء تجاربه ـ وقد انتقدت فيما بعد بشدة ـ ان يبدا مع الفاعل بطريقة غير رسمية ، احيانا على فنجان من القهوة او الشاى ، ثم ياخذ تدريجيا فى تشديد الرقابة على الفاعل ، وقد كان بيرس ياخذ بعض الوقت فى التكيف مع الظروف الجديدة المشددة حيث تاتى نتائجه ضعيفة ، ولكنه بعد فترة قصيرة يواصل تسجيل الاهداف الصحيحة كما قبل او احسن فى بعض الاحيان . وبلغ متوسط اهدافه فى ٦٠٠ جولة على الكوتشينة التى تضم ٢٥ ورقة اكثر من ٩ اهداف فى الجولة الواحدة وهى نتيجة ، وصفها راين بانها فوق حد الصدفة بما لا يقاس .

وتركزت معظم التجارب مع بيرس على « قوة الاستبصار » ، فقد كان الوسيط والممتحن لا ينظران الى الاوراق ، ولذا فان الفاعل لا يستشف افكاره عن طريق التخاطر او التليباثى معهما ، وانما يتلقى ادراكه من الاوراق نفسها اى القدرة على استبصارها . وهناك تفسير اخر هو ان تكون قدرة بيرس راجعة الى « التنبؤ بالمستقبل » بمعنى انه يخمن الاجابات الصحيحة التى سوف يطلع عليها الممتحن عندما يقلب الاوراق .

واكتشف دكتور راين ان بيرس لا يستطيع فقط تسجيل اهداف صحيحة بمتوسط حوالى ١٠ من كل ٢٥ ، ولكنه يستطيع ايضا ان يسجل اهدافا خاطئة دون حد الصدفة اذا طلب منه ذلك ، فقد اجرى بيرس ٢٢٥ جولة سجل فيها متوسطا اقل من هدفين فى الجولة وذلك عندما امره راين ان يتعمد الخطا ، وهكذا كان فى استطاعته ان يحرز تسجيلا عاليا او منخفضا بارادته . ولكن الاكتشاف الاكثر اثارة ان بيرس كان يستطيع ان يجرى تخميناته على مجموعة الاوراق كلها دون ان يقلب ورقة واحدة منها فبعد ان يتم خلط اوراق الكوتشينة وقطعها توضع جميع الاوراق امامه فى كومة واحدة حيث يركز بيرس عليها بعض الوقت ثم ياخذ فى كتابة تخميناته بالترتيب ، وعندما تراجع هذه التخمينات على الاوراق بعد قلبها يتضح ان بيرس سجل اجابات

صحيحة تفوق حد الصدفة .

وقد اجرى بيرس ٦٥ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيلاته الصحيحة فيها ٧ر٤ فى الجولة الواحدة . كما اجرى بيرس تجاربه بنجاح ملحوظ من مسافة بعيدة ، اذ وضع فى مبنى يبعد ١٠٠ باردة ثم فى مبنى اخر يبعد ٢٥٠ ياردة عن المبنى الذى فيه الممتحن والاوراق فى جامعة ديوك وضبط بيرس والممتحن ساعتيهما تماما ، وكان على بيرس ان يعطى اجاباته بواقع ورقة فى كل دقيقة ، وبعد ان اجرى بيرس ٣٠٠ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيلة ٤ر١١ هدفا فى الجولة الواحدة اى بنسبة اعلى من التنبؤ عن قرب .

كان بيرس واحدا من ثمانية اشخاص فى جامعة ديوك اكتشف دكتور راين انهم يملكون مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس وعندما نشر دكتور راين كتابه عن تجاربه هذه فى عام ١٩٣٤ كان مقتنعا بانه اثبت بطريقة علمية صحة الظاهرة ، وانه قدم قضية ينبغى على الأوساط العلمية ان تلتفت اليها ، ولكن الاوساط العلمية ظلت فى مجموعها متشككة فى صحة تجارب راين وفى قدرته على التحليل الاحصائى لهذه التجارب ، بل ذهب بعض منتقديه الى حد التشكيك فى نزاهته .

تجارب رايس

من هؤلاء المتشككين كان البروفيسور برنارد رايس الأستاذ بكلية هنتر بمدينة نيويورك . ولكن رايس لم يكتف بالشك النظرى كما فعل غيره ، وانما قرر ان يقوم بتجاربه الخاصة على الادراك خارج نطاق الحواس ، وعثر رايس على سيدة شابة اثبتت قدرات استثنائية فى التجارب الاولى التى اجراها بطريقة راين ـ بيرس فى جامعة ديوك . واخذ يجرى معها تجارب على البعد ، فكان يحبس فى حجرة مكتبه فى وقت محدد بينما السيدة فى منزلها على بعد ربع ميل ، وياخذ هو فى قلب اوراق كوتشينه زينر بينما تكتب هى تخميناتها بعد ضبط الوقت بينهما بواسطة ساعة التوقيت . واجرى رايس ٧٤ جولة مع الفتاة استغرقت عدة شهور ليكتشف بعد ذلك انها حققت متوسط ١٨ هدفا فى الجولة الواحدة ، وهى نتيجة وصفها رايس بانها « ليس هناك ما يفسرها فى فلسفتى العلمية » وقبل بروح عملية محايدة ان ينشر تقريرا عن تجاربه فى « مجلة الباراسيكلوجى » .

وهذا هو اكبر نجاح سجلته تجارب الادراك خارج نطاق الحواس ، ولكنه اعتبر دون مستوى الدليل العلمى لانه لم يجر تحت ظروف معملية مشددة ، ولسوء الحظ عندما اتخذت هذه الظروف توطئة لاجراء سلسلة اخرى من التجارب ، فقدت الفتاة قدرتها على الحدس بعد ان شفيت من مرض اصابها ، وجاءت تسجيلاتها تحت حد الصدفة ، ونفس هذا الشيء حدث لهيوبرت بيرس الذى فقد ايضا مقدرته بعد انباء سيئة تلقاها من وطنه . ومما يحير علماء الباراسيكلوجى الى اليوم ان مقدرة الادراك خارج نطلق الحواس تميل الى الظهور فى بعض الناس فترة قصيرة من الزمن ثم تختفى لديهم بعد ذلك ، غالبا فى اعقاب حدث مزعج . ولكن بمجرد ان يبدا الفاعل فى فقد مقدرته يعد ذلك فى حد ذاته دليلا على ان النتائج الايجابية السابقة كانت حقيقية .

شاكلتون وتاثير الازاحة

من الذين شكوا ايضا بعد قراءتهم لتقرير راين عن ابحاثه المبكرة فى جامعة ديوك الدكتور صول ، وقد اثبت هذا الرجل من قبل ان فريدريك ماريون الذى يقوم بتجارب التليباثى فى المسرح امام جمهور من المشاهدين المبهورين ليس الا غشاشا لا يستحق شهرته . ولم يكن دكتور صول يرفض الباراسيكلوجى رفضا مبدئيا كاصحاب النظرة المادية المتشددة ، فهو قد سبق ان ابدى اهتماما بالابحاث الروحية فى أوائل العشرينيات ، وانما ما كان يحيره هو كيف يستطيع راين ان يحصل على ثمانية فعلاء موهوبين على الاقل فى وقت واحد ومكان واحد ، لقد وجد ذلك صعبا على التصديق لانه اجرى بنفسه تجارب مماثلة ولم يعثر حتى على فاعل واحد موهوب . ولعدة سنوات بعد صدور كتاب راين ظل دكتور صول يواصل تجاربه باصرار ولكنه فشل فى تسجيل اى نتائج ايجابية فوق حد الصدفة .

وذات يوم تقدم له فاعل جديد بدا يجرى عليه تجاربه ولم يكن لدى دكتور صول ما يجعله يامل فى نجاح هذه التجارب دون سابقاتها ، دعك من ان تؤدى الى واحد من اغرب الاكتشافات فى ابحاث الادراك خارج نطاق الحواس ..

كان الفاعل الجديد هو المصور الفوتوغرافى المعروف بازيل شاكلتون ، وقد طرق باب مكتب دكتور صول فى ليلة كئيبة باردة من ليالى شهر فبراير عام ١٩٣٦ ، ودخل فى ثقة قائلا : اننى لم احضر الى هنا لكى امتحن ، وانما لاعرض مقدرتى على التليباثى ، وزعم انه امام اصدقائه فى المنزل يستطيع ان يتنبا باوراق الكوتشينة المقلوبة واحدة بعد الاخرى وتاتى معظم نبوءاته صحيحة ، ولكنه لم يلبث ان خاب امله فى التجارب التى اجراها امام دكتور صول ، اذ سجل فى ست جولات متعاقبة على مجموعة الـ ٢٥ ورقة نتائج صحيحة عبارة عن ١٠ ـ ٧ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٦ ـ ٣ على التوالى ، وبدا شاكلتون متحيرا بعض الوقت .

استمر شاكلتون يسجل متوسط ١ر٤ فى الجولة من ٢٥ ورقة ، اى تحت حد توقع الصدفة ، ومع ذلك استمر دكتور صول فى اجراء سلسلة التجارب الى نهايتها ، وفى النهاية احصى صول ١٦٥ نتيجة ايجابية فقط من ٨٠٠ محاولة وهو سجل منخفض للغاية ، فصرف شاكلتون ونسي كل شيء عنه .

بعد ذلك بثلاث سنوات حُرِّض دكتور صول على اعادة النظر فى سجلات شاكلتون مرة اخرى ، وكانت لذلك قصة .. فقد كان هناك باحث فى جامعة كامبردج يدعى ويتلى كارينجتون يقوم بتجاربه الخاصة على التليباثى مستخدما الصور ، فكان على مجرى عشر ليال متعاقبة يرسم صورة بيده ويعلقها فى غرفة مغلقة فى منزله ، ويطلب من فاعليه ـ وبعضهم على الجانب الآخر من الاطلنطى ـ ان يحاولوا مضاهاة هذه الصورة بملكة الادراك خارج نطاق الحواس ويرسلوا بصورهم فى البريد وقد لاحظ كارينجتون ان عددا كبيرا من الرسوم التى وصلته تحاكى او تشابه رسومه بالفعل ، ولكن الترتيب لم يكن سليما ، اى ان الرسم المعين لم يكن فى تلك الليلة المحددة له وانما غالبا ما يكون للصورة التى تليها ، او التى سبقتها ، وكانت الصور المتاخرة قليلة العدد ، اما الصور التالية ، اى التنبؤ بالرسم التالى ،

فكانت متكررة على نحو يلفت النظر وفى بعض الحالات كان الفاعل يرسم هذه الصورة قبل ان يرسمها كارينجتون او يفكر فيها ، اى ان فكرة الصورة تاتيه فى هذه الحالة بالتنبؤ وليس بالتليباثى .

واطلق كارينجتون على هذه الظاهرة « تاثير الازاحة » ، ولفت نظر صول اليها ، وحثه على ان يعود الى سجلات تجاربه القديمة ليرى ما اذا كان هناك دليل فيها على « تاثير الازاحة » هذا . واخذ صول باقتراحه وهو غير متفائل او متحمس ، فقد كان هذا الفحص يتطلب عملا كثيرا . ولكنه عندما بدا فى فحص سجلات شاكلتون كوفىء صبره فى النهاية ، فقد اكتشف ان هذا الفاعل الذى لم تتجاوز تنبؤاته حد الصدفة ، كثيرا ما كان يتنبا صحيحا بالورقة السابقة او التالية للورقة التى من المفروض ان يتنبا عنها ، وعندما حسب دكتور صول بالتحليل الرياضى احتمال الصدفة فى هذه النتائج من زاوية « تاثير الازاحة » وجد انه يبلغ ١ : ٢٥٠٠٠ ، وهكذا فان ثقة شاكلتون فى قواه التخمينية لم تكن خاطئة ، كل ما فى الأمر انه كان يتنبا بالورقة السابقة أو التالية ، مثل الرامى الذى لديه ميل غريب الى تسجيل اصاباته المتكررة الى اليمين قليلا او الى اليسار قليلا من الهدف .

واتصل دكتور صول بشاكلتون وبدأ معه سلسلة اخرى من التجارب فى اوائل الاربعينيات مستخدما وسطاء كثيرين مختلفين ، وكان بصفة متكررة يتنبا بالورقة الصحيحة التالية اذا كانت الفترة المتاحة له للتنبؤ ٢٫٨ ثانية ، ولكن عندما زاد دكتور صول من سرعة عملية التنبؤ الى نصف هذه الفترة تقريبا اى ١٫٤ ثانيـــة كان شاكلتون يتنبا بالورقة التى ما بعد التالية اى باثنتين مقدمـا ، وهذه المقـــدرة لدى شاكلتون على معرفة الأوراق التالية توحى بانها من قبيل التنبؤ المستقبلى لا التليباثى كما لاحظ صول ان هذه النتائج قد تفسرها ايضا « الرؤية عن بعد » أو الاستبصار .

وقام شاكلتون بتحسين قدراته على التنبؤ المباشر بالهدف ، فقد طلب منه صول أن يستعد لجلسة فى الاسبوع القادم لتسجيل الهدف المباشر ، واســـتطاع شاكلتون فى هذه الجلسة ان يسجل ٧٦ هدفا صحيحا من ٢٠٠ محاولة ، وهى نتيجة لا تحدث بالصدفة إلا مرة كل عشرة ملايين مرة . وفى بعض الجولات كان صول يستخدم سرا بدون ابلاغ شاكلتون مجموعة من الاوراق تضم رمزين فقط ـ احدهما يتكرر ١٢ مرة والاخر ١٣ مرة ـ ومعنى ذلك ان يستبعد شاكلتون من اجاباته دون ان يدرى ثلاثة رموز من الرموز الخمسة ومع ذلك سجل فى ثلاث جولات متعاقبة من هذا النوع ٧ ـ ١٢ ـ ١٣ على التوالى .

النتائج المستخلصة

كتب البروفيسور ر . هـ . توليس استاذ الفلسفة بجامعة كامبردج فى ١٩٤٢ يقول :

« ان حقيقة وجود ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس يجب اعتبارها ثابتة كاى شىء اخر يمكن ان يثبته البحث العلمى .. فلنتوقف الآن عن محاولة اثباتها من جـديد مرة بعد اخرى ارضاء للمتشككين فى وجودها ، ولنحاول بدلا من ذلك ان نكرس جهودنا فى كيف يمكننا الاستفادة من هذه الظاهرة » ..

ويرى علمـــاء البـــــاراسيكلوجى ان البروفيسور توليس قد أصاب كبد الحقيقة بهذه العبارة ، وان من العبث الآن اضاعة الوقت فى مزيد من الابحاث على اثبات وجود شىء موجود بالفعل . وهم يستخلصون من الأبحاث العديدة التى اشرنا الى بعضها فيما سبق النتـــائج التالية :

(١) اثبت الباحثون الذين يعملون بصفة مستقلة فى بلاد مختلفة عن طريق اختبارات اوراق الكوتشينة وغيرها من الوسائل ان بعض الأشخاص (الفعلاء) يمكنهم تسجيل نجاح فى التنبؤ الصحيح يستبعد احتمال الصدفة كتفسير له ، وبذلك يكون التفسير الوحيد هو مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس .

(٢) هذه المقدرة تبدو نادرة وقصيرة الاجل فمن الصعب العثور على فاعل يسجل اهدافا عالية وحتى مثل هؤلاء الفعلاء غالبا ما يفقدون قدراتهم فجاة .

(٣) ان الادراك خارج نطاق الحواس ليس عملية لا ارادية بصفة كلية ، اذ يبدو ان بعض الفعلاء الموهوبين مثل بيرس وشاكلتون يستطيعون بارادتهم تسجيل اهداف عالية او منخفضة سواء بخصوص الهدف المباشر او ما يجـــاوره بتاثير الازاحة ..

(٤) ان هذه المقدرة تعمل بطريقة فعالة عندما يكون الفاعل فى حالة استرخاء واطمئنان ، بعيدا عن الازعاج والمنغصات ، ويمكن تدمير هذه المقدرة مؤقتا بواسطة تناول عقار مسكن مثل « صوديوم امتيال » ثم تستعاد او تنشط بواسطة تناول عقار منبه مثل « الكافيين » اى القهوة ، كما يتاثر التليباثى بالعلاقة بين الفاعل والوسيط .

(٥) كان من المعتقد فى الايام الاولى للابحاث فى الباراسيكلوجى ان التليباثى اكثر معقولية وقابلية للتصديق لان تصور وجود علاقة تفاعل بين ذهن وذهن اسهل من تصور وجود علاقة بين ذهن ومادة او قدرة الذهن على تخطى حدود الزمن ولكن اكتشاف قدرة بيرس على تخمين الاوراق التى لا يراها الوسيط وكذلك ثبوت تاثير الازاحة فى ابحاث كارينجتون وصول يشككان فى الاعتقاد السالف ، بل يعتقد بعض العلماء ان قدرة الاستبصار وقدرة التنبؤ اكثر شـيوعا من قدرة التخاطـــر (التليباثى) .

(٦) ان مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس يمكن ان تعمل بكفاءة على البعد ، من اية مسافة ، مما يستبعد تفسير هذه المقدرة بالقوانين الطبيعية المعروفة لانه كان من المعتقد ان كل القوى الطبيعية تضعف اذا سافرت بعيدا ، وبالرغم من انه قد اكتشفت مؤخرا بعض استثناءات لهذه القاعدة إلا اننا مازلنا لانفهم كيف يعمـل الادراك خارج نطاق الحواس ، وانما نرى نتيجة عمله فقط .

(٧) اذا كان الفعلاء الموهوبون قلة نادرة إلا ان بعض الباحثين يعتقدون الآن ان كل انسان يملك موهبة الادراك خارج نطاق الحواس بدرجة ما ، ولكننا نغفل عن تنميتها ، بل لا نكاد نعترف بها او نعرف عنها اصلا ، وذلك لفرط اعتمادنا على الحواس ، والمعروف ان المواهب بل ووظائف الاعضاء نفسها تضعف بالترك والاهمال .

محمد العزب موسى

المقال التـــالى :
تجارب معملية على الاستحراك

حكاية طائر المساء

قصة بقلم: حمدي الكحلوت

بفارغ الصبر وبفرح طفولي .. كنت ارقب مجيئه .. اتسمع دقات « عكازه » على ارض الزقاق .. ادلف وراءه .. اقبع في ركن من « الديوان » اتابع كلماته وحـــركاته متسمرا حتى يقول : (وطار الطير .. الله يمسيكم بالخير) .. ويمسك الحاج مبارك عن الحديث .. يجول بناظريه على الحضور .. يدفع بعنقه الى الوراء .. وعمامته الى الامام .. وتروح اصابع يده اليمنى تنقر ركبته فى تتابع رتيب .. تســـتحث مستمعيه على قول رايهم فى حكايته .. فلا يبخلون عليه كالعادة .

يسلم لسانك .. والله هذه مليحة .. و .. و .. وتتكسر موجة ضحكاتهم وتعليقاتهم كحد فاصل بيني وبين العالم الســـاحر الذى حلقت فيه لساعات فاعود .. اتكوم فى زاوية « الديوان » وابخرة القهوة المـــرة تتصاعد فوق الموقد وبدى رســـول بين « البكرج » والجلسين .. اصب لهم فى فناجين صغيرة تتداخل فـى بعضها داخل قبضة يدى كانبوب من الخزف .. انهي « الدور » واعود لاقرفص فى زاويتي اتامل رواد الديوان الاربعة وأردد فى داخلي سؤالى عن السر الذى يجمع بينهم بهذه الصورة الوثيقة كل مساء ، رغم تفردهم وتميزهم :

الحاج مبارك .. فى السبعين من عمره .. وفى حيوية ابن العشرين .. لم ينطفىء بريق عينيه البنيتين .. خاصة حين يكون مسترسلا فى احدى حكاياته الشيقة عن سيرة بني هلال او الف ليلة وليلة والشاطر حسن والتى لا يضع لها نهاية ليكملها فى اليوم التالى ..

ورغم معرفة معظم مستمعيه بحكاياته المكررة الا انهم كانوا يلحون عليه فى كل مرة وكانها المرة الاولى التى سيحاول فيهـا ان يروى لهم فيزداد بريق عينيه ويداعب لحيته البيضاء الصغيرة .. ويشرق وجهه بابتسامة هادئة قبل ان يطلب من الجميع ان يصلوا على النبى .

ابو سالم .. شيخ ضرير .. قوى البنية .. اكثر ما كان يشدني اليه قدرته الكبيرة على تمييز الاصوات بل الحركات احيـــانا ، بالاضـــافة الى اذنيه الكبيرتين اللتين تتحركان تلقائيا مع حركة عضلات وجهه وفمه .. وكنت احب فيه قدرته على التقاط طرف الحديث واكماله للحكايات حين يتغيب الحاج مبارك عن الديوان .. لكن اسوأ ما فى الامر عدم حضور الصبي الذى ياتى به فتكون مهمة اعادته الى بيته وسط الظلام والازقة الموحشة .. من وظائفي التى لا نقاش فيها .

ابو رجب .. مهيب الطلعة .. طويل القامة .. ذو قسمات جادة .. تخطى العقد الخامس .. لم اذكر انني شاهدته يبتسم ولو لمرة واحدة .. لكنه يثير عاصفة من الضحك كلما تحدث عن شخصه الكريم او عن « الجماعة » وهذه الجماعة تتكون من ثلاث زوجات .. ماتت .. الاولى .. وبقى عنده اثنتان لا يكف عن الحديث والتندر على مشاكلهما ابتداء من القتال اليومي حول الاولاد وانتهاء بمعارك الطعـــام والحمامات ، لكنه لا يذكر زوجته الاولى المتوفاة إلا بكل احترام ورقة ممتزجة بحزن دفين .

يربط الناس بينه وبين عادته الغريبة فى اخراج بندقيته القديمة كلما مر عرس بباب داره واصراره على المشاركة والتحية ببضع طلقات فى الهواء وكأنه ينتقم من الرصاصات الطائشة التي أودت بها في ليلة زفافها .



العمدة .. فى العقد السادس من عمره .. ربعة كثير الصمت .. اذا غضب فهو الاعصار بعينه .. واذا رضي .. رق كنسمة حنونة .. يتاثر بسرعة متقلبا بين الحالتين تدمع عيناه .. فلا تعرف احيانا اهي دموع الحزن ام الفرح إلا من خلال قسمات وجهه التى مازالت تحتفظ بوسامتهـــا رغم الشيخوخة والصلع والشيب .. احس ان لا علاقة تربطني به فى بعض الاحيـــان وانه مجرد .. عمدة .. كبير قومه .. الكل يحترمه .. ولا يخلو هذا الاحترام احيانا من كراهية مبطنة .. وفى احيان اخرى تفيض مشاعر الابوة .. يخرج عن صمته .. ويسالنى عن مدرستي ودروسى .. ويمنحني بعض النقود ثم ينسحب الى عالم الديوان .. يجهز القهوة .. يحضر الحطب .. يطحن الوجبة القادمة .. يفرك الدخان العربي على الغربال .. ولا ينسى بين الحين والآخر توجيه الاوامر لي بالمساعدة فى كل ذلك فاظل متوثبا بين الموقد وفناء المنزل في فرح من ينتظر العيد عند المساء .



وكان المساء .. جاء الموعد .. ولم يات الحاج مبارك ولا ابو سالم ولا ابو رجب .. وكلما اوغل المساء .. ازداد قلقي .. واخذت اقلب الاحتمالات .. ربما مرض احدهم فعاده الآخرون .. وربما سمعوا بانباء الحرب فى ســـيناء ونزول الانجـليز والفرنسيين فى بورسعيد فجلس كل منهم يتابع الاخبار من المذياع فى بيته .. ولكن ذلك لن يمنعهم من المجىء الى الديوان .. ربما يخافون من الغارات المفاجئة او الاجسام الغريبة التى يلقى بها العدو فى الشوارع كشراك تنفجر بمجرد لمسها .. لقد جمع المدرسة اليوم الاستاذ عبد القادر وحذرنا من ذلك .. بعد خطبة حماسية قال ان ساعة المعركة قد دقت وان الاعداء قد وقعوا فى مصيدة سيناء بارجلهم .. وان البلاغات تتوالى عن خسائرهم وتوقعوا النصر قريبا .. فصفقنا كثيرا .. واخذنا ندق على حقائبنا عائدين الى بيوتنا مستبشرين لاكثر من سبب .

اخفى والدى قلقه .. وتوتره بالتنقل بين سماع نشرات الاخبار وبين تكسير جذع شجرة جاف الى كتل صغيرة من الحطب .. كنت احاول بين ضربة « البلطة » والاخرى ان اقص عليه ما سمعته فى المدرسة .. واجمع ما يتناثر من الحطب .. وهو صامت

كعادته .. حين برز من ظلام الزقاق ثلاثة اشباح .. توقف ابي عن تكسير الجذع .. مسح عرقه .. طافت على وجهه ابتسامة وهو يحدق في الظلام .. مع اقترابهم اتضحت معالمهم اكثر .. ابو سالم في الوسط .. وعلى جانبيه كل من ابي رجب ورجل عجوز .. يتابطان ذراعيه .. واسرعت افتح الباب واتخذ مكاني في الركن فربما اختلفت الحكاية .. هذا التاخير .. وتلك الاخبار وتلك الهواجس .. لابد ان تغير الحكاية .. ولن اتوقع التحليق في عوالم الف ليلة وليلة .. ولن اطوف مع صوت الحاج مبارك في مضارب بني عبس او مع خيول بني هلال فقد كان الحوار مختلفا تماما وكان للحديث طعم المرارة وملامح الخيبة التي تخنق الكلمات وتقتل الحلم :

ـ رحمة الله عليك يا حاج مبارك .. لم يتوقع ان يزور المدينة ليكون مع دباباتهم وقنابلهم على موعد .. كان مصدقا انها نهايتهم لا نهايته هو .

ـ لكن المعروف ان القطاع ساقط من الناحية العسكرية .. فلا يستطيع ان يقاوم اكثر من ذلك بعد عزله عن سيناء وحصاره التام .. رحمة الله عليه وعلى كل الشهداء الذين كانوا يصدقون البلاغات والخطب ..

ـ لكن الحكاية لم تنته يا جماعة .. والجولات القادمة اكثر ..

ـ وماذا ستفعل في البارودة يا «ابو رجب» ؟! ..

ـ لن تطلق رصاصها بعد الآن في الهواء .. ساعطيها لولدي الذي سيقطع النهر الليلة مع رفاقه . الله يستر .. وربنا معهم .

ـ ويعلم الله ماذا سيفعلون بنا عندما يصلون الينا ..

ـ لا خوف علينا نحن يا جماعة .. سنعرف كيف ننفذ من « منع التجول » ومن رصاصهم .. ونرد عليهم كيدهم .. لكن الذي يعز علي هو انتهاء سهراتنا وحكايات الحاج مبارك ..

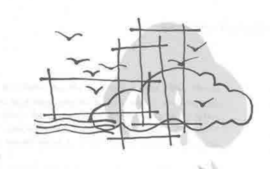
ـ من قال لك إن الحكايات ستنتهي ؟! فقط سيختلف الراوي .. سيكون في المرات القادمة « ابو سالم » .. وانا واثق انه لن يحكي حكايات لنا بل سيصنعها ثم يرويها .

وتموت ابتسامة باهتة .. ويسود صمت .. وانسل خارجا من « الديوان » .. وفي داخلي ينتحب صوت خافت .. لم يعد فيه ما يشدني ويحملني الى العالم السحري .. وحتى رواده انفرط عقدهم .. وتباعـــدت مرات اللقاء .. واقتصرت على ما قبل ساعة الغروب .. قبل ان تجوس مركباتهم .. تنشر الخوف .. وتخنق العصافير .. لكنها لا تقتل الحلم .. ولا تسكت حكايات الديوان .. التي اتخذت مسارا آخر .. مع كل مساء .

حمدي الكحلوت

محمود صقر

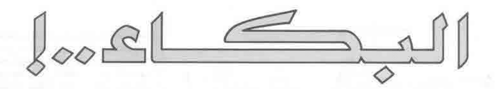
السفر الشمسي



جاء البحر ...
الباب الأول مغلق
... والثاني مغلق
... والثالث ...
انكفأت في القلب الأسفار
ـ عفواً يا سيد احزان البحر
فأقدام العالم مائية

ـ ترقص في الحزن المكتظ
وريش الحلم الأخضر قنديل
.. من منكم ينسج للحلم الأخضر قنديلا
للبحر .. لأعراس الشط الآخر
ماذا سر الطفل في أذن الحضن الدافيء
يوماً او يومين
عاما او عامين
يركض في
شعاع الكدر .. الغيم المهموم
الحزن الراقد خلف سياج العذر الواهم
ان قرار الصمت يحيل الخيط الأبيض
.. للخيط الأسود
وأن .. وأن ...
وأن البعد بعيد عن شيء يصخب
.. يرعد
عن لؤلؤة تتمناها كل العذراوات
ـ عفواً يا سيد احزان البحر

سوسن اخناتون تتجلى
للحلم الواعي
ـ قف ..
آثار أياديك السكرى
.. أصعب من كل الآثار
مرغ في الوحل جبينك
.. امسحه بزيت التقديس
جاء البحر ..
الباب الأول مغلق
... والثالث ...
أسراب النورس تدخل في الأقفاص
الذهبية
حينا غاب ...
وحينا سرا من أسرار الكون المطلى
يتوخى حزنك هذا المغدور
... طرق العلة والنزف المتارجح
ـ عفوا يا سيد أحزان البحر
من قمة ليل الوثن المتناسخ
روح السفر الشمسي
أريدك نكهة قحط أو جر ربابة
جوعاً يخبط امعاء الأرض
وكل انوف البشر العطشى
تشتاق لأن تكبر
أن تمرق من صدر الكلمات
عفوا يا سيد احزان البحر .



قصة بقلم : فاروق منيب

● ● « البكاء » هى اخر قصة قصيرة كتبها القاص المصرى المعروف فاروق منيب ، وهو على فراش المرض فى « مستشفى رويال فرى » بلندن ، قبل أن يغادر دنيانا يوم السبت الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣ ، بعد صراع طويل وعنيد بينه وبين المرض ، لاكثر من ١٣ عاماً ، امضاها مغتربا فى مدينة الصقيع والضباب ، من اجل العلاج !

ومع ان المرض الذى ابتلى به فاروق ـ مرض الفشل الكلوى ـ يسـلم صاحبه إلى الاكتئــاب ، والانســحاب من الحيــاة ، والاستسلام لليأس .. إلا ان فاروق ظل بشجاعة وإرادة نادرتين ، يعالج نفسه بنفسه ـ تحت اشراف المستشفى ـ بواسطة « الكلية الصناعية » التى قامت الحكومة المصرية ، تقديرا لظروفه ، بشرائها له ، وتركيبها فى بيته بلندن .. يحدوه الأمل فى ان تتاح له زراعة « كلية طبيعية » تعفيه من روتين العناء الجسدى ثمانى ساعات كل يوم ونصف يوم ، مغروس العروق برءوس الإبر السميكة ، والانابيب العديدة ، والجهاز المعقد القائم بتنقية الدم من سموم البولينا ، من أجل ان يعيش يوماً اخر ونصف يوم .. يحدوه أمل أكبر فى ان تمكنه « الكلية الطبيعية المزروعة » من العودة النهائية إلى مصر .. إلى وطنه ، وعمله ، وعائلته ، وزملاء مهنتــه وأصدقاء عمره من الكتاب والصحفيين .

وتحقق الأمل لفاروق ، فزرعوا له « الكلية الطبيعية » فى يونيو من العام الماضى . لكن جسده الريفى العنيد ، لم يتوقف لحظة عن رفض هذا الجسم الصغير الغريب ، ولمدة عشرة شهور من المعاناة والمضاعفات التى لا يحتملهما بشر ، الامر الذى اضطر معه الاطباء الى نزع « الكلية المزروعة » من جسده ، وان بقيت المضاعفات واستشرت حتى وهن منه الجسد والجَلَد ، واختلت المعادلة بين ارادة الحياة ، واستبداد المرض .. ففاضت روحه الى بارئها ، متطهرة من ادران الصراع والغربة .

ومن الرائع حقا ان فاروق منيب ـ طوال رحلة المعـــاناة الشرسة مع المرض ، والظروف بالغة التعقيد التى واجهته مغترباً ، ومريضاً ، ومسئولا عن زوجته وطفليه فى لندن ـ لم يتوقف عن الكتابة . كان يقول لأصدقائه ، وفى رسائله « ان استمرارى فى الكتابة .. يعنى اننى مازلت احيا » .

ان المكتبة العربية والقارىء العربى سوف يظلان يحتفظان لفاروق منيب بعدد من مؤلفاتــه وكتاباته ذات القيمة الادبية والفنية ، فى القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، والدراسات الأدبية ، نذكر منها :

فى القصة مجموعات « الديك الاحمر » و « زائر الصــباح » و « احزان الربيع » و « ادم الصغير » ، و « الجـرح والوردة » ، و « عابرو سبيل » .

وفى الرواية : « ادم الكبير » و « أيام الامل » ، والاخيرة نشرت على حلقات خلال الشهور الماضية فى مجلة « صباح الخير » القاهرية .

وله ايضا مسرحية بعنوان « المطرود » ، وكتاب فى النقد بعنوان « دراسات ادبية معاصرة » .

ان الموضوع الرئيسى فى كتابات فاروق منيب هو : الكشف عن روعة الحياة ، والانتصار لها ، والصراع من اجلها . الحياة فى قصصه هى حلم لطفل . فالشمس تغازل القمر . والاشجار تتحاور مع بعضها البعض ، ومع الانسان . والعصافير تغنى بالكلمات . حياة ملونة ، ومبهجة ، وساحرة ، بالرغم مما يكتنفها من احزان . ومع ذلك يبقى « الحزن » فى قصصه هو « الصراع » المحمل بالمعاناة وبالاصرار وبالأمل . هو الواقع ، وهو المواجهة . ودائما هناك حزن . وهناك صراع . وهناك أمل . الابيض والاسود . الفرح والحزن . السعادة والالم . الأمل واليأس . الميلاد والموت .. كلها متضادات يطرحها فاروق فى قصصه ، ثم يقف بين كل منهما فى المنتصف ، ودون تشنجات يروح يفض النزاع بينهما . وهو يضع النقيض فى مواجهة النقيض ، كى يكون الصراع بينهما أقرب الى الشرارة المنظورة . وهى شرارة لتضىء . اما ما يحرق منها ، فذلك لتطهير الانسان من الشوائب التى تعيق لديه صفاء العلاقة الحميمة بالوجود .

وهو ـ فى كل ما يكتب ـ ينتصر للأمل .

الأمل لديه طائر يحلق باجنحة الحزن ، والمعاناة ، والمحبة ، والارادة ، والقوة .

انه فنان يحلم للحياة ، ويدعو الانسان الى ان يحلم معه بها ولها . واحلامه تنبع دائما من منطقة المعاناة الممتدة على الطريق بين الانسان والحياة ، وبين الانسان ونفسه . وبين الانسان والقدر . كلها اعباء يحملها فى الذاكرة ، او فوق كتفيه . لكن عليه أن يمضى بالأمل . اذ هو مزود باعظم طاقة لتوليد الارادة . وهكذا يصبح الانسان قادرا على الحياة .

هذا هو ـ فى لمحة خاطفة ـ فاروق منيب ، يضيء مصابيحه من أجل الحياة بلغة شفافة وصافية . وبالرغم من كل الاشواك النابتة فى طريقه .. بالرغم مما يلجئهُ الى الرغبة فى « البكاء » ، فانه يتعاطى الحياة ألما جميلا ، ليعطيها أملا أجمل ! ● ●

« عبد القادر حميده »



فاروق منيب

كنت أريد ان ابكى ، ولكن دموعى جافة ، عزيزة المنال . كل شىء فى تلك اللحظة يدعو للبكاء ، فما الذى يؤخر هذا الأمل ؟ منذ ايام وانا اتاهب لانفجار كتلة الحزن المركبة على الآلام . تمنيت ان تتخلص تلك السحابة فى السماء من حمولتها ، ها هى حبلى تحب أن تضع وليدها حتى استريح ! ضربت الهواء بكفى متوهما ان السحابة تحتاج الى يقظة لتعرف العذاب الذى اعيش فيه . هل يعز البكاء الى هـــذه الدرجة ؟ فى مرات سابقة كنت أصمت من اعماقى ، اكتم لحظاتى ، يتركز الحزن فى انفى ، ثم يطلع الى عينى ، فابكى . الآن ، احاول نفس المحاولات السابقة دون جدوى

ويبدو أن انفى تعودت على هذه الحيل الحقيقية المفزعة ، فلم تعد تهتم بها ، وكانها تهمس فى اذنى . اذا اردت ان تبكى .. فابك دون ان اشاركك البكاء ! العين هى المسئولة عن البكاء . لجأت الى الماضى .. ان الدموع فيه ليست عزيزة المنال .. وبطبيعتى فانى ثر الدموع .. فما الذى حدث ؟

● ●

منذ ثلاثة عشر عاما وهناك ضربات قاضية فى الكليتين او الكبد او الاوعيــة الدموية او شرايين الراس الرقيقة . وفى كل ضربة افرغ الدموع . فهل خلصت تلك الدموع وانتهى عهدها . وانتقلت الى عصر جفاف النيل الكثيف . اين كنز الميــاه الريانة الشحيحة التى تــروى الالام الدائمة ؟

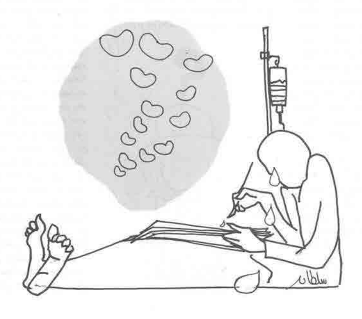
● ●

عندما فقدت ابى بكيت ، ولكن عنفوان الشباب دفع امامه الأحزان .. اخذنى اخى الاكبر بجانب السرادق الذى نصبوه لتلقى التعازى .. همس فى اذنى .. هه الآن اصبحت رجلا . انكشفت على العراء مباشرة . قمنا بالواجب . مات ابوك وترك رجالا .. وسوف تتحمل معنا المسئولية .

فى تلك اللحظة كنت اريد ان اهرب . ان مسئوليتى فى اكتشاف الأماكن الجديدة وفى النظر الى البنات من تحت لتحت .. وانفجرت فى البكاء السهل المطيع المريح حتى اتخلص من حمولتى ! . وترك لى ابى علبة صغيرة من الصفيح ، بهــا نصف سيجارة ، وزنادا كان يشعل به سجائره ، ثم فتيلا من القطن المصرى .. ثم زلطة حادة لتولد الشرر .. وهذا كل شىء ! تذكرت موت امى ، فربما بكيت ، ولكن بلا فائدة !

● ●

وجاءتنى صورة امى وهى حافيــة القدمين فى ذات يوم مطير ، تمسك بيدى لتوصلنى الى المدرسة الابتدائية ، كان الجو غاضبا وسخيفا . مطر ورعد وبرق .



البكاء..!

وكانت امى تصمم عند كل فجر ان تصحبنى الى المدرسة . وعلى حافة الترعة انزلقت قدمها ، فسقطت فجاة . وعندئذ تركت يدى حتى افلت بمصيرى . ظلت تكافح المياه الجارية وتستغيث ، الى ان مددت لها يدى فتعلقت بها . خلعت ثوبها الاملس تعصره ولم اتمالك نفسى ، فبكيت ، ان طعم تلك الدموع القديمة مايزال يكمن فى عينى للآن وكلما جلست وحيداً اتذكر هذا الحادث الغريب ، كلما وجدت دموعى سهلة المنال ، تخفف عنى قساوة الذكرى ! كبرت امى ، وفقدت جزءاً كبيراً من بصرها نتيجة مرض السكر ، وحين كنت اذكرها بالحادث المؤسف القديم . كانت تضحك وتقول : كانت ايام . اما انا ، فكنت احبس المرارة فى نفسى ، ثم تتركز فى اسفل انفى ، ثم تطلع الى عينى ساخنة وصامتة ! فى هذه المرة ، وكان ذلك الحدث لم يمر بى ! حاولت ان اتذكر .. لابكى ، ففشلت .

● ●

هل اجرى بدون هدف لاسقط على الأرض ، فتصاب راسى وتسيل دمائى ، فابكى ؟ ولماذا الجا الى إسالة الدماء ، وهى سائلة امامى كل يوم او يومين ، اتامل لونها القرمزى . فى البداية عندما رايت الدم كنت مذعوراً ، الآن الفت المشهد والمغامرة ، بل اصبحت اسعى اليها بنفسى بحكم غريزة حب الحياة . اذن لا فائدة من هذه الفواجع استعيدها ! ان لم يفتح الله عليّ بدمعة او دمعتين ، فلن ينقذنى من همّى احد ! تحسست مجموعة الاورام الصغيرة فى ساقى ، فوجدت احتقان الدم ياخذ طريقه فى الاوردة والشرايين ، والالتهابات تغطى الساقين . ما الذى اصابنى ؟ ضربات اخرى فى الساقين . كل جرح بميعاد ، ام هى المفاجات تلطمنا على غير توقع . لماذا تصيب كل القذائف مراميها دون ان تخطىء ؟ هل هى براعة الفارس او ضعف الضحية ؟ وهذا هو احد الاورام الذى ظل مختبئا ، يتصنع الحيل الناعمـــة حتى لا يفصح عن نفسه بسهولة . وفجاة انفجر على يد الجراح الذى قال حين راه ولمسه باصابعه : هذا شىء غريب .. غريب .. لم اره من قبل ! وفغر الجرح فاه ، يلتهم قطع الشاش والسوائل المطهرة المعقمة ، ووسادة الشاش المبطنة بالقطن . وبدات الممرضات يقمن بحشو الفم المفتوح ، وفى فمى غاز الاضحاك المختلط بالاكسوجين حتى تتخفف الالام ، وحول الجرح لابد من اخذ الحقنة المخدرة السحرية ! هكذا كل يوم ! وفى تلك الايام بكيت بجيشان عاطفى لم افعله من قبل ، بل كنت اقبل اصابع الممرضات واسال عن اسمائهن حتى اعترف لهن بالجميل . ومع هذا كله ، فالجرح الممتد الصارخ ما يزال ممتداً يطلب التطبيب ، وبت احلم احلاما مفزعة هادئة مستسلمة ان مشرط الجراح يقوم بعملية جديدة ، وانا خائف ارقب المشهد ، وانطوى على نفسى ، اريد ان ابكى ، لكن الاغماءة تحتوينى بين اليقظة والاغماء . اصحو لاعيش مع الحقيقة من جديد ، وهى اقسى من الحلم والتامل . يتجمع الالم فى الكبد ، ثم ينتقل الى الجرح ، ثم يزحف الى الاورام الصغيرة ، فاذا استكن الالم الجسدى ، اخذ الالم النفسى يكمل الدورة . وكـــان العزاء كله فى دورة الدموع هذه ، كساقية قريتنا التى لا تكف عن موسيقى الاحزان مع الدموع السيالة من عيونها ! ومع هذا فان الدموع تعز علىّ ! فما الذى اصابنى فى تلك اللحظة ، اريد ان ابكى ، ولكن لا الدمـــع يواتينى ولا الحزن يطاوعنى .

● ●

وما تعودت ان اصاحب شيئا قهرا ، ان لم تكن تلك الصحبة طبيعية ودافئة ! ومع الاعتذار لبريخت ، فانها ليست دائـــرة الطباشير القوقازية ، وانما دائرة الاحزان الدموية ! وليتها وحدها ولكن لابد فوقها « دائرة البكاء الدمعية » . وهى دائرة عزيزة على النفس والروح ياليت تنفجر حتى تخفف من الآلام المستعصية ، او تفتح ثغرة فى درقة النزيف المتواصل ! فاذا الدموع مع الدماء تسبح فى نهر سيال . ولكن للاسف اخشى ان ياخذنا الجرح على غرة ، فيعود كما كان عميقا ومؤلما ومتقيحا فعلها مرات دون ان نلاحظه . الآن اخاف ان المسه باصابعى حتى لا افاجا بانه التوى الى الداخل ، وكون الصديد مرة اخرى !

● ●

انتزعت نفسى من هذا الجو الكئيب الى الشارع ، علّى اتوه فى الزحام اهرب او انسى او اجد السلوى ! لم يكن هناك انسان يخلو من عاهة ظاهرية او داخلية . واحد يتوكا على عصى . وآخر يجلس على مقعد متحرك . وثالث يبصق دماً من فمه . وهناك جموع لا تحد العين مداها الى اين يسيرون يبدو ان ليس لديها اى هدف ! يجرى بينها بعض الظرفاء ليحذروا الناس فيقولون . احترسوا من النملة ! احترسوا من النملة ! اية نملة ؟ لا يعرف احد !

ومددت عينى عبر الافق .. كان مزهواً باللون الاحمر .. والشمس تختفى متأزمة الطالع ، وثمة بعض الغربان تحوم فى السماء ، تبحث عن اعشاشها الضائعة .. وشعرت بضربة الم مفاجىء تعبر الكلية والكبد والناصور القديم الذى ما يزال ينزف دما ، فهببت واقفا اغطى مكان الالم بكفى .. وتنفست بصعوبة ، فقد اختلطت حقيقة واقعى مع دائرة البشر المعذبين فى الشارع وعند اسطح البيوت وعلى مشارف لون الشمس القرمزى الغارب ! وحتى داخل العربات الهاربة الى مكان فسيح تتنفس فيه براحة .. مع الاطفال الذين يلعبون فى المياه العكرة . وصمتُ من الكمد ، تشبعت بالواقع مع الالم .. ووجدت حشد الرؤى الحزينة يتجمع فى اسفل انفى ، ثم يطلع الى عينى . فتنزل الدموع مثقلة بالحرارة ، مكثفـــة بالخجـــل الهـــادىء الاليف .. واحسست معها بسعادة لم اشعر بها فى حياتى كلها ! .

فاروق منيب
لندن ١٨/٤/١٩٨٣





لم تسمح الظروف بلقاء الآنسة ام كلثوم بعد الذى دوناه من لحظات التلاقى فى كتاب «ليلى المريضة فى العراق» وهى لحظات قصار ولكنها كانت جياشة باقباس المعانى ، ولو طالت تلك اللحظات لظفرنا من سحر الحديث بأطايب وأفانين .

ولم يكن ذلك الحرمان عن هجر منها أو صدود ، فما يستطيع ذلك الروح أن ينسى أن له مارب وجدانية من مسامرة أرباب الوجدان ، وإنما شاءت المقادير أن تصرفنا بالشواغل القاسية عن التاهب لمداعبة الأفاعى والصلال . وما معنى ذلك ؟

معناه انى ساتحف ام كلثوم بصورة وصفية تبسم لها فى حين وتعبس لها فى أحايين ، مع العرفان بانى لم اقل غير الحق فى وصف ذلك الروح اللطيف .

وهل لهذه الحمامة الموصلية روح لطيف ؟

ما وازنت بين غنـــاء ام كلثـوم وحديث ام كلثوم إلا تذكرت قول شوقى فى الصوت الحنان .

وتر فى اللهــاة ما للمغنى
من يــد فى صفائه وليانه

هذه الحمامة تغرد بلا وعى ولا إحساس فى نظر من يحكم بظاهر ما يشــد عن شفتيها الورديتين من اغان واحاديث .

فهل تكون فى حقيقة الامر كذلك ؟

إن كانت ام كلثوم بلا وعى ولا إحساس فعلى الادب والفن العفاء .
وكيف تحرم ام كلثوم قوة الروح وهى بلا نزاع ريحانة هذا العصر واغرودة هذا الجيل ؟



واين من يزعم ان قلبه سلم من الشوق لاغانى ام كلثوم ، وما مرت لحظة واحدة فى المشرق او فى المغرب بدون زفرة او لوعة تثيرها اغـــانى ام كلثوم ؟

تلك الفتاة هى الشاهد على أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء ، فتبارك الله احسن الخالقين !

ولكن كيف تحل هذه المشـــكلة : مشكلة الفرق بين غناء ام كلثـــوم وحديث أم كلثوم ؟

الحل سهل : لان العقدة مشتركــة بينها وبين محمد عبد الوهاب وإليه وإليها انتهى الابداع فى عالم الغناء .

عبد الوهاب رجل اعمال وام كلثوم رجل اعمال ، وذلك سر العبقرية عنـد هذين الروحين ، وهو الدليل على ان الله لا يهب المواهب لاهل التخــاذل والانحلال ، والزهد فى جمع الثروة هو الآية الحق على التخاذل والانحلال ، وغضبة الله على من يحسبنى امزح فى هذا الحديث !

دعتنى ام كلثوم مرة لتناول العشاء فى احد مطاعم القاهرة فاجبت الدعوة ، ولكنى رايت ان ادفــع عن نفسى ، فاستظرفتنى جدا وصرحت بانى لم اقل غير الحـــق حين قلت : « إنى اعظم من الجاحظ ولو غضب الدكتور طه حسين » .

ولن انسى ابدا موقف القصـبجى الملحن وقد زعم انه صائم مع ان العشاء كان فى جوف الليل ولم نكن فى رمضان ولا شعبان ، ولكنه كان يعرف ان « حمامة الشرق » لا يسرها ان يكون القصبجى رجلا له امعاء تظما وتجوع كسائر الناس ، وكيف يكون فنانا وهو يحس الظما والجوع ؟ !

اشهد ان البخل حق ، وانـــه من خصائص اهل العبقرية ، وإلا فكيف صحبت الدكتور طه حسين عشر سنين ولم أتناول الغداء فى داره غير مرة واحدة لظروف قهرية قضت بان نمضى النهار كله فى درس شواهد الشعر المنحول سنة ١٩٢٦ ؟

وكذلك يكون شقيق الروح محمـــد عبد الوهاب ، فهو ابخل من الجارم بمراحل طوال ، وهو إلى اليوم لا يدرك ان الدينار قد ينقسم إلى دراهم ، وان الدرهم قد ينقسم إلى فلوس ، إنمـــا الدينار دينار ، فاذا انقسم فهو هباء ، وإليكم هذا الخبر الطريف :

نشر الموسيقار محمد عبد الوهاب كلمات فى مجلة الاثنين عن ذكرياته فى زيارة العراق ، وقد قرات تلك الذكريات وانا فى بغداد فحزنت لانى عرفت منها ان الاستاذ الصراف خدعه فزين لــه الذهاب من دمشق الى بغداد فى سيارة عربية لا انجليزية ، وكانت النتيجة ان يقضى ثلاثة ايام بلياليها فى الطريق بين دمشق وبغداد ، فصممت على تانيب الاستاذ الصراف حين اراه ، ثم عظمت الدهشة وعظم الاستغراب حين عرفت من الاستاذ الصراف ان الموسيقار عبد الوهاب هو الذى اختار تلك السيارة لان اجرتها ارخص بمبلغ لا يقل بحال من الاحوال عن دينارين !

ماذا اريد ان اقول ؟

لعلى اريد القول بان الاهتمام بجمع الثروة يدل على الشغف بحب الاصيل ، وحب الدنيـــا هو الاصـل الاصيل لحيـــوات النـــوازع والغرائـــــز والاحاسيس .

وحب الدنيا كل السر فى عبقريــة احمد شوقى امير الشعراء ، فقد صحبته مرات كثيرة وهو يطوف على املاكه بالقاهرة وضواحى القاهرة ، وشهدت كيف ينظر إلى كل بقعة من املاكه وقلبه يهتف : « كل مليحة بمذاق » ورحم الله شوقى ، فما مات إلا وهو حزين حزين على فراق املاكـــه الواسعة بارجاء هذه البلاد .

وحب الدنيا هو السر فى عبقريــة عبد الوهاب وام كلثوم ، عبد الوهــاب ساكن العباسية وام كلثوم ساكنــة الزمالك ، وهل يستطيع مخلوق ان يقول إنه على شىء من الادب او الفن وجيوبه خاوية ؟

اه ، ثم اه ! !

كنت غنيا وكانت لى اموال مرصودة فى مصارف مختلفات ، ثم شاء القدر ان اترفق بمرضاى من الملاح فانفق عليهم ما املك ، فانا اليوم فقير ، فقير ، فقير ، بحيث ترفض ام كلثوم ان تكون « ليلى المريضة فى الزمالك » بحجة انهـــا صحيحة ، لا بحجة انى لم اعد املك البر بمرضاى من ذوات الخد الاسيل والطرف الغضيض !

وهجرتى إلى العراق هى سبب هذا البلاء فقد أعدانى العراق بالكرم وراضنى على البذل والجود ، فانا اليوم بلا ذخيرة ولا عتاد .

الم تسمعوا انى كنت اتمرد على رؤسائى بالجامعة المصرية وبوزارة المعارف ، فكنت املك الزهد فى مناصب الحكومة فى كل وقت ؟

فان صح انى صبرت اخيرا على خدمة الحكومة اربع سنين فاعلموا ان الحاكم مكره لا بطل ، وانه لم يتمرغ فى تراب « الميرى » إلا وهو فى فاقة وإملاق .

واه ثم اه من الصبر على خدمـــة الحكومة اربع سنين !

وهل خلق الشعراء لهذا الاستعباد ؟ وهل كان ذلك هو المصير المنشود لمن يؤمنون بفاطر النخيل والاعناب ؟

ولكن لا باس فمن واجب الشـــاعر الذى اخضعه الفن للقوافى والاوزان ان يقبل الخضوع لقيود الوظيفة وقيود المجتمع وما قيمة الفلسفة إن لم نحسن تعليل الصبر على قيود الوظيفة وقيود المجتمع ؟

وما حديث الـ ٤٥٠٠ ثانية فى صحبة ام كلثوم ؟

كانت النفس حدثتنى بوجوب السفر إلى الاسكندرية فى اواخر ايلول لارى كيف ينجزر الصيف عن الخريف فى تلك الشواطىء الفيح ، فرايت على المحطة فتى من عصبة الفن الجميل وهو يهتف : « اما ترى ثومة يا دكتور ؟ »

والتفت فرايت إنسانة نحيلة تكبح سحر عينيها بمنظارين سمراوين وهى تحاور المودعين حوارا تقع فيه الفاظ غلاظ على غير ما ينتظر من فتاة لها تلك المكانة بين البيض الخفرات من بنيات وادى النيل .

واقبلت فسلمت تسليم الشـــوق بتهيب واحتراس ، لتفهم انى لا اريد نضالها فى ميدان التنكيت ، ولكن الشقية تغابت وتجاهلت رغبتى فى البعد عن هذا الميدان ، ولم تكن إلا لحظة حتى اقتنعت بان الزمالك تجاور بولاق !

ما الذى يحمل ثومة على خلع البرقع وهى تحاور الرجال وفيهم من لا يتادب وهو يحاور النساء ؟

لم يبق بين ثومة وبين الفصيلة النسائية اية صلة ، فهى اليوم رجل اعمال ، وهى أبو كلثوم لا ام كلثوم .

وقت ثومة لا يضيع فى مراجعـــة الادب القديم والادب الحديث ـ كما تسمعون ـ وإنما يضيع وقت ثومة فى تدبير المال لاقتناء النفائس من البيوت والبساتين .

وثومة ليست غبية ، فهى تعرف ان البيئات الفنية يكثر فيها الوباء ، وانه لا موجب لطاعة الفطرة التى يتجلى فيها الحنان النسوى ، لئلا يكون من اثر ذلك ان تدور حولها الاقاويل والاراجيف فى زمن الاقاويل والاراجيف .

ومن اجل هذا لا تجيد ام كلثوم ممثلة إلا فى مواقف الانفراد ، فهى كتلة من الثلج حين تحاور رجلا فى مواقفها التمثيلية . وهى نار تتاجج حين تخلو إلى نفسها فى موقف من مواقف التذكر والاشتياق .

العزلة هى الفرصـــة الوحيـــدة لانفجار العواطف فى صدر ام كلثوم ، لان هذه الانسانة تتوهم ان المجتمع لا يحسن غير التجريح والاغتياب ، فهى تلقاه بلسان حديد لا يجيد غير السخرية والاستهزاء ، فاذا اعتزلت الناس او توهمت انها اعتزلت الناس صارت ام كلثوم الحقيقية بشفتيهـــا الورديتين وثناياها اللؤلؤية وانفهـــا المسنون . ولو استبحت مغازلة هذه الشقية لقلت ان ابتسامها يصدر عن واد سحيق هو وادى الخلود !

وما اسعد من يظفر بابتسامة صفية من ام كلثوم ولو لحظة واحدة من عمر الزمان !

ها نحن أولاء فى محطة القاهرة ، وإنى وإياها لمختلفان ، فهى ذاهبة إلى المنصورة وانا ذاهب إلى الاسكندرية ، وسنفترق فى طنطا كارهين او طائعين

واترفق فاقول : الا تحتاج الحمامة الموصلية إلى رجل يضايقها لحظات ؟

فتجيب : وانت ؟ الا تحتاج إلى من يضايقك ساعات ؟

ثم ناخذ فى الحديث بعنف ولجاجة وصيال ، فهل كان بينى وبين هذه الروح ثار قديم ؟ وهل سمعت انى اغتبتها فقلت إنها ريحانة هذا العصر واغرودة



ام كلثوم

هذا الجيل ؟ وهل نقل الوشاة انى زعمت انها اطيب من العطر وارق من الزهر المطلول ؟

لا اعرف ما ذنبى عند ام كلثوم ، ولم اخرج على الادب فاقول إنهـــا اخير ما اخرجت مصر من ثمرات ، وإنها الطف روح سكن الزمالك وتخطر فى شارع فؤاد ؟

ما هفوت فى حق ام كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت إن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية ، وكان الراى ان اقول إن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية .

ثم تشتط ام كلثوم فى المزاح الغليظ ولكن مع من ؟ مع الرجل العليم بمواقع اهواء القلوب ولو سدل على سرائرها الف حجاب !

هـــل تذكرون المصـــباح المغطى بالاوراق الزرق ؟

هو قلب ام كلثوم ، لو تعلمون !

وبلفظة واحدة نزعت تلك الاوراق لاواجه ذلك القلب الوهاج فما هى تلك اللفظة السحرية ؟

قلت : إن حمامة الشرق تســـتر بمزاحها الغليظ قلبا يحترق . فالتفتت الفتاة التفاتة رشيقة وهى تستزيد ، فقلت : وقد حدثتنى ليلى ان الافعى تغفو اوقاتا طويلة ثم تستيقظ حين تجد الفرصة لتخدير الفريسة بالسم الزعاف .

وبهذا الكلام تنبهت ام كلثوم من سباتها المتكلف المصنوع ، وابتسمت ابتسامة لن انساها ما حييت ، فقصصت عليها قصة ليلى حين قرات فى كتب التاريخ الطبيعى ان الحيات تثور وتهتاج حين ترى إنسانا اخضر العينين ، فزعمت الشقية انها لم تكن تعرف انى اخضر العينين ، فقلت : وما السر فى نفرتك منى ايتها الرقطاء ؟

وترفقت ام كلثوم وتلطفت بعد التابى والتمنع ، وانطلقت تتحدث بلا تكبر ولا ازدهاء ، فمن قال إنه عرفها قبل فهو كاذب ، لانى اول من نزع الاوراق الزرق عن ذلك القلب الوهاج ،

وانا اول من فرض على ام كلثوم ان تعرف ان الدنيا فيها امانة وصـــدق وإخلاص .

من حق ام كلثوم ان تكون فى دنياها رجل اعمال ، فنحن فى عصر سخيف لا يقيم وزنا لمواهب اهل الادب والفن إذا فاتهم سناد الجاه والمال .

ولكن .. ولكن دنيا ام كلثوم صدتها عن الانتفاع بارباب المواهب ، فلو كان لام كلثوم مستشار امين لو صلت إلى الاعجاز فى الغناء والتمثيل ، فلا عفا الله عمن صـــدوا هـــذه الروح عن الاستئناس باذواق اهـــل الاداب والفنون !

وهل انسى بشاعة الاستئثار بتصوير عصر الرشيد ؟

كان يمكن ان يكون فلم « دنانير » اعجوبة الافلام التاريخية لو كانت ام كلثوم تعرف ان فى مصر رجالا ادق ذوقا وإحساسا من فلان وفلان ، وان الانتفاع باراء هؤلاء الرجال قد يعود عليها بالخير الجزيل ، ولكن ام كلثوم امراة وإن كانت رجل اعمال ، والمراة لا تفلح حين تتوهم انها اعقل من الرجل .

فلم دنانير جميل جميل ، ولكن تعوزه قوة الروح ، ولام كلثوم ان تغضب كيف تشاء ، ولفلان ان يقتل نفسه من الغيظ ، فقد اخلف الظن به كل الاخلاف .

إن هذا فلم يلخص راينا فى ام كلثوم : فهى لا تجيد إلا عند العزلة والانفراد .

فاين من يجعل ام كلثوم من ازهار المجتمع ؟

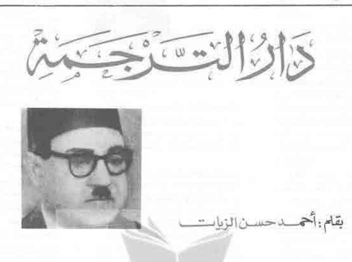
اين من يحول هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع فى المجتمع معانى الانس والانشراح ؟

إن كانت هذه الفتاة تحب ان تكون « ابن بلد » فقد ظفرت بما تريد ، اما إن كانت تحب ان تكون اعظم من ام كلثوم فلذلك حديث غير هذا الحديث .

ثم وصل القطار إلى طنطا فانتقلت إلى قطار المنصورة وبقيت اتشوف إلى الاسكندرية ، وذلك اخر العهد بتلك الروح ، فان رضيت عن هذا المقال فقد نلتقى فى مصر الجديدة او فى الزمالك ، وإلا ... ...

زكى مبارك
١٩٤٠

اقتراح ناضج طرحه كاتب عربى كبير منذ ٣٩ سنة ولم يأخذ به أحـــد إلى الآن



هذا المقال الممتاز كتبه الأديب العربى الكبير أحمد حسن الزيات سنة ١٩٤٥ ووجهه إلى الدكتور عبد الرزاق السنهورى الذى كان وزيرا للمعارف المصرية فى ذلك الحين ، ولكن المقال فى حينه لم يجد صدى له .. وما جاء فى هذا المقال من اقتراح مازال حيا .. ومازال بحاجة إلى وزير يتبناه أو مؤسسة ثقافية تعيد إليه الحياة .. فهل يفيد النداء اليوم بعد أن عجز هذا النداء نفسه عن أن يجد صداه فى حينه سنة ١٩٤٥ ؟ !

ان من المحال ان ننقل الأمة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن ان ننقل العلم كله الى الأمـــة عن طريق الترجمة .

• •

يا صاحب المعـــالى ، إن اخص ما يميزك على نظرائك فى العلم والحكم انك تقدس الحقيقة وتطلب الحق ، وإن سبيلك إلى ذلك عقل راجح واضـــح يتعمق ويتبسط ، ويحيط ويستوعب ، ويدقق ويحقق ، ويستقرى ويستنبط ، فاذا رأيت الحق فى جانبك اقنعت ومنطقك سديد وحجتك ملزمة ، وإن رأيته فى الجانب الآخر اقتنعت وعقلك راض ونفسك مسلمة . وقد اجمع الذين عرفوك ان فى مناقشتك الرأى او فى مطارحتك الحديث متعة للعقل والذهن لأنك توضح الخطة وتحدد الرسوم وتعين الغاية ، ثم تعرض الرأى عالما بما تقول ، وتسمع الرأى فاهما لما يقال ، ثم تعارض القول بالقول ، وتوازن الدليل بالدليل ، ثم تحكم الحكم المسبب لك او عليك فلا تدع للمكابرة والممـــاراة سبيلا الى استئناف او نقض !

لذلك احببت ان اتقدم إلى معاليك برأى يتصل بالثقافة العامة ، ويقينى انك إذا اقتنعت به امضيته ، وإذا امضيته كان حريا ان يضيف عصرنا الحـــاضر إلى عصـــور بركليس واغسطس والمأمون ولويس الرابـــع عشر ، وهى كما تعلم العصور الذهبية التى حددت المراحل المتعاقبة للانسان المتمدن فى طريقه إلى المعرفة .

تعلم معاليك ان ادبنا الجديد لا يزال ناقصا فى نوعه قاصرا فى بيانه . ناقص فى نوعه لأنه انكر قديمه وجهل

جديد الناس ، . فلم يغذه ماض ولم ينمه حاضر ، فظل مخدج الخلق لا هو حي ولا هو ميت . ولقد كان ادبنا القديم فى حدود مراميه للسان العام لخوالج النفس الانسانية فى اكثر بقاع الارض فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدت فى هذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الانهار ، وجفت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل حينا بعد حين . فالقارىء العربى الحديث لا يجد فيما اثر منه ولا فى أكثر ما استجد فيه غذاء عقله ولا رضا شعوره ، لان المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لخلوه من الآداب الاجنبية . والغريب المخجل ان المرء يقرأ اى نابغة من نوابغ العالم فى اى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغـــة العربية ! فالتركى مثلا يستطيع ان يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهولاء العباقرة العالميين إلا كتابا أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه !

فاذا اردنا يا معالى الوزير لادبنـــا ان يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الامس : نرفده باداب الامم الاوربية ، ونصله بتيار الافكار الحديثة ، فان لكل امة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون ادبنا عالميا ما لم يلقح باداب العالم ، والمحاكاة والاحتذاء من اقوى العوامل اثرا فى الادب .

والأدب العربى قاصر فى بيانه لانه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع اقدر كتابنا ان يتحدث عمـــا يستعمل من ما عون واثاث ، ولا ان يصف ما يركب فى باخرة او طائرة . ومجمعنا اللغوى على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل او جيلين ، حين يكون كل شىء فى العالم قد تغير او تطور ، فيضبح معجمه فى الجدة يومئذ كمعجم (لسان العرب) اليوم ! والزمان يا معالى الوزير يسرع ، والعالم كله يجد ، والسارى على مركب العجز لا يلحق ، والبيان القاصر نصف الخرس ، واللغة الناقصة ثلاثة ارباع الجهل .

وما قلناه فى اللغة والأدب نقوله فى العلم والفن ، فان ما فى العربية منهما لا يعدو فى الغالب ان يكون ملخصات مجهولة النسب ، او مقتبسات قليلة الغناء ، إذا نفعت احداً فانما تنفع طلاب المدارس . اما الشعب الظامىء إلى المعرفة فلا يجد بين يديه من امهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه . وما دام الامر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصورين فى حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ، ولا يسايران تقدم الفكر .

إن العلوم اليوم اوربية وامريكية ما فى ذلك شك ، وإن الفروق التى باعدت بين الشرق والغـــــرب فى مدلـــول الانسانية الراقية إنما تجمعها كلها لفظ العلم . وهذا العلم الذى يسخر السموات والارض للانسان الضعيف ، ويذلل القطعان الملايين للراعى الفرد ، سيبقى غريبا عنا مالم ننقله إلى ملكنا بالتعريب ، ونعممه فى شعبنا بالنشر ، ولا يمكن ان يصلنا به او يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فان من المحال ان ننقل الامة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن ان ننقل العلم كله الى الامة عن طريق الترجمة .

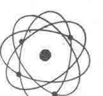
فالترجمة إذن يا معالى الوزير هى الوسيلة الاولى لدفع القصور عن اللغة ، وسد النقص فى الادب ، وكشف الظلام عن الامة ، وبحسبنا ان ننقل معجما من المعاجم العلمية الاوربية لتصبح لغتنا كاملة وثقافتنا شاملة ، فانا مضطرون فى اثناء الترجمة ان نضع المصطلحات الحديثة لكل علم وفن ، فلا يتم المعجم حتى تتم اللغة . وإذا نقلنا الى العربية نتاج القرائح لاقطاب العلوم والفنون والآداب من الانجليز والامريكان ، والفرنسيين والالمان ، والروسيين والطليان ، اصبح هؤلاء العالميون جزءاً من كياننا الادبى وركنا فى بنائنا العلمى ، نعبر به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل اباؤنا الاقدمون بما نقلوه من علوم الاغريق والهنـــــود والسريان والفرس .

لذلك ارى ـ ورايك الاعلى ـ ان تنشا دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فانها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والاثر ، او قل إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مائتان على الاقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الاوربية الثلاث ، ينقلون الاداب الاجنبية نقلا كاملا صحيحا ، فلا يدعون علماً من اعلام الادب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الاصلية .

هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم اربعمائة صفحة مصححة منقحة مهياة للنشر ، قد تكون كتابين او كتابا أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فاذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد . فلا يكون بين ظهور الكتاب فى اوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . اما نفقات الدار فلا تزيد على مائة الف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الامراء والاغنياء وجامعة الدول العربية . على ان ما ينفق فى سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر فى جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة ، وتطعيم الادب ، وتعريب العلم وتعميم الثقافة ، وتدعيم النهضة ، وتيسير القراءة ، وتشجيع القارىء ، وفى تحقيق منفعة واحدة من هؤلاء تخليد لذكر من قام بهذا العمل او شارك فيه او اعان عليه ، فما بالك إذا حقق هذه المنافع جمعاء ؟

ذلك جوهر الفكرة يا معالى الوزير عرضته عليك . اما النظر فى تأثيلها وتفصيلها فاتركه إليك .

احمد حسن الزيات
١٩٤٥



تقديم : لبنى الريدي

غواصة الجيب

انها أصغر واخف غواصة في العالم : فهي مصنوعة من البوليستر المقوى بالياف الزجاج . ولا يزيد ارتفاعها عن ٢٢ متراً ، وتتسع لشخص واحد فقط .

وتتميز هذه الغواصة البريطانية الصنع بالاضافة الى صغر حجمها بانها تستطيع العمل في ظل اقوى التيارات المائية وعلى عمق ٦١٠ متراً ، ولكنها تحتاج الى مركب لوضعها في الماء ثم استعادتها مرة اخرى وترتبط بها بواسطة كابل يضمن لها احتياجاتها من الطاقة اللازمة لتشغيل جهاز الاتصال وارسال المعلومات وآلة التصوير بالاضافة الى محركاتها الستة .

إلا انه بامكان هذه الغواصة التخلص من الكابل والانفصال عن مجموعتها المائية ان لزم الأمر، وعندئذ تعتمد الغواصة على البطاريات الخاصة بها في تشغيل اجهزتها المختلفة وتضمن هذه البطاريات الخاصة العمل بشكل مستقل لمدة ٧٢ ساعة متواصلة .

ويتيح جهاز الغوص الجديد القيام بمهام المراقبة البحرية وصيانة المنشآت التي تقام في قاع البحر دون ان يتعرض الغواص لمشكلات ارتفاع الضغط او انخفاضه . فكابينة هذه الغواصة تضمن له عزلا حراريا وكهربيا كاملا بحيث يستطيع الغواص تنظيم كمية الاكسجين داخل الكابينة وكذلك قوة دفع الغواصة .



غواصة الجيب

الطبق الطائر مرة أخرى



الطبق الطائر بدلا من الطائرة العمودية

لا تزال فكرة الطبق الطائر تلهم مصممي الطائرات . ففي كاليفورنيا ابتكر مهندس طيران امريكي نموذجا لطائرة تقوم بمهام الطائرة العمودية ولكنها تتخذ شكل الطبق الطائر ، وهي تتسع لاربعة اشخاص .

ويعتمد عمل هذا الطبق الطائر على مبدأ بسيط وهو سريان سريع لطبقات الهواء ذات الضغط المنخفض فوق الطائرة وسريان بطيء لطبقات الهواء ذات الضغط المرتفع أسفل الطائرة .

ويعمل الطبق الطائر الجديد بواسطة ثمانية محركات قوة كل منها ٣٦ حصانا . وتدير هذه المحركات مراوح موزعة على محيط الدائرة (كما تبين الصورة) . وتحتفظ الطائرة بتوازنها في الهواء بواسطة اربعة محركات بينما يمكنها الهبوط بدون صعوبة بواسطة محركين فقط . وتبلغ سرعة هذا الطبق ٣٠٠ كيلو متر في الساعة .

وفي كل نفق هوائي يوجد جنيح للتحكم في الحركة الجانبية للطبق الطائر . اما مجموعة الذيل التي تبدو وراء الطيار فهي للتحكم في ثبات وصعود الطائرة المبتكرة . ومن المتوقع ان يصل ثمن هذا الطبق الطائر الى حوالي ٢٥ الف دولار فقط !!

محطة توجيه للأجهزة الإلكترونية



محطة التوجيه الالكترونية

لم يعد التلفزيون مجرد جهاز استقبال للارسال التلفزيوني وانما تحول الى نظام متكامل ومحطة توجيه لكل الاجهزة الالكترونية في المنزل .

وان كانت الشاشة التلفزيونية التقليدية تتصدر هذا النظام فانها اصبحت مزودة بعدة وصلات لربطها بالأجهزة المختلفة من كمبيوتر وكاميرا وجهاز فيديو وساوند سيستم ، الخ .. كما يمكن توصيل نظام الأمن في المنزل بشاشة التلفزيون ايضا .

ولربط الهاتف بهذه المحطة الالكترونية يصبح من الممكن الاتصال ببنوك المعلومات المختلفة . واذا كان لديك أورج الكتروني يمكنك توصيله بها . ويضيف اليابانيون الى هذه المحطة طباعة تطبع على الورق ما تريده من الصور التي تظهر على الشاشة التلفزيونية.

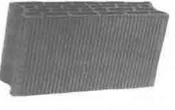
البناء بالطين

تظل قوالب الطوب المصنوعة من الطين بعد ادخالها الى الفرن لتجف وتتماسك افضل مواد البناء جميعا . فهي تتميز بقدرة عالية على العزل الحراري حيث تقوم بتخزين الحرارة .

وتقدم احدى الشركات الفرنسية قوالب طينية مبتكرة مزودة بفراغات راسية مرتبة في ١٩ صفا من الفجوات الطولية الضيقة التي تتخذ شكلا هندسيا خاصا مما يزيد من قدرتها على العزل الحراري .

ولا يحتاج المبنى المشيد بهذا الطوب الى استخدام مواد عازلة اضافية . فهو يعمل بمثابة تكييف طبيعي يحتفظ بالجدران دافئة في الشتاء ويمنع تسرب الحرارة في الصيف الى داخل المنزل . كما ان استعمال مثل هذا الطوب يحمي المبنى من تكثيف الرطوبة حيث لا يسمح الا بنفاذ ١٪ من الرطوبة في حين تتراوح نسبة الرطوبة التي تنفذ في حالة الجدران الاسمنتية والخرسانية ما بين ٤ ٪ و ٦ ٪ .

وتؤكد الشركة المنتجة لهذا الطوب الجديد بانه يتميز بصلابة عالية اذ تزيد مقاومته عن مائة كيلو جرام لكل سنتيمتر مربع كما انه مقاوم للحريق مما يجعل المباني المشيدة به لا تحتاج لترميم لمئات السنين .ومن ناحية اخرى لا يتطلب بناء جدار بهذا الطوب الى تبطين وانما مجرد طلاء خارجي وداخلي فقط بحيث يستطيع اي شخص اقامة جدار مساحته متر مربع في اقل من ساعة.



قالب الطوب الجديد

الهاتف المسجل



الهاتف المسجل

يصعب على الكثير منا تذكر ارقام الهاتف أو مواعيد اقلاع الطائرات بعد الاستعلام عنها في الدليل الهاتفي او استعلامات المطار . كما قد ننسى المواعيد التي قد نحددها أو يختلط علينا الامر ولا نستطيع تحديد اذا كان الموعد صباحا أو مساء في يوم الثلاثاء او الاربعاء الخ . ومن ثم فان هذا الهاتف الجديد يقدم لنا خدمة كبيرة فهو يضم الة تسجيل تقوم بتسجيل المكالمة اذ يكفي الضغط على احد الأزرار ليقوم الميكرفون الموجود داخل جهاز الهاتف بتسجيل صوت المتحدث على شريط صغير في قاعدة الهاتف . كما يمكن الاستماع الى الشريط بالضغط على زرار اخر ،بالاضافة الى زرار ثالث للتشغيل السريع .

ولقد روعي في تصميمه النواحي الجمالية ، فهو كما يبدو في الصورة ليس اكبرحجما من الهاتف العادي . ويعمل جهاز التسجيل بواسطة بطاريتين قوة كل منهما ١٫٥ فولت . ومن المتوقع ان يبدأ تسويقه مع بداية العام الجديد .

من أهم الأحداث السينمائية لعام ١٩٨٣ بالنسبة للمنطقة العربية بوجه خاص ، هو عرض فيلم « حنا . ك » للمخرج السينمائي الكبير « كوستا جافراس » .

ذلك لأنـه لأول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية .. يجرؤ مخرج من الغرب ـ على مستوى عالمي ـ في تقديم صورة من الصراع العربي الإسرائيلي داخل فيلم سينمائي طويل .. ويعرض في جميع أنحاء العالم ..



القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم "حنا.ك" وكيف ننظر إليه؟

رءوف توفيق



الى اليمين الممثلة الامريكية « جيل كلايبرج » التى لعبت دور المحامية « حنا . ك » .. والى اعلى الممثل « جابريل بيرن » الذى لعب دور المدعى الاسرائيلى



الممثل « جين يان » الذى لعب دور الزوج

الممثل الفلسطيني « محمد بكري » فى دور سليم بكري

ولكي نقدر مدى اهمية هذا الفيلم .. يجب ان نضع في حسباننا ، حجم ضراوة وضغوط المؤسسات الصهيونية في المجتمع الاوروبي والامريكي .. حيث تفرض هذه المؤسسات حصاراً حديدياً ، مستخدمة كافة الأساليب السياسية والاقتصادية لمنع تسرب اي وجهة نظر تناقش الحق العربي في هذا الصراع .. وفي نفس الوقت ، الترويج بشتى الطرق ـ اعلامياً وثقافياً وفنياً ـ لحق اليهود في ارض فلسطين ..

فهم الذين تعبوا كثيراً .. وتشردوا طويلاً .. ولاقوا كل أنواع التعذيب والاضطهاد ، وخصوصاً في سنوات الحرب العالمية الثانية مع جيش النازي .. و .. و .. ومن حقهم الآن أن يستقروا وينعموا بالحياة .. فهم طيبون .. مسالمون .. ظرفاء وانظروا واحة الديموقراطية « اسرائيل » .. الجنة التي صنعها هؤلاء الأبرياء المساكين (! !)

وهكذا لعبت المؤسسات الصهيونية على هذا الوتر طوال السنوات الماضية .. ويشتد العزف ، حتى يصبح ضجيجاً مدوياً ، كلما اقترفت اسرائيل احدى جرائمها البشعة .. كنوع من الغطاء الاعلامي والنفسي ، للاحتفاظ بالرأي العام العالمي « تعاطف مستمر » !

التحرك المطلوب

وقد كتبت في « الدوحة » كثيراً عن هذه السياسة الصهيونية وبالذات في مجال السينما .. محللا ومنبها للعديد من الافلام التي اخرجها مخرجون عالميون كبار ولكنهم تورطوا في الدعاية لليهود ، بشكل سافر او بذكاء شديد !

وآخر مقالة في هذا الشأن نشرت في مجلة الدوحة في سبتمبر ١٩٨٣ وطالما تساءلت بدهشة ممزوجة بالحزن



القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم «حنا.ك» . وكيف ننظر إليه؟



المخرج « كوستا جافراس » اثناء تصوير الفيلم داخل اسرائيل

والاسى .. عن الدور العربي .. والمال العربي في اقتحام مجال السينما العالمية لتوضيح الراي الآخر في هذا الصراع الأسرائيلي : حتى لا ينفرد أصحاب الوجوه القبيحة بكل الصورة .. وحتى لا يصبح صوتهم هو الصوت الوحيد المسموع في العالم ..

وكم كانت المرارة بالغة ، عندما تقدم أحد الذين يحملون الجنسية العربية ، بالمساهمة في تمويل الفيلم الانجليزي « عربات النار » الذي يمجد بطولة شاب يهودي في سباق العدو باوليمبياد عام ١٩٢٤ الذي اقيم في باريس ! !

وكان التحرك المطلوب قد اتجه في الطريق العكسي تماما ! !

حالة من الحصار

وهذه المقدمة الطويلة كان لابد منها .. لتوضيح مدى مغامرة المخـــرج اليوناني المولد ، الفرنسي الجنسية «كوستا جافراس» الذي خاض في ارض مليئة بالالغام ليقدم فيلمه « حنا . ك » .

وقد بدا عرض الفيلم في مهرجـــــان « فينيسيـــا » الدولي .. واستقبل الفيلم ومخرجه بعاصفة من الاستنكار واللوم من جانب الصحفيين اليهود ..

واتضح هذا الموقف عندما بدا عرض الفيلم عالميا في امريكا وباريس في النصف الثاني من شهر سبتمبر الماضي .. فقد ضرب حول الفيلم ستار من الاهمال واللامبالاة .. وكانما المقصود هو الالقاء بالفيلم في منطقة الظل والنسيان ..

بالرغم من ان المخرج «كوستا جافراس» يتمتع بسمعة سينمائية مدوية .. فهو مخرج فيلم « زد » الشهير (عام ٦٨) والذي جرؤ ان يناقش من خلاله الحكم العسكري اليوناني .. وهو ايضا مخرج فيلم « مفقود » الذي يدين فيه تورط السياسة الامريكية وجهاز المخابرات الأمريكي في انقلاب « شيلي » عام ١٩٧٣ .. وقد اثار هذا الفيلم ضجة كبرى داخل امريكا .. وفاز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عام ١٩٨٢ مناصفة مع فيلم « الطريق » للمخرج التركي « يلماظ جوتنيه » (راجع مقال الدوحة لشهر يوليو ٨٢) .

اي ان هذا المخرج لا تمر افلامه في هدوء .. وانما تثير جدلا وحماسا وردود افعال ساخنة .. فلماذا كان نصيب فيلم « حنا . ك » هذا الفتور ؟

المخرج يقول فى القاهرة

في المؤتمر الصحفي الذي عقده المخرج في القاهرة .. بعد عرض الفيلم والاستقبال الحافل الذي قوبل به في ختام مهرجان القاهرة السينمائي السابع .. قال بصراحة شديدة :

« ان الفيلم استقبل في نيويورك بفتور واضح .. ولم تعلق عليه سوى جريدتين فقط .. اما في باريس فقد حقق الفيلم نجاحا اقل من العادي .. وايضا الصحافة الفرنسية لم تبد اهتماما به بالمقارنة بافلامي السابقة .. ويمكن ان نقول انه مر دون ان يثير اية ضجة في الصحافة الفرنسية .. ولا استطيع ان افسر هذا ولكني اترك لكم التفسير .. فانا لا اريد ان اوجه اتهاما للصحافة الغربية فهذا ليس دور المخرج » !

سالوه عن رد فعل الصحافة العربية في لندن وباريس ؟ .

قال بنفس الصراحة : « كانت في اغلبها جيدة جدا .. وفي صالح الفيلم . »

وحتى تكتمل الصورة لابد ان نذكر انه في هذا المؤتمر الصحفي بالقاهرة ارتفعت بعض الاصوات تعتب على المخرج « كوستا جافراس » انه لم ينصف تماما القضية الفلسطينية في فيلمه .. وانه لم يتعمق في تحليلها بالشكل الكافي ..

وهذه الاصوات ارتفع مثلها بين صفوف العرب في كل من باريس وأمريكا الذين شاهدوا الفيلم وكانوا يتوقعون المزيد من الصراحة والمواجهة وتحديد المواقف ..

وقد يكون لهذه الاصوات كل الحق في تصورها ..

ولكن يجب الا ننسى .. ان هذا الفنان الأوربي ـ بتفكيره ومنطقه الخاص ـ قد اقبـل على الخـوض في هـذه القضيـة الساخنة ، دون ان يكون مدفوعا من احد ، او لحساب احد ، وانما لقناعته الشخصية بان يطرح على الشاشة العالمية ، لاول مرة جانبا من الصراع الفلسطيني الاسرائيلي .. وان يتحمل كل عقبات ونتائج هذه المغامرة (وقد بدا بالفعل في حصد هذه العقبات كما اشرنا) .

ويكفي الفيلم .. انه يعيد الى ذهن المتفرج الاوربي والامريكي .. هذا السؤال البديهي وجوهر القضية كلها .. هذه الارض ـ ارض فلسطين ـ من حق من ؟ .. هل هي من حق ابنائها .. ام من حق دولـــة الاحتلال ؟ .

والفيلم لا يكتفي بطرح السؤال ويتعقب محاولة الرد عليه .. ولكنه يقدم فلسفة



بين اطلال القرية التى شرد الاسرائيليون سكانها وتحولت المساكن الى خراب .. ومجموعة من الفنيين فى فيلم «حنا . ك .» يضبطون معداتهم لتصوير احد مشاهد الفيلم

النظام الاسرائيلي الذي يعترف من خلال احد كبار ممثلي العدالة فيه ! « لقد عشنا الفي عام في اضطهاد وتشرد .. حتى وجدنا هذه الأرض واصبح لنا وطن وكيان .. ولن نعرضها للضياع وعلينا ان نحميها بكل سبيل » !

قصة الفيلم

وعنوان الفيلم « حنا . ك » هو اختصار لأسم المحامية « حنا . كوفمان » التي تدور من خلالها ومن حولها احداث الفيلم .

فهي امراة في الخامسة والثلاثين من عمرها (تلعب النور الممثلة الامريكية جيل كلايبرج) تحيا ازمة شخصية .. فهي امراة ممزقة في عواطفها .. تفتقد الانتماء .. فهي من اصل بولندي .. ولكنها تربت ودرست في امريكا .. وتزوجت في فرنسا .. ثم انتقلت الى اسرائيل لتمارس المحاماة .. ولتقع في غرام المدعي العام الاسرائيلي ، وتحمل منه .. وهي لا تبالي بهذا المازق ولا تستطيع ان تحدد الى اي رجل ستربط مصيرها .. هل لزوجها الفرنسي الذي يحبها ويغفر لها سقطتها .. ام لعشيقها الاسرائيلي الذي يطلب منها الانفصال عن زوجها ليتزوجها ..

هذه المراة تجد نفسها داخل قضية شاب فلسطيني يريد اثبات حق ملكيته لبيت اسرته في احدى القرى الفلسطينية المحتلة .. ومع هذا الشاب الفلسطيني تكتشف النظام العسكري الاسرائيلي ، والقشرة الهشة التي تعيش فيها، وتتجسد ازمتها اكثر ..

هكذا كانت البداية

والفيلم يبدا بهذا الشاب الفلسطيني .. وينتهي به .. فهو الموجود الغائب طوال الفيلم .. وكانه الضمير الحي الذي يوقظ كل المشاعر والتساؤلات .

ففي مشهد بداية الفيلم .. يضعنا المخرج « كوستا جافراس » امام القوة الاسرائيلية الغاشمة .. وكانه يريد أن يحدد منذ اللقطة الاولى .. طبيعة هذا المكان واسلوب النظام الاسرائيلي والمعنى الحقيقي للقهر والعنف والاحتلال .

الوقت فجر .. وظلام الليل ما زال يرخي أستاره على المكان .. وقوة اسرائيلية مدججة بالسلاح وبالعربات المصفحة تنتشر حول بيوت القرية .. يخرجون سكانها من الفلسطينيين .. ويقبضون على بعض رجالها وشبابها .. ويطلقون كلابهم البوليسية ليتشمموا آثار من افلت منهم .. ويتوقف احد الكلاب بالنباح امام بئر مياه ويتجمع بعض الجنود حول البئر ويسلطون اضواء بطارياتهم ليكتشفوا أن هناك شابا مختبئا في قاع البئر .. يطلبون منه الصعود بسرعة .. ويصوبون ناحيته بنادقهم .. ويصعد الشاب لنتعرف على ملامحه الحادة وعيونه الممزوجة بالتحدي والحزن .. ويمطرونه بالاسئلة السريعة باللغة العربية « فين سلاحك .. اين خباته .. كنت رايح فين .. ما اسمك » ؟

ويرد الشاب بثقة كمن تعود على مثل هذه الاسئلة .. إنه لا يحمل سلاحا .. اما اسمه فهو « سليم بكري » (يلعب الدور الممثل الفلسطيني محمد بكري) .

ويدفعونه الى عربة المقبوض عليهم .. بينما تنتقل الكاميرا على وجوه اهالي القرية وهم يقفون يشهدون هذا الهجوم نساء واطفالا وصبية في ملامح كلها اصرار وتحـدد .. بينمـا بعض الجـنود الاسرائيليين يخرجون امراة عجوزا من بيتها ويدفعونها بشدة بعيدا عنه .. ثم يمدون الاسلاك المتفجرة ويضغطون على جهاز التفجير لينفجر البيت ويتهاوى كتلا من الاخشاب والحجارة .

ومع منظر البيت في لحظة التفجير تبدا عناوين الفيلم .

صوت المؤذن « الله اكبر » وتباشير الصباح .. نتعرف على المكان .. احدى قرى الضفة الغربية .. وعربة نقل المعتقلين تمضي مسرعة .. وصوت الفلسطينيين يهتف « ثورة حتى النصر » ونلمح بعضهم وهم يخرجون من العربة الى داخل السجن واصابع ايديهم ترتفع بعلامة النصر ..

موجود .. او غير موجود ؟

داخل المحكمة .. الشاب الفلسطيني سليم بكري في قفص الاتهام ..

والمحامية « حنا . ك » تدافع عنه : «إنه لم يكن يحمل اية أسلحـة . المدعي العام عشيقها يرد بتحديد قاطع « إنه ارهابي » ترد هي « إنه ليس ارهابيا .. إنه كان يريد ان يعود الى بلده »

القاضي يستمع لها في ملل .. وهي تحاول ان تدافع في اصرار !

« لا يمكن اتهامه بشيء لم يفعله .. لقد جاء لزيارة اهله » .



المحامية « حنا . ك . » داخل القريــــة التى اختفت من الخريطـــة واقامت اسرائيل مســــتوطنة مكانها باســــم آخـــر



القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم «حنا . ك » .. وكيف ننظر إليه؟

المدعي العام يسالها في سخرية « اهله .. من هم اهله .. ما هي جنسيتهم او جنسيته .. انه لا ينتمي الى احد هنا ولا ينتمي الى اي بلد .. وليسـت له ايـة جنسيـة ؟ » .

فترد عليه « حنا . ك » بنفس السخرية « وقد لا يكون موجوداً بالمرة » ! !

وتاتي هذه العبارة .. كاول قذيفة يطلقها الفيلم على الفكر الاسرائيلي الذي ينكر وجود هؤلاء الفلسطينيين .. ولا يعترف لهم بجنسية او وطن .

مجرد مستندات

ما هي قضية هذا الشاب الفلسطيني « سليم بكري » ؟

قضيته انه قبض عليه بتهمة دخول الأرض الاسرائيلية متسللا .. بينما هو يقول إنه صاحب هذه الأرض .. وان بيت عائلته موجود في « كفر رمانة » .. وهو يحمل المستندات الدالة على الملكية ويحمل صورة العائلة .

إنه ليس ارهابيا .. ولا يحمل اية أسلحة .. وانما كل ما يحمله هو مستندات وصورة العائلة .. ويريد العودة الى بيته .

وتحمل المحامية هذه المستندات وتبدأ رحلتها الى قرية « كفر رمانة » .

وتاتي القذيفة الثانية التي يطلقها الفيلم ضد الحكم الاسرائيلي .. فالمفاجاة المذهلة .. ان قرية « كفر رمانة » قد ازالها الاسرائيليون من على الخريطة .. وانشاوا بدلا منها ما اطلقوا عليه « كفار ريمون » ! ! هدموا المنازل .. واقاموا بدلا منها مساكن حديثة للمهجرين ! ! .

وفي واحد من اذكى مشاهد الفيلم .. نرى رجلا عجوزا من الأهالي الحقيقيين للقرية .. وهو يدب بعصاه على الأرض ويردد كانما يؤكد لنفسه وللجميع « هنا .. كفر رمانة » .

إنها الحقيقة التي لا يمكن تزييفها ..

واحدى المهجرات الروسيات .. تستقبل المحامية بدهشة وهي لا تعرف ما معنى « كفر رمانة » ولا هذا المنزل الذي تبحث عنه .. وإنما تشير لها على منزل قديم تحول الى مزار سياحي !

وتذهب المحامية الى هذا المنزل القديم ، المبنى على الطراز الاسلامي .. لتكتشف على أحد حوائطه صورة تذكارية للعائلة التي كانت تقيم هنا .. وهي نفس الصورة التي تحملها ضمن مستندات هذا الشاب الفلسطيني .

اي ان هذا المنزل ، هو منزله .. وهذه الأرض ، هي ارضه .

ضد الأمن

وتعود المحامية بهذا الاكتشاف الذى ظنت انه انتصار لها .. ولقضية موكلها .. ولكن مفاجاة قاسية تنتظرها .

وتاتي القذيفة الثالثة التي يطلقها الفيلم ضد الديمقراطية التي تزعمها اسرائيل .. فهناك اجتماع مغلق يضم استاذ القانون الذي تعمل عنده هذه المحامية .. والمدعي العام الاسرائيلي يحاولان اقناعها بالعدول عن هذه القضية التي بدات تثير الراي العام .. ومنطقهما انه لو حصل هذا الشاب الفلسطيني على حكم باسترداد بيته وارضه .. فهذا معناه







ثلاث لقطات متتالية من مشهد نهاية الفيلم ، حيث تفاجيء المحامية بطرقات على الباب ، فتسرع لترى القادم ، وتكتشف ان فرقـــة من الجنود الاسرائيليين يحـــاصرون مدخـــل البيت

ان كل الفلسطينيين سيطالبون بارضهم .. وهذا ايضا معناه نهاية دولة اسرائيل .. وهذا ضد امن اسرائيل .. « وعلينا ان نحمي وطننا مهما كانت التضحيات » ! !

وترد المحامية في صدمة من اكتشف هذا المنطق : « ولكن هل نحميها .. بانكار هذه الحقوق على غيرنا » ؟

يجيبها المحامي الاسرائيلي بكل الثقة والقوة : « نعم .. لو اضطرتنا الظروف الى ذلك » !

وتستسلم المحامية مضطرة امام هذا الحصار .

النهاية .. حالة حصار

وهكذا تتداخل خطوط سيناريو الفيلم .. بين قصة الحياة الشخصية لهذه المحامية وبحثها عن الأمان والحب .. وقصة هذا الفلسطيني الباحث عن حقه الضائع ..

المخرج كوستا جافراس يشرح لقطة من الفيلم للممثلة جيل كلايبرج

وينتهي الفيلم بمشهدين متتاليتين في غاية الاحكام والبلاغة ..

فعلى مائدة العشاء يجتمع الرجال الثلاثة في حياة المحامية .. زوجها الفرنسي وعشيقها الاسرائيلي .. ثم هذا الشاب الفلسطيني سليم بكري الذي انتقل ليعيش في منزلها ..

والتليفزيون يذيع نشرة الاخبار .. والمذيع يعلن عن انفجار قنبلة في اتوبيس في « كفار ريمون » .. وينهض المدعي الاسرائيلي شاهراً مسدسه ويطلب من سليم بكري أن يسلم نفسه فهو المتهم في هذا الحادث .. ويسرع المدعي للاتصال بالشرطة للحضور للقبض على « الارهابي » المتهم .

وينظر له سليم نظرة من يعرف هذه اللعبة .. لقد دبروا الحادث وجاءوا ليتهموه .. والمحامية تدرك تماما انه لا علاقة له بالحادث .. وتثور ضد المدعي الاسرائيلي .. وتطالب من سليم أن يدافع عن نفسه ، فقد كان معها في هذا الصباح .. ولكن سليم يبتسم في حزن ويقـول « ما فائدة الكلام .. لقد اصدر الحكم وانتهى الامر » !

ويخرج سليم من المنزل .. الى اين .. لا احد يعرف !

وتفجر المحامية كل غضبها في زوجها وعشيقها .. فينسحبان من امامها .. وهي تهذي في ضياع « من انا .. ومن اكون ؟ » .

وتستعد لحمام ساخن .. وكانما تريد أن تغتسل من كل هذه الآثار .ولكن صوت دقات متتالية على الباب يجبرها ان تسرع لترى من القادم ..

وتاتي النهاية على نظرات عينيها وهي تتجمد من الدهشة .. لتكتشف فرقة من الجنود الاسرائيليين المدججين بالاسلحـة يحاصرون بابها .. وينظرون ناحيتها ..

حالة حصار جديدة .. هل جاءوا ليقبضوا على « الارهابي » الفلسطيني كما يسميه عشيقها المدعي الاسرائيلي .. ام انهم جاءوا ليقبضوا عليها ..

سؤال مفتوح لم يجب عليه الفيلم وهو ينتهي بهذه الموسيقى العسكرية المفزعة ..

مناطق الجمال .. والضعف

هذا هو فيلم « حنا . ك » حيث ظهر الاسرائيليون كقتلة ولصوص .. يحملون الاسلحة من اول لقطة في الفيلم وحتى اخر لقطة .. فبقاؤهم مرهون بالسلاح ، ومنطقهم يقوم على الكذب والخداع .وديموقراطيتهم بناء من الورق يحركونه في الاتجاه الذي يحميهم ..

وتغزل المخرج في مدينة القدس .. فقدمها بعين الشاعر الذي احب المدينة .. وقباب مساجدها واصداء الآذان تمتزج باجراس الكنائس .. ووضع في الخلفية موسيقى تنبض بروح الشرق وعذوبته وسحره الذي يمس القلوب ..

لقد تردد طوال الفيلم وصف الارهابي يطلقه الاسرائيليون على اي فلسطيني .. ولكننا لم نر فلسطينيا واحداً شريراً او عاشقاً لسفك الدماء ..

وربما كان أضعف ما في الفيلم .. هذا الجزء الخاص بانتقال الشاب الفلسطيني ليعيش في بيت المحامية .. فبدأ من بدروم البيت حتى انتقل الى داخله .. ليقوم برعاية طفل المحامية والخروج به للتنزه ! ! هذا المنزلق السياسي الذي سقط فيه السيناريو .. ربما كان له ما يبرره كحل للقصة العاطفية للمحامية .. ولكنه فتح الباب لرموز وتفسيرات مرفوضة .

دراما انسانية

والمخرج « كوستا جافراس » الذي انتج الفيلم مع زوجته .. يؤكد انه ليس طرفا في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي .. « لست مع أحد ضد احد .. ولكن هذا الصراع يمثل عندي دراما انسانية شديدة التعقيد .. » .

وقد استخدم المخرج نفس منهجه في فيلم مفقود .. حيث قدم في ذلك الفيلم قصة اب وزوجة يبحثان عن الابن والزوج المفقود في احداث شيلي .. ومن خلال هذا البحث يتعرض للسياسة الخارجية الامريكية .

وفي فيلم « حنا . ك » هناك المراة التي تبحث عن ذاتها .. والشاب الذي يبحث عن حقه .. ومن خلال هذا البحث يتعرض للنظام الاسرائيلي .

وقد كتب المخرج سينـــاريو الفيلـم بالاشتراك مع « فرانكو سوليناس » عن قصة قاما بتاليفها معا من خلال عدة رحلات الى اسرائيل .. حتى ان المخرج فكر ان يكتب على الشاشة في بداية الفيلم « ان هـذه القصـــة حقيقيـــة رغم انهـا من اختراعنا » ! .. اي ان الخيال تطابق مع الواقع في كثير من النقاط .

وقد استغرق تصوير الفيلم ستة اسابيع داخل اسرائيل .. ثم اربعة اسابيع اخرى في ايطاليا لظروف مالية خاصة بالانتاج .

ومن اهم اكتشافات الفيلم .. ذلك الممثل الفلسطيني « محمد بكري » الذي قام بدور « سليم بكري » وهو من ممثلي المسرح في الارض المحتلة .. ويتميز بوجه معبر فيه كل ملامح الرجولة والصلابة والعذوبة ايضا .

واكدت الممثلة الامريكية «جيل كلايبرج» انها واحدة من انضج الممثلات اللاتي قدمتهن السينما الامريكية خلال السنوات الخمس الاخيرة .. وقد استطاعت ان تتحمل عبء الدور باقتدار واضح .

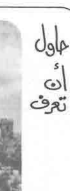
●●

ومهما كانت المآخذ التي يسجلها البعض ضد الفيلم .. إلا انه في النهاية اول محاولة من نوعها في السينما العالمية . وعلينا ان نقف بجوار كل من يفكر في تكرار المحاولة بصورة افضل وباخطاء اقل ..

« رءوف توفيق »



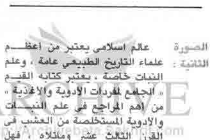






الصورة الأولى : من اشهر الأبراج الموجودة فى العالم ، وهو قائم فى واحدة من اشهر المدن واعرقها فى العالم ، وقد سمى البرج باسمها ، فهل تستطيع معرفة اسم هذا البرج ؟





الصورة الثانية : عالم اسلامى يعتبر من اعظم علماء التاريخ الطبيعي عامة ، وعلم النبات خاصة ، يعتبر كتابه القيم « الجامع لمفردات الأدوية والاغذية » من اهم المراجع فى علم النبات والادوية المستخلصة من العشب فى القرن الثالث عشر ومابعده ، فهل عرفته ؟



يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » ان يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٥



الصورة الأولى : سد جراند ديكسنس
الفائزة : سعاد خضر الفوراني ـ سوريا
الفائز : الأمين على الصديق ـ السودان



الصورة الثانية : إبن خلكان
الفائز : خالد أحمد بشار ـ الامارات
الفائز : ساجد رمضان سلطنة عمان

ذكاء امرأة



الى امرؤ القيس على نفسه الا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ، وكان عندما يخطب أية امرأة يسألها هذا السؤال فتقول له :

اربعة عشرة وذات يوم كان فى طريقه فالتقى برجل يصطحب ابنته الجميلة التى أعجبته فقال لها : أيتها الفتاة ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ فقالت :

أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما اربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فثديا المرأة فخطبها من أبيها .

علي عبد الله الشافعى ـ مصر

لقطة الشهر



هذا الشبل من ذاك الأسد

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : فيصل جريتانى ـ سورية ـ حلب

أدرك أهلك



خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من اصحابه الى البادية للصيد والقنص ، فلقيهم احد الأعراب ممتطياً جواداً أشهب . فأوقفه عمر وقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال أبو من ؟ قال : ابو جمرة ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني حرقة ثم من بني ضرام . قال : أين مسكنك ؟ قال : في ذات لظى . قال : ما اسم جوادك ؟ قال سعير ، فقال له عمر : ادرك اهلك قبل أن يحترقوا ! ! !

مجدي محمد جاد كشك مصر

مثلك من تملك بعلها ..!

جاء في أخبار كثير بن عبد الرحمن الشاعر الذي اشتهر بكثير عزة أنه مات وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد . وقال الناس يومها « مات أشعر الناس وافقه الناس » وغلبت النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكـرن صاحبته « عزة » في ندبتهن له ، وأقبل محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يشق طريقه ويضرب النادبات بكمه قائلا : تنحين يا صويحبات يوسف ! فتقدمت له امرأة منهن تقول :

لقد صدقت إنا لصويحبات يوسف .. ولقد كنا له خيرا منكم له » فأوصى أحد مواليه ان يحتفظ بها حتى يجيئه بها بعد انصرافه .

ثم جيء بتلك المرأة كأنها شرارة نار كما قال راوي القصة ، فسألها محمد بن علي : « أنت القائلة إنكن ليوسف خيراً منا ؟ » قالت : نعم .. ثم قالت : تؤمنني غضبك ؟ قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني .

قالت : نحن دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم .. وأنتم معاشر الرجال القيتموه فى الجب ، وبعتموه بأبخس الأثمان ، سجنتموه فى السجن فايانا كان عليه لحنى وبه أرأف ؟

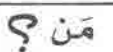
فقال محمد : ولن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم سألها : ألك بعل ؟ قالت : لي من الرجال من انا بعله ، قال : صدقت ! مثلك من تملك بعلها ولا يملكها .

قمر الدولة دفع الله ابراهيم ـ السودان









مَن ؟

سياسي خبيث نكب العرب بنكبة لم يعرفها التاريخ من قبله بوعد اصدره ، اسمه من ثلاث كلمات في ثلاثة عشر حرفا :

١٣ ـ ٣ قذر

١ ـ ١٠ ـ ٥ ـ ١ ـ ٧ ـ ١٢ ـ ٨ من الانعام

٢ ـ ٦ ـ ١١ ـ ٦ من الأرض الزراعية

٤ ـ ٩ سيد

أين ؟

الجزء من بلاد الاسلام الذى ضاع نتيجة لسوء حال العرب وذلك الوعد السياسى المذكور . اسمه من ستة احرف :

٤ ـ ٦ وحدة للوزن غير عربية اللفظ .

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ يكون الى اسفل

ما ؟

الصفة التى تلازم العرب فى اغلب الاحوال فينفذ اى عدو من خلالها ويفعل بالعرب ما يريد . الكلمة من ستة احرف :

٣ ـ ٢ ـ ٤ فسد او خراب

١ ـ ٦ ـ ٤ غاب واختفى

٥ ـ ٢ اداة تعريف

الإجابة الصحيحة

(١) يتكون اللون الاخضر بمزج لونين من الوان الطيف التالية : الأزرق ـ الأصفر ـ الأحمر ـ البنفسجى .

(٢) ثلاث من الصحف والمجلات التالية تصدر بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر: الريان ـ الراية ـ العهد ـ الزمان ـ السياسة ـ الوطن

(٣) من هو مؤلف كتاب ارواح متمردة ؟
جبران خليل جبران ـ انطون سعادة ـ بشارة الخورى .

(٤) فى أوروبا وامريكا يصنعون الجيلاتين الذى ناكله ونحن لاندرى من :جلود الخنازير ـ امعاء الكلاب ـ روث الضفادع .

(٥) « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » .
قائل هذه العبارة هو :
سيدنا عيسى عليه السلام ـ لقمان الحكيم ـ برنارد شو .

(٦) السلاحف البحرية من مجموعة الحيوانات :
البرمائية ـ الزاحفة ـ القشرية .

(٧) توفى العلم اللغوى ابو منصور الثعالبى مؤلف كتاب فقه اللغة وسر العربية فى سنه :
١٠٣٨ ـ ١١١٢ ـ ١٠٠٥ ميلادية .وكانت وفاته قبل وفاة ابن سينا ام بعدها بعام واحد ؟

(٨) الاقليم الوحيد فى العالم الذى يعيش فيه ايل المسك هو :
جبال الهمالايا ـ جبال الانديز ـ جبال جنوب سيناء .

(٩) اخى جاوز الظالمون المدى :
اكمل البيت وانسبه الى قائله وما مناسبته ؟

(١٠) «يصنع الفخار من احجار الدولومايت بعد عجن طحينها بالخل » هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟

حل مسابقة العدد ٩٥

من ؟ سعيد بن جبير
اين ؟ الطائف
ما ؟ العدل

« الاجوبة الصحيحة»

١ ـ الخريدة ـ الحصة ـ الجمانة

٢ ـ إذا المزكوم لم يطعم شذاها ـ احمد بك شوقى ـ عن لسان ورد زوج ليلى

٣ ـ الكبريتيك

٤ ـ محاكم التفتيش ـ دنشواى ـ دير ياسين ـ بحر البقر ـ صبرا وشاتيلا

٥ ـ قبل الاسلام

٦ ـ خطا

٧ ـ الالتحام النووى

٨ ـ ١٩٣٢

٩ ـ شرق اسيا

١٠ ـ سيدنا يونس .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل : الشعر ـ الحواجب ـ العينين ـ الفم ـ الرقبة ـ الطرحة ـ الفستان .

(١) الفائز : سحيمى محمد ـ المغرب .

(٢) الفائزة: نوره ناصر ابراهيم ـ قطر .

٢ ـ لاقوياء الملاحظة : الحل : قبعة ـ كتاب ـ منفضة سجائر ـ سكين ـ هلال ـ منقله .

(١) الفائز : فلاح جاسم نايف ـ الكويت

(٢) الفائز : محمد صلاح الدين ـ انجلترا

٣ ـ المثل يقول : (١) « الاسكافى حافى والحايك عريان » احمد علي المحاميد ـ الاردن . (٢) « من فوق هالله هالله ومن تحت ماشا الله » سهام محمد ـ الامارات

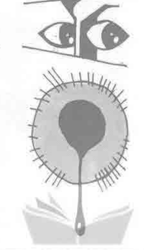
أوصيك خيراً بأولادي !

كان الحجاج الثقفى ، رغم ما عرف عنه من الشدة والقسوة ، كريماً تحفل موائده بأشهى المأكولات ، فيطعم منها ضيوفه وغيرهم من الفقراء وأبناء السبيل .

وذات يوم قدم من البادية اعرابي نشأ على شظف العيش ، فهاله ما رأى على المائدة من أطايب الطعام ، وأخذ يأكل فى نهم وشراهة بصورة لفتت انظار الحاضرين وفى نهاية الطعام قدم طبقا من أطباق الحلوى أثار فضول الاعرابى برائحته الذكية ومنظره الجميل . فخاطب الحجاج قائلا : « ما اسم هذا الطعام يا مولاى ؟ » فقال الحجاج : « هذا طبق من « الفالوذج » ولو أكلت منه لضربت عنقك بسيفى هذا » !

فبدت الحيرة على وجه الاعرابى ، وأخذ ينظر الى طبق « الفالوذج » تارة والى سيف الحجاج تارة أخرى ، على أن حيرته لم تطل فقد شمر عن ساعده وأرسل يده فى طبق الحلوى وهو يقول : « أوصيك خيراً بأولادى يا أمير المؤمنين » . فضحك الحجاج وعفا عنه .

محمد ياسر منصور ـ سوريا



أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى ، القارىء : عمر ابراهيم محمد عطيه ـ الأردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى ، القارىء : محمد عوده سلامه ـ قطر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارئة : هند ابراهيم زاهر ـ مصر

وفاز بجائزة قدرها ٥٠ ريالا كل من القراء

١ ـ عماد الدين دهمه ـ سوريا
٢ ـ عمر خالد بدر ـ السودان
٣ ـ محمد حسن المهدى ـ الامارات العربية المتحدة



الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ عبد الرحمن الانصارى ـ المغرب
٢ ـ عبد الرحمن أبو عبده ـ الجزائر
٣ ـ سنيه احمد السيد ـ قطر
٤ ـ راوية عبد العزيز فؤاد ـ مصر



استراحة الدوحة العدد ٩٥

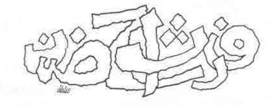
٤ ـ يخلق من الشبه اربعين ـ الحل ، رقم ٥ . (١) الفائز : عبد الله بدوى ـ مصر . (٢) الفائز : عبد النبى عطيه ـ البحرين

٥ ـ هات اجمل تعليق : (١) « بن إيه اللى انت جاى تقول عليه » الفائز : امجد محمد عوده ـ قطر (٢) « حبيبى لما يوعدنى .. تبات الدنيا ضحكالى » الفائز : جمال قطب الغلبان ـ مصر .

٦ ـ لعبة الظلال : الحل رقم ٢
(١) الفائز : كمال عبد الله ـ السودان . (٢) الفائزة : هبه عثمان ـ السعودية

٧ ـ دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٩
(١) الفائزة : وفاء امين الشيخ ـ مصر . (٢) الفائز : عبد العزيز على ـ البحرين

أستاذ الحكم



- مثل المتكبر كمثل رجل فوق جبل يرى الناس صغاراً . ويرونه صغيراً .
- ثلاثة أشياء لا يمكن تعلمها أبداً .. الكرم .. الشعر .. الصوت الحسن .
- الخوف من الهزيمة يلحقها بك .
- العاقل من قل مقاله وكثر احتماله .
- أصلح نفسك يصلح كل الناس ، إذا فاتك خير فأدركه ، وإذا ادركك شر فأسبقه .
- من الممكن تدمير الانسان ولكن ليس من الممكن قهره .
- اذا خرج الكلام من القلب وقع فى القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان .
- تضحى المرأة بكل شىء من أجل الرجل الذى تحبه ، ولكنها لا تهتم بمن تثق فى محبته لهــا .

سعد الدين حامد ـ السودان

استراحة الدوحة

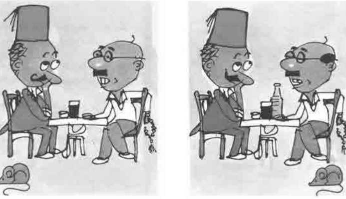


مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

روؤف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





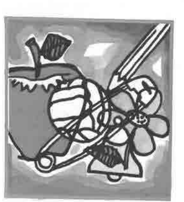
بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى هناك سبع اختلافات طفيفة ، اذا استطعت التعرف عليها ارسل الحل لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة التى لم تتم لقائد عربى كبير وقف فى وجه المستعمر ، وهو صاحب الجملة المشهورة القائلة : « متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .. حاول ان تكمل اللوحة لتتعرف على صاحبها وتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، يمكنك التعرف عليهما لتفوز بجائزة تؤكد قوة ملاحظتك .

هات أجمل تعليق



حاول ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتفوز بجائزة اجمل تعليق .

يخلق من الشبه أربعين








الصور الست المنشورة لستة شخصيات شديدة الشبه بالموسيقار العالمى « بتهوفن » .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما ، وفى البقية اختلافات بسيطة ، هل يمكنك التعرف على اللوحة لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



حاول ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. اذا عرفت الحل ارسله الينا لتفوز بجائزة .

دورى الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع تحديد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. اذا عرفت الحل ارسله الينا لتفوز بجائزة .

الورقة الأخيرة

بقلم عبد الله الشيتي



قبل فوات الأوان..

أعنى هنا ، تكريم من يستاهل التكريم ، من ادباء وعلماء ومفكرين وفنانين مبدعين فى حياتهم وليس بعد مماتهم ، سواء من جانب الدولة التى ينتمي اليها ذوو الابداع الفكرى والفنى والعلمى ، او المؤسسات الثقافية والعلمية المعنية ، فى هذا البلد او ذاك .

انه تكريم ـ بجملة واحدة مفيدة ـ قبل **فوات الاوان ، وفى وقته .. والا ماذا يفيد الأديب او المفكر او الفنان الراحل من « تكريم » يجيء** متاخرا جدا ، بعد فوات الاوان « لا عين ترى ولا قلب يحزن » .

لقد حدثنى هؤلاء الرواد المدعون فى نتاجهم على مدى شهور طويلة عن غبطتهم لهذا الحدث .

وكنت قد لبيت دعوة كريمة مؤخرا ، من صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد ابن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب و « اميرهم » فى المملكة العربية السعودية الشقيقة ، لمناسبة حفل التكريم الضخم فى الرياض ، والذى تحول الى مهرجان فرح عم ارجاء المملكة ، وبدت **الرياض يوم التام الشمل العربى ـ الأدبى ـ** على ارضها وكانها فى يوم عيد ولا كل الأعياد . فهى بادرة كريمة من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته ومن رعاية الشباب ورعاية الكهول معا ـ كما قال ذلك احد الذين تم تكريمهم وهو الاستاذ الجليل حمد الجاسر ـ وهناك زميلاه الآخران اللذان احتفلنا بتكريمهما الى جانب الأستاذ الجاسر وهما : الأستاذان احمد السباعى **وعبد الله بن خميس** الذى دلل على عرفانه عبر كلمة شكر وتقدير للملك وحكومته والامير فيصل ، ومثله الاستاذان الجاسر والسباعى .

اما التكريم فهو سخي بل نبيل ، فى شقيه المادى والمعنوى : ١٠٠ الف ريال مكافاة سنوية مدى الحياة وبراءة الجائزة التقديرية الخاصة بالاداب لعام ١٩٨٣ والتى ستصبح سنوية وتشمل مختلف قطاعات الادب والعلم والثقافة فى المملكة ، وميدالية ذهبية ثمينة .

وساهم الفن التشكيلى فى التكريم ـ الى جانب اجهزة الاعلام المرئية والسمعية ـ فتفنن بعض الرسامين السعوديين القادرين برسم لوحات كبيرة لهؤلاء الرواد الاوائل تقديراً منهم لما قدموه لوطنهم وامتهم وما انجزوه من ابداع وفن وعطاء فكرى وادبى وتاريخى وعلمى ، مما كان له اطيب الاثر فى نفس القارىء والمتتبع ونفوس ابناء الجيل الذى نشا عليهم وتلقى منهم الكثير ، وكان مدينا بالفضل لاهله وهم لذلك مستحقون .

لقد التقى على ارض الرياض فى الاسابيع القليلة الماضية ، ما يقرب من ١٢٠ مفكرا واديبا وعالما وصحافيا من الوطن العربى والاسلامى شاركوا فى احياء هذه المناسبة الرائدة والتى تمخضت عن اعلان الملك فهد انشاء مجمع علمى ولغوى فى المملكة ، وهو فاتحة خير مرتجاة فى المنطقة كلها ـ تقديرا لأهل العلم واللغة والادب ـ وتعزيزا لدورهم ورسالتهم المثلى فى الحياة وخدمة للاجيال ما بعدها خدمة

لقد كان الاجماع عبر الندوات التى اقيمت وحفلات التكريم ومناسبات اللقاءات المشتركة فيما بين ادباء المملكة وادباء العروبة على ان تكريم الاديب او الشاعر او الفنان او المفكر او العالم فى حياته ، لفتة طيبة ووفية من جانب الدولة ـ اية دولة ـ ترعى ادباءها ومبدعيها ، ، لانه لا فائدة ترتجى من تكريم **يجيء** متاخرا ـ هذا اذا جاء ـ وبذلك شعرنا كم غمرت الفرحة قلوب الأساتذة الثلاثة وسط أهلهم وذويهم ومعاصريهم وقرائهم .

وقد حرص المليك ان يقدم اليهم الهدايا والجوائز بنفسه وبوجود اركان الدولة الكبار وآلاف المدعوين من مختلف الفئات والهيئات والفعاليات .

لقد صار للأدب والفكر اهميتهما وشانهما فى التقويم وفى المعيار الحضاري والانسانى وهذا ما كنا نامل تحقيقه ، وقد قال الأمير فيصل : اننا استانسنا بتجربة اشقائنا فى مصر حيث انشانا هذه الجائزة السنوية على غرار تكريم اهل العلم والادب والفن هناك سنويا !